

[REDACTED] [REDACTED]

المنوني ، محمد .

[REDACTED]

~~12 Dec 67~~

1

370.964
M29.4A

مَعْرِدُ مَوْلَايَ الْحَسَنِ

الْعُلُومِ
وَالْآدَابِ
وَالْفَنُونِ
عَلَى عَهْدِ الْمَوْلَى مُحَمَّدٍ

مُحَمَّدُ الْمُنَوِّیُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة تصدير

الاستاذ عبد الله مهنوني

انها لمنقبة جليلة لمعهد مولاي الحسن، هذه الجائزة التي يمنحها كل عام لاحسن كتاب يقدم اليه في احد المواضيع التي يعينها هو، ويكون لها مساس في الغالب الاعم بتاريخ المغرب وأدبه ورجاله. فهي اول جائزة من نوعها تقصر على المغاربة وعلى الكتب التي تؤلف باللغة العربية. وهي اول جائزة بلغت قدرا من المال لا باس به في الظروف والاحوال الحاضرة، ولا يراعى في منحها الا الاجادة فقط بحيث اذا لم يتقدم للمعهد ما يستحق الاجازة لا تمنح.

وفيهما تشجيع للتأليف والمؤلفين، وبعث للتاريخ والادب المغربيين واحياء لتراجم رجال المغرب المنسيين، واعانة على نشر الآثار المغربية

التي كانت تبقى منبوذة في زوايا الإهمال لتعذر النشر على أصحابها، نظراً لارتفاع ثمن الطباعة وعدم وجود دور للنشر تتولى إخراجها على نفقتها، إلى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها هذه الجائزة والصعوبات التي ذلتها.

وقد كان من الموضوعات المقترحة في السنة الماضية (1948) هذا الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب الذي بيد القاري وهو (العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين) إلا أن صاحبه لم يتمكن من تقديمه للمعهد في إيداعه، فهو أن لم يظفر بالجائزة فلا أقل من أن ينشره المعهد ويعمم فائدته بين الجمهور المثقف، إذ كان من سنة المعهد أن يطلع بنشر الكتب المفيدة والتأليف القيمة التي بيد أيدي الناس كثير منها الآن.

وصاحب هذا الكتاب عالم من علماء الشباب المثاليين، جمع إلى العلم والاطلاع النفس الزكية والأخلاق الفاضلة. وقامت به صفة الباحث الصبور والعامل الدؤوب فلا جرم أن يجني أطيب الثمرات ويحصل على أحسن النتائج، فأنما هي همة وإدراك، واجتهاد ونجاح. وكأن الأقدار لما تناولت فاغتالت عالم مكناس ومؤرخها وكعبة القصاد فيها المرحوم مولاي عبد الرحمن ابن زيدان أرادت أن تعوض منه خلفاً صالحاً وتبقي هناك على وارث جدير بسرّه هو الأستاذ محمد المنوني الذي يعد بحق مفخرة من مفاخر العاصمة الإسماعيلية في هذا الصدد.

أما كتابه هذا فإنه غاية ما يدرك في هذا الباب، على الأقل في هذه المدة القصيرة التي أخرج فيها، ومع إعواز المصادر الكافية الذي يحسه كل من عانى هذه المباحث المتشعبة، لا سيما وقد سلك فيها نهجاً علمياً معبداً قلما تأتي لمن زج بنفسه في هذا الميدان، من الكهول

والشبان، فهو عمل ادبي تام او كناد ان يكون تاما، وانتاج علمي محرر قارب ان يكون خاليا مما يلاحظ عليه سواء في مادته واسلوبه ونظامه وترتيبه.

ليس فيه شيء من هذه المقدمات البعيدة كل البعد عن الموضوع التي انما يراد بها الملء والتضخيم حينما يعوز العلم والتحصيل، فترى الكاتب يخبط خبط عشواء ويضرب في كل واد مدعيا انه يهيم المداخل ويقرب الابعاد فلا يصل الى المقصود بالذات الا وقد استغرق جل الكتاب في اشياء لا علاقة لها بما يقصد اليه. واذا البحث هزيل في مخبره، سميت في مظهره، ولاكن اين في نقد الكتب ذلك الميزان الذي يخلص الماء من اللبن المغشوش؟.

لقد هجم الاستاذ المنوني على موضوعه ولم يتناوله من ذيوله ولا من اطرافه. بل قصد الى اللب والصميم، وترك اللف والدوران وان كان قد قدم بيوت يديه مقدمات فانها مما يرتبط بمادته تمام الارتباط ويكون كالاطار الجليل المحيط بالصورة والمتمم لمنظرها البديع. ثم هو قد رتبته ترتيبا طبيعيا فنناول العلوم ثم الآداب ثم الفنون، وهذه ايضا تناولها بالنظام الكامل والترتيب الواجب اتباعه في كل منها، فالسلسلة متتابعة الحلقات، والافكار متسلسلة لا يجد القاري ادنى عنت في الربط بينهما بل انها في ذلك النظام والترتيب لتغريه بالمطالعة والاسترسال في القراءة حتى يفرغ من كل بحث وقد احاط به علما تصوريا وتصديقيا في زمن يسير وجهد غير كثير.

على ان جوهر الموضوع ومادة البحث في كل باب من هذه الابواب الثلاثة، قد استوفي استيفاء تاما بالنسبة لما هو موجود ومعروف في المصادر حتى الان. فلم يترك شاذة ولا فاذة الا احصاها وحطها ولا شاردة ولا فاردة الا تتبعها وقيدها، وهذا جهد المقل الذي يستوجب

الشكر الكثير. والاقبال هنا راجع الى ناحية المصادر لا الى ناحية الكاتب، فاذا ظهر قريبا تاريخ ابن صاحب الصلاة والجزء الرابع من ابن عذاري وبعض المجموعات الادبية التي تزيد الموضوع اتساعا، فقد تمتد رحاب البحث الى ابعد مما وصل اليه المؤلف. ولاكن ذلك لا يزري بكتابيه كدرس حافل بالغض الجني مما وصلت اليه المعارف في عصر الموحدين من نضج واثمار.

وللمؤلف حس دقيق ونظرة نافذة في تحليل الامور وتحقيق المسائل والتنبيه الى الاخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب فعقب هو عليها بما يبين وجه الصواب فيها كهذا النص المتعلق بنسب ابن تومرت والمحرّف عند يوسف اشباح وقد رده المؤلف الى ما يظهر انه الصواب، ورد ايضا نسبة كتاب في الفلسفة الى المهدي بن تومرت وقعت غلطا في كتاب تاريخ الادب العربية لجرّجي زيدان كما صحح بعض الاوهام في مبحث الجغرافية وهذا المبحث في الكتاب بلغ من الدقة والتحرير حد الاتقان فنهني عليه المؤلف

ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتمام الموافقة على جل ماله من انظار، فاننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب اليها في بعض المسائل كترجيحه ان الموحدين كانوا ظاهرية في الفقه وان دعوتهم لنبد مذهب مالك لم تكن الا للتمسك بمذهب داود، وثأويله للنصوص التي تدل على انهم كانوا اهل سنة وحديث، وان دعوتهم كانت للاجتهاد المطلق، بما يؤيد نظره ويعضد ترجيحه.

وكإنكاره للمحاورة الشعرية المشهورة التي جرّت بين عبد المومن ابن علي ووزيره ابي جعفر بن عطيه تاييدا لما ذهب اليه من ان الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقل بل ينعدم من بين موضوعات الشعر وهذا تعمق كبير فما منع الروح

الديني المسيطر على الصحابة في عصر النبوة من ان يقول كعب
ابن زهير (بانت سعاد) وينشدها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
في المسجد وتكون سببا في نجاته واجازته.

ومخالفتنا او مخالفة غيرنا للمؤلف في نظر يذهب اليه. لا تقدر
في قيمة الكتاب، لان الانسان قد يذهب في مسألة ما اذا كانت
نظرية، مذهبا يخالف مذهب غيره، وليس بل لازم ان يتفق كل الناس في
كل المسائل. والذي يقدر في قيمة كتاب من الكتب هو مخالفته للقواعد
المقررة والاصول المحررة وتحريفه للنصوص وعدم احاطته بالموضوع وما
الى ذلك. وقد علم ان كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد
الموحدين بري من كل هذه العيوب بالغ الغاية في الجودة والانتقان
يستحق عليه مؤلفه كل ثناء وشكر. فنهنيه من صميم الفؤاد على
توفيقه ونجاحه ونقدمه الى الشباب المثقف والباحثين في التاريخ
المغربي والحضارة الاسلامية كأحسن طريقة يقدمها صديق الى صديق.



مقدمـات الكتاب

طابع دولة الموحدين

المؤثرات التي أثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين

ازدهار المعارف بالمغرب

I معاهد التعليم

مناهج التعليم واساليبه

(1) المدارس (2) الجوامع (3) التعليم الاجباري

(4) كتب الدراسة (5) ملاحظات (6) تذييل

II المجامع العلمية

مجامع الخلفاء

مجامع الامراء

طابع دولة الموحدين

كانت حالة العالم الاسلامي في الوقت الذي قامت فيه دولة الموحدين لا تبعث على الاطمئنان فالدولة العباسية بالعراق ودولة الفاطميين بمصر بلغت الى طور الهرم المزمن الذي لا قيام بعده. ودولة المرابطين بالمغرب كانت كافرة مجسمة في نظر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين وان كان لهم يشايعه على هذه النظرية سوى اتباعه منهم. وكان ابن تومرت هذا ساح في الشرق حيث اخذ عن الغزالي وابي بكر الشاشي وابن عبد الجبار ببغداد وعن ابي بكر الطرطوشي بمصر. وفي المغرب حيث قرأ على ابن حمدين بقربطبة من الاندلس وعائين حضارة هذه البلاد التي ساح فيها وتشبع بافكار اهلها عامة وبخاصة اساتذته وبصفة اخص الغزالي.

وادرك خطر الحالة التي عليها العالم الاسلامي وقدر ان علاجها ليس في تأسيس إمارة أو مملكة، بل في انشاء خلافة اسلامية عامة تضم تحت لوائها العالم الاسلامي بكامل حدوده وتتولى زعامتها الدولة الموحدية.

ولاجل ان تؤدي هذه الدولة مهمتها احق تأدية اراد ابن

تومرت ومؤسوسوها من بعده ان تكون حضارتها مطبوعة بطابع العظمة والدين والتجديد في سائر مظاهرها.

ولتوضيح شأن هذا الطابع الثلاثي نبين ان من مظاهر عظمة هذه الدولة تلقيب ملوكها بامراء المؤمنين وبالخلفاء، وانظر في هذا الثاني الى ما جاء في المعجب 188 ان ولد الشريف الطليق المرواني لما اتم انشاد قصيدة صنعها في مدح عبد المومن قل هذا الاخير: بمثل هذا تمدح الخلفاء. وفي المعجب 188 ان يعقوب المنصور كان في اول امره اراد الجري على سنن الخلفاء الاول. وكذا اسسوا اكبر مملكة شاهدها الاسلام في المغرب فقد امتدت المملكة الموحدية من المحيط الاطلانتيكي الى قرب حدود مصر هذا طولها، اما عرضها فكان فيما بين الصحراء الكبرى وجبال الشارات بالاندلس

وحاولوا الاستيلاء على مصر واسسوا بها جمعية لهذه الغاية جاء في المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب 80 - 82 انه كان للهدي بالبلاد المصرية جمعية من انصاره ينشرون دعوة الدولة الموحدية في البلاد المشرقية وقد عد اسماءهم واحداً واحداً، وفي اواخر ايام يعقوب اراد ان يحقق هذه الفكرة: جاء في المعجب 188: بلغني عن غير واحد انه صرح للموحدين بالرحلة الى المشرق وجعل يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ويقول نحن ان شاء الله مطهروها. ولم يزل هذا عزمه رحمه الله الى ان مات، ولم يكن غزوهم لمصر الا طريقاً لما وراءها من العالم الاسلامي: يشير لهذا ما جاء في ترجمة ابي الوليد القرطبي انه قدم مصر هارباً من عبد المومن ودولته لما ظهر على المغرب ثم خاف من استيلائه على مصر فقدم الحجاز فخاف ان يحج فدخل اليمن ثم خاف ان يظهر على اليمن

فأراد ان يتوجه الى الهند فمات بزبيد. الديباج ص 322. النفخ (1)
435 - 436. وكان اسطولهم اكبر اسطول في وقته بشهادة طلب
كل من صلاح الدين وملك الاسبان له. استقصا (1) 174 و 176 .
وكان جيشهم في واقعة العقاب اكبر جيش شاهده المغرب الاسلامي
ونظقت بهذه العظمة آثارهم متمثلة في صوامع الكتبيين
والاشبيلية وحسان.

ويظهر طابعهم الديني في اهتمامهم به على اتم ما عرف . فقد
كانت لهم همة عالية في الجهاد وكان يعقوب يريد ان يجعل من
الاندلس دار اسلام (حلل 122)

ولقد رمزوا لعلو همتهم في الجهاد رمزيت ذائق وطامت.
فالناطق يتمثل في الآيات التي كتبوها على باب القصة الشرقي
بالرباط: يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الى قوله: وبشر
المؤمنين (مقدمة الفتح 47).

والطامت هو ما نقش حول احدى نوافذ صومعة حسان جهة
البحر من صورة سيفين عظيمين مطلتين رؤسهما الى السماء، وفي
تخصيص تلك الجهة بهاتين الصورتين ارهاب للمعدو المهاجم من البحر
ورمز الى التهيء له والاستعداد (مقدمة سوق المهرج - د).

وانهم بلغ بهم الاهتمام باقامة الاسلام الى حد ان قتل بعض
خلفائهم على شرب الخمر. وفيات الاعيان (2) 432. النفخ (2) 100
وقتل آخر من رؤى وقت الصلاة غير مصل. تاريخ أبي الفداء (3) 42.
والى حد ان لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي انما هو الاسلام او القتل.
معجب 203 - 204 . وان شئت شاهدا آخر على عظيم اهتمامهم بالاسلام

فاستمع لشهادة رحالة عظيم - هو ابن جبير - الذي ساح في كثير
من ممالك العالم الاسلامي وقال: وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح
الاعتقاد انه لا اسلام الا ببلاد المغرب لانهم على جادة واضحة .. كما
انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه الا عند الموحدين ... هـ
من رحلته 49.

ويتجلى طابع التجديد في ابتداعهم فكرة المهدوية بالمغرب
ونشرهم عقائد الاشعرية والشيعة وحمل الناس على مذهب الظاهرية
وتأسيسهم (لاول مرة في المغرب) المستشفيات والمدارس العديدة
والمكاتب العامة ودار الضيافة وفيما ظهر في وقتهم من كثير من
العلوم والآداب والفنون مما لم تكن شائعة من قبل وفي ابتكاراتهم
في غير ما ميدان سيما في ميدان الحرب والادارة. انظر
(مجموع رسائل موحدية 53).

وبالاجمال كانوا يريدون ان ينشروا حضارة مطبوعة بطابعهم
الثلاثي: «العظمة - الدين - التجديد» وكانوا يريدون ان تكون هذه
الحضارة لا شرقية ولا اندلسية محضة ولكنها حضارة قائمة بنفسها آخذة
من هذه وتلك وغيرهما وان طغت عليها الحضارة الاندلسية فيما بعد.

وقبل ان ننظر في اثر هذا الطابع نقدم بين يدينا مقدمات .

المؤثرات التي اثرت في نهضة المعارف على عهد الموحدين

ان الموحدين لم يجدوا من المغرب بلاداً قاحلة من المعارف وبالعكس وجدوها بلغت شأواً كبيراً في هذا الميدان بشهادة قول المعجب 104 : فانقطع الى أمير المسلمين - يوسف ابن تاشفين - من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار . وقوله (III) ولم يزل أمير المسلمين - علي بن يوسف - من اول امارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك . وان المرابطين لم يكونوا يولون في عملهم الا الفقهاء . قرطاس 85 جذوة 342 وهذا يتطلب عدداً كثيراً جداً منهم .

نعم ، كان فضل الموحدين على المعارف عظيماً فانهم حافظوا على ما اختاروه منها الى حد كبير وشجعوها كما شجعوا كثيراً من العلوم التي لم تكن رائجة او كان محظوراً رواجها في العهد المرابطي وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص وان تشجيعهم للمعارف التي كانت شائعة في عهدهم بلغ مبلغاً عظيماً وكان تشجيعاً مادياً وأدبياً تفننوا فيه ما شئت لهم همهم الكبيرة ان يتفننوا .

فأسسوا المدارس وعمرروا المعاهد وجلبوا كبار العلماء واقترحوا تدوين الكتب وعقدوا المناظرات والامتحانات وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة وأسسوا خزائن الكتب وسبقوا الى التعليم الاجباري وابتكروا التعليم المجاني ووضعوا مناهج التعليم وانهم لرغبتهم في نشر العلم علموا حتى باللسان البربري.

وكذا احيوا السنة اهتمام عظماء المسلمين بالترجمة فامروا بترجمة كثير من الكتب المهمة، وانظر بخصوص هذا ما سندكره في مبحث الفلسفة.

هذا الى ما اصفوا على العلم واهله من مرتبات وجوائز وصلات وخلع ومراكب واقطاعات وتنويهات وللايات فقد فعلوا في ذلك ما سارت بحديثه الركبان بل انهم شجعوا المعارف بأنفسهم وفي شخصهم فكان كثير من خالفوا الموحدين وامرائهم فقهاء علماء قال السرخسي في رحلته: وهؤلاء بنو عبد المومن كلهم فقهاء علماء.. نقله الزياني في الروضة السليمانية عن النفع.

هذا الى ما وجد في المغرب على عهدهم من اعلام كبار من الاندلس والقيروان وغيرهما حتى اجتمع في فاس - على حد تعبير المعجب 238 - علم القيروان وعلم قرطبة ..

وطارت مراکش هي الاخرى عاصمة علم ثانية الامر الذي له دخل كبير في تسمية غير واحد لها ببغداد المغرب وكذا سبتة وطنجة وغير مدينة من مدن المغرب وكذا وجد في المغرب لهذا العهد عدد عديد من الادباء والفنانين من اهله ومن الوافدين عليه. يضاف الى هذا الجم الغفير من العرب الذي توافد على المغرب في غضون هذه الدولة ايام عبد المومن ثم يعقوب، هؤلاء العرب

الذين بلغوا من الكثرة الى حد ان قاسموا سكان المغرب الاولين الارض واصبحوا يعمرون جزءاً كبيراً منه. انظر المقدمة 27 والاستقصا (1) 166 .

ولقد كان من اثر هذه الهجرة ان طبع المغرب نهائياً بالطابع العربي وارتكزت فيه اللغة العربية والدم العربي على اساس والى الابد. وكذا عمر المغرب في هذا العهد عمارة كبيرة، والمعارف تكثر حيث يكثر العمران. مقدمة 379 .

وانتشر الامن في غير ما حقبة من ايام الموحدين حتى كانت الطعينة تخرج من بلاد نمول لمطه وتنتهي الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يكلمها. القرطاس 188 .

وكان من نتائج هذه العلمية ان مهدت الطريق لمن اراد ان يسافر من المغرب أو اليه للعلم أو للسياحة .

وشاعت الحرية في هذا العهد في الجملة حتى استطاع الشاعر الجراوي ان يرد على يوسف بن عبد المومن رده المشهور. انظر وفيات الاعيان (2) 494 - 495 . والمؤلفات التي كانت تطعن في حكومة الموحدين وفي المبادي التي تقوم عليها كان عبد المومن يأمر العلماء والكتاب الذين امتازوا بقوة الحجة بكتابة الردود عليها، مثال ذلك ما امر بكتابته ضد الكاتب القرطبي ابي الحسن عبد الملك بن اياس. تاريخ الاندلس (2) 54 .

هذا الى ان المال تدفق على القوم تدفقا حتى كان خراج افريقية وحدها في كل سنة وقر مائة وخمسين بغلا. معجب 167 . وانفق الناصر في غزوة افريقية مائة وعشرين حملا ذهبيا. معجب 213 . واعطى يوسف لهلال بن سعد في يوم واحد فقط اثني عشر الف دينار.

معجب 166. ولما تمت بيعة يعقوب المنصور كان اول شيء فعله انه اخرج مائة الف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب قرطاس 137. وتصدق قبل خروجه الى غزوة الارك بأربعين الف دينار، قال في المعجب 190: خرج منها للعامّة نصفها والباقي في القرابة ادركتهم وقد قسموا مدينة مراکش ارباعاً وجعلوا في كل ربع امناً معهم اموال يتحرون بها المساكين وارباب البيوتات، وفرق يعقوب هذا على الجنود والامراء والفقراء في عيد (594) : 73000 شاة من ضأن ومعرز نفج (2) 100.

وكان بستان واحد - هو الذي غرسه عبد المومن خارج مراکش - يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه عام (543) : 30000 دينار على رخص الفواكه بمراكش قاله ابن اليسع. حلل 100 وبلغ ثمن زيتون بحيرة مكناس 35000 دينار ونحوها في السنة وزيتون بحيرة فاس 50000 دينار ونحوها كذلك (الروض العتون). ورأى ابن سعيه بسجلماسة صكاً لاحدهم على آخر مبلغه 40000 دينار. صبح الاعشى (5) 164. وامثال هذا كثير.

وبالطبع قال أهل المعرفة حظهم وافرا من هذا ومن امثلته: ان يوسف جعل المرتبات للأطباء والمهندسين والكتاب والشعراء وغيرهم حسبما اشار لهذا عرضاً في المعجب 157 وبديهي انها ما كانت لهؤلاء حتى كانت لغيرهم، واجرى يعقوب المرتبات على العلماء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم: قرطاس 138. ووصل للقاضي الصقلي من يعقوب المذكور فقط 19000 دينار خارجاً عن الخلع والمراكب والاقطاع. معجب 209. الذخيرة السنية 50. واعطى عبد المومن للشاعر التيفاسي على بيت واحد انشده اياه من قصيدة: الف دينار. وفيات

الاعيان ج (1) 391، واعطى يعقوب لرسول صلاح الدين ابن منقذ
لما مدحه بقصيدة تشتمل على اربعين بيتا الف دينار لكل بيت نفح (1)
207. وامثال هذا كثير، تلك جملة من دواعي نهضة المعارف في
عصر الموحدين.

وبما انه ورد في حديثنا في هذا الموضوع ازدهار حركة التعليم
بالمغرب والمجامع والخزائن، وبما ان هذه الثلاثة تتطلب شيئا من
التبسيط فسنتكلم على اوليها هنا مرجئين حديث الخزائن الى
محله: (مبحث الفنون).



ازدهار المعارف بالمغرب

I معاهد التعليم

لا شك اننا سنجد في مقدمة معاهد التعليم لهذا العهد الجوامع والكتاتيب وسأكتفي في الحديث عن هذين المركزين للتعليم بما سأذكره عنهما بعد، أما ثالث هذه المراكز - المدارس - فهي التي سأحدث عنها في هذا المكان وابين - ردا لبعض الاعتقادات - انهما كانت متوافرة بالمغرب لعهد الموحدين، وذلك بما اسسه هؤلاء من مدارس بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش، انتجت مدرسين بارعين ساقبوا علما قرطبة واشبيلية وغرناطة، كما تقول هذا ترجمة تاريخ العرب للاستاذ سديد - المعنونة بخلاصة تاريخ العرب - (215).

ويقترن اسم عبد المومن وحفيده يعقوب المنصور بكثير من المدارس المنشأة في هذا العصر، فقد أسس عبد المومن مدارس بمراكش واستدعى ابن رشد الثاني ليستعين به على تنظيمها، الاعلام (3) 47. ولا شك ان في مقدمة هذه المدارس (1) المدرسة العامة للتخريج الموظفين، المذكورة في الحلل الموشية (114). و (2) المدرسة الملكية لتعليم الامراء الموحدين اخذا مما سنده في منهاج المدارس قريبا.

كذلك أسس عبد المومن بالرباط (3) مدرسة تعليم فن الملاحة، انظر مقدمة الفتح 42 و 61 .

ويعقوب المنصور هو الآخر أسس مدارس لا في المغرب فحسب بل وفي افريقية والاندلس القرطاس. 138. رقم الحلل 55 ومن المدارس التي حافظ التاريخ على اسمها مما أسسه بالمغرب: (4) المدرسة التي أنشأها بالمدينة التي اختطها خارج مراکش، ذكرها في مسألة الابصار ذو وصفها بأنها مكان جليل به خزائن الكتب. و (5) مدرسة المسجد الاعظم بطالعة (سلا). الاستقصا (1) 180 و (6) المدرسة التي ساهمها المنصور للإمام ابي العباس السبتي. الاعلام (1) 269 .

وفوق هذا فان بعض الافراد ساهموا كذلك في انشاء المدارس ونقصد بهذا البعض أبا الحسن الشاري الغافقي السبتي، ابتنى (7) المدرسة المنسوبة اليه ببلده سبتة، ثم اراد ان يجعلها على النسق الجاري بالمدارس ببلاد الشرق فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن... صلة ع 300. اختصار الاخبار (9) ويفيد هذا المصدر الثاني (5): انه كان لهذه المدرسة بقعة محبسة على دفن من يموت من طلبتها الغرباء.

(8) بيت الطلبة: ويلحق بالمدارس بيت الطلبة بمراكش الذي ورد ذكره عرضا في عنوان الدارية (161) ثم في النفح (1) 369، وقال عنه انه امتحن به ابن عات في كتاب مسلم، ولست ادري عن هذه المؤسسة اكثر من هذا وهو يفيد انها كانت معهدا للمناظرة وامتحان الواردين على مراکش.

ذلك ما وقفت عليه من المدارس وما اليها المؤسسة لهذا العهد فاذا ضمت للمركزين للتعليم المشار لهما اولا ، تكون معاهد التعليم

حينئذ تتنوع الى جوامع، وكتاتيب، ومدارس، بما فيها من عامة، وملكية
وبحرية، وبيت الطلبة الملحق بها.

وبعد ان اؤكد ان الذي استفدته من غير ما مرجع ان منهاج
الكتاتيب في هذا العهد كان جاريا على مذهب المغاربة في تعليم
القرآن الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة: 495، وهو الاقتصار على
تعليم الولدان القرآن، واخذهم اثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف
حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه، بعد هذا نحاول فيما يلي
ان نستعرض نظام الدراسة في هذا العهد.



مناهج التعليم واساليبه

وحسب تنوع مراكز التعليم بالمغرب لا بد ان تكون مناهجها مختلفة، فهناك مناهج للمدارس وآخر للجوامع، وثالث للتعليم الاجباري. ومن المؤسف اننا لم نقف على نصوص تلقي الضياء واضحا على المسألة، فبعض المدارس كمدرسة تعليم فن الملاحة بالرباط، لم نقف من مناهجها على قليل ولا كثير، وبعض المدارس وكذا الجوامع مع التعليم الاجباري، عثرت بفقرات عرضية تلقي بصيما من العلم على الموضوع، وهذا ما وقفت عليه على علاته.

(1) المدارس

من حسن الحظ ان صاحب الحلل الموشية أفادنا معلومات - وان كانت غير كافية - فهي قيمة وفريدة عن مناهج المدرسة العامة لتخريج الموظفين بمراكش قال 114: ورى - عبد المومن - الحفاظ: صغار الطلبة - بحفظ كتاب الموطا؛ وهو كتاب اعز ما يطلب وغير ذلك من تواليف المهدي، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه؛ وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم ابناء ليلة من المصامدة وغيرهم، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريد من فيأخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعلوم في بحيرة صنعها خارج بستانه مربعة؛ طول تربيعه نحو ثلاثمائة باع ويوما يأخذهم بان يحدقوا على قوارب وخوازيق صنعها لهم في تلك البحيرة، فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالعطاء وتارة بالادب.

وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده وخيلهم وعددهم كذلك، ولما
كامل له هذا المراد فيهم عزل بهم اشيخ المصامدة عن ولاية الاعمال
والرئاسة، وقال: العلماء اولى منكم فسلموا لهم.

وفيد الاستاذ يوسف اشباخ في تاريخ الاندلس (2) 51 ان
هؤلاء الحفاظ كانوا يدرسون ايضا عدة كتب في ادارة الولايات
ومزاولة شئون الدولة دراسة حسنة. وارجع اليه (2) 248 و 252.
فهذا الكلام يصور لنا بعض منهاج هذه المدرسة ويبين انها كانت
مخصصة لتخريج موظفين علماء كما قلنا اولا، كما ان الجوامع كانت
تخرج العلماء الآخرين، ولا يبعد ان باقي مدارس الموحدين (1)
- غير البحرية - عامة وخاصة؛ كانت مناهجها على غرار منهاج تلك
المدرسة، وان كانت المدرسة الملكية تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين
في اختيار اساتذتها الذين نذكر منهم على سبيل المثال: ابا العباس
احمد بن عبد الجليل التدميري المتوفي 555. استأدبه السلطان
- عبد المومن - بمراكش لبنيه. (التكملة المفقودة). ع 175.
وأبا العباس احمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي المتوفي
بعد 560؛ أدب بني عبد المومن. بغية 130. واما محمد عبد الله بن
احمد بن محمد اللخمي الاشبيلي المعروف بابن عروش والمتوفي
بعد 599 - استأدبه المنصور لبنيه. التكملة 1421. واما محمد عبد الله
ابن سليمان ابن حوط الله الانصاري الحارثي البلسنسي 549 - 612
استأدبه المنصور لبنيه. تكملة 1435، واما الحسن علي بن محمد
ابن يوسف الفهري اليابري الضير المتوفى: 617، ادب ولد السلطان
بمراكش. تكملة 1892.

(1) لا ينبغي ان تناول المدارس بيت الطلبة الذي لم افق من نظامه على اكثر
مما ذكرت ع: سابقا.

(2) الجوامع

والجوامع كانت كبارا مثل القرويين وجامع سبتة، وكذا
مراكش ومكناس، وجوامع كبريات المدن المغربية، الأخرى، كما
كانت - طبعاً - جوامع صغار.

وكانت العادة أن لا ينتصب للتدريس في الجوامع
الكبار إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته،
وكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة حسبما يؤخذ هذا من
النشر المخطوط، ورقة 286 نسخة - المكتبة الاحمدية - بفاس، وكان
اسلوب التدريس عندهم ممتازاً، وكان يقوم على التدريج بالمتعلمين
في مدارج التعليم، ومن امثلة هذا ما جاء عن الاستاذ ابي علي الشلوين
انه دخل مراكش فوجد الشيخ الجزولي النحوي يدرس في مسجده
علم العربية، فلما قعد اليه اذا بين يديه حلقة من المتبدئين يقرئهم على
قدر افهامهم فالقى عليه سؤالاً فاجابه بجواب متوسط على قدرهم، ثم
ارتفعوا فجاءت حلقة اخرى للنجباء الشادين، فكان يلقي حينئذ الاسئلة
فيجيبه بغاية التحقيق والتدقيق. نقله في القانون ص 126 - 127 .

ومن امثلة هذا ايضاً، ما جاء عن الحفيد ابي بكر بن زهر
الاندلسي الاشبيلي 507 - 595، وهو ممن اقام بمراكش من المغرب
مدة وتوفي بها، الامر الذي يمكنه معه ان ينشر مثل افكاره الآتية:

قال في عيون الانباء في طبقات الاطباء (2) 69 - 70: كان
الحفيد ابو بكر بن زهر قد اتى اليه من الطلبة اثنان ليشغلا عليه
بصناعة الطب، فترددا اليه ولزامه مدة، وقرأ عليه شيئاً من كتب الطب

ثم انهما اتياه يوما ويبد احدهما كتاب صغير في المنطق...

وكان غرضهم ان يشتغلوا فيه، فلما نظر ابن زهر الى ذلك الكتاب قال: ما هذا؟ ثم اخذه ينظر فيه، فلما وجده في علم المنطق رمى به ناحية، ثم نهض اليهم حافيا ليعضهم، وانهزموا قدامه، وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالغ في شتمهم وهم يتعادون قدامه الى ان رجع عنهم عن مسافة بعيدة، فبقوا منقطعين عنه اياما لا يجسرون ان ياتوا اليه ثم انهم توسلوا الى ان حضروا عنده واعتذروا بان ذلك الكتاب لم يكن لهم ولا لهم فيه غرض اصلا، وانهم انما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون اليه فهزوا بصاحبه وعشوا به واخذوا منه الكتاب قهراً، وبقي معهم ودخلوا اليه وهم ساهون عنه، فتخادع لهم وقبل معذرتهم واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب.

ولما كان بعد مدة مديدة امرهم ان يجيدوا حفظ القرآن، وان يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وان يواظبوا على مراعاة الامور الشرعية والاقتداء بها ولا يخلوا بشيء من ذلك، فلما امتثلوا امره واتقنوا معرفة ما اشار به عليهم وصارت لهم مراعاة الامور الشرعية سجية وعادة قد الفوها، كانوا يوما عنده واذا به قد اخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق وقال لهم الآن صلحتم لان تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي واشغلهم فيه).

ومما يذكر من برنامج التعليم الجامعي: ان التلاميذ كانوا أحراراً في القاء الاسئلة على الاستاذ، وانظر في ذلك الى ما جاء في ترجمة ابي ذر الخشي من التكملة رقم 1098: قد منع تلاميذه التبسط في السؤالات، وقصرهم على ما يلقي اليهم دون استزادة؛ ولم يكن ذلك لاحد من اهل عصره.

كما كان التلاميذ احراراً في اختيار الاستاذ الذي يقرؤن عليه، يشير لهذا ما فعله طلبة سبئية مع استاذها ابي علي الرندي؛ فانه لما ورد عليها الاستاذ ابو علي ابن عاشر الملقب بقريعات مال اليه ناس من طلبتها وزعموا انه أبسط عبارة من الرندي واسهل القاء، فاستجاب اليهم غيرهم. صلة الصلة رقم 126. ولم تخل دروسهم في هذا العهد من المناظرة.

هذه الطريقة التي بالغ ابن خلدون في الثناء عليها في مقدمته تحت عنوان : فصل في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع، ص 375 وما بعدها. وفيما سيأتي في مبحث علم المناظرة نذكر اسماً طائفة من العلماء الذين كانوا مبرزين في هذا الفن.

(3) التعليم الاجباري

وهذا نوع آخر من مناهج التعليم لدى الموحدين، وهو الذي وضعه عبد المومن للتعليم الاجباري، ويقوم هذا البرنامج على انه يجب على كل من انضوى تحت راية الموحدين ان يتعلم الضروري من العقائد وما يتعلق بالصلاة.

ولقد بالغ في هذا الامر؛ فجعله حتما لازماً على كل مكلف الرجال والنساء الاحرار والعبيد - ورخص لمن يفهم اللسان البربري دون العربي ان يقرأ بلسانهم عقيدة ابن تومرت البربرية - التوحيد - أما الذين يفهمون العربية؛ فكان لزاماً ان يقرأوا عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - واكد على الجميع في حفظ ذلك وتدبره وملازمة قراءته وتعاهده، كما اكد على العوام ومن في الديار في

حفظ أم القرآن وما تيسر من القرآن، والزم نوابه ان يقدموا علماء
أمناء من قبلهم ليعلموا الناس ما ذكر. «مجموع رسائل
موحدة» 131 - 133 و 137.

وزيادة في الاهتمام بهذا الامر، نرى عبد المومن يشرف بنفسه
على مباشرة هذا النوع من التعليم الاجباري بمراكش ونواحيها
ويكتب الى نواحي المملكة الاخرى يقص عليها عمله هذا، ويامرهم
بان تحتدي حدوده، وتقوم بدورها بتطبيق هذا المنهاج. ارجع الى
المصدر المذكور 52 - 54.

ويلحق «بكتابي المهدي المقررين في التعليم الاجباري» «مجموع
أحاديث الجهاد» الذي امر يوسف العلماء بتدوينه ليملى على الموحدين
ليدرسه، فكان يمليه على الناس بنفسه، وكان كل واحد من
الموحدين والسادة يجي بلوح يكتب فيه الاملاء. معجب 167.

وكذا مجموع احاديث الصلاة وما يتعلق بها الذي جمعه بأمر
يعقوب طائفة من العلماء، فكان يمليه بنفسه على الناس ويامرهم
بحفظه، وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من
العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السنني من الكسا
والاموال معجب 184.

(4) كتب الدراسة

(أ) التفسير. الحديث. السيرة.

الكتب الخمسة: صحيح البخاري، صحيح مسلم (1). سنن أبي داود (2)، سنن الترمذي، سنن النسائي، مسند البزار الكبير. صلة الصلة 300 التكملة 2006 الدر النفيس 351. الاعلام (1) - 237 - (3) 42 الجذوة 334

موطا مالك، (صلة 208، 242، 300. الدر النفيس 351). موطا ابن تومرت، اعز ما يطلب، (الحلل الموشية 114). احاديث الجهاد التي امر يعقوب المنصور بجمعها، (معجب 167). الشهاب للقضاي المسمى بشهاب الاخبار في الحكم والامثال والاداب من الاحاديث النبوية للقاضي ابي عبد الله محمد بن سلامة القضاي، (التكملة 1608 الجذوة 263). سيرة ابن اسحاق بتهديب ابن هشام، (الصلة 300). (ب) الفقه - الاصلان - التصوف :

الاحاديث التي جمعها ابن تومرت في الطهارة، احاديث الصلاة التي امر يعقوب بجمعها، (المعجب 184). الاحكام الصغرى لعبد الحق، (التكملة 1067. زهرة الآس 48 الدر النفيس 351).

النواذر لابن ابي زيد، (مقدمة ابن خلدون 393). كتاب ابن يونس، (المقدمة 393 المعجب 185) تهذيب البراذعي للمدونة، (جذوة 254). رسالة ابن ابي زيد، (الديباج 129 - 130. الاعلام (1) - 288). تأليف عباد بن برجان في الفرائض، (التكملة 1674). البرهان لامام الحرمين، (الصلة 242). التلخيص مختصر التقريب والارشاد له.

(1) وكان اشيع من سابقاته لما علم من عناية علماء المغرب به واكباهم عليه. انظر المقدمة 387

(2) كان له شيوخ في هذا العهد كما يؤخذ من المعجب 185

(التكملة 1062) المستصفى للغزالي، (الديباج 142) رجز ابن الكتاني،
 (التكملة 1062)، الارشاد لامام الحرمين، (التكملة 868 ، 1062).
 عقيدة ابن تومرت العربية - المرشدة - (رسائل الموحدين 132). عقيدته
 البربرية: التوحيد - القواعد - الامانة - الاثنان لابن تومرت ايضا، (الحلل
 80). العقيدة البرهانية للسلابي، (الجدوة 289). شعب الايمان
 للقصري، (التكملة 1495. الجدوة 247) الاحياء للغزالي، (السلوة 3)
 73) رعاية المحاسن، (الجدوة 282، 294، 333).
 (ج) النحو، اللغة، القرآت، الادب، الحساب:

كتاب سيويه، (تكملة 122 الاعلام (3) 192). الجمل بشرحه
 لابي بكر العبوري، (التكملة 751). شرح ابيات الجمل، نكت على
 شرح الاعلم لشواهد كتاب سيويه، الاثنان لابن هشام اللخمي السبتي،
 (التكملة 1053. البغية 19). مقدمة الجزواي المسماة بالقانون، (الصلة
 95). شرح ابي ذر على غريب السير لابن اسحاق، (تكملة 1098)
 المذهبة في الحلبي والثياب وغيرها لابن اصبع الازدي، (تكملة 962).
 شرح ابي عمرو العافقي على قصيدة الحصري في القرآت (التكملة،
 1152). المنصف في رسم هجاء المصحف (شرح ابن عاشر على مورد
 الظمان) رسالة القلم والدينار لابن ماكولا، (التكملة 674). مقامات
 الحريري. (التكملة المفقودة 461). مقصورة ابن دريد بشرح ابن هشام
 السبتي. (التكملة 1053. بغية 19). صفوة الآداب وتحية ديوان كلام
 العرب للمجراوي، (التكملة المفقودة 323). لب الباب في مسائل
 الحساب لابن الحسن ابي فرحون القيسي، صلة 238. جذوة 306.
 منظومة ابن الياسمين في الجبر، (التكملة 1492، الجدوة 237.
 الدخيرة 39).

هذه الكتب هي التي امكنني الآن استخراجها من المصادر
المشار لها تصريحاً في الاكثر وتلويحاً في الاقل.

وان هذه الكتب وان لم تستوعب كل كتب الدراسة في
هذا العهد، ولم تتناول كثيراً من كتب الفلسفة بسائر انواعها التي
كانت شائعة في هذا العصر، ولم تتناول كتب كثير من العلوم
الاخرى، فانها بالرغم عن ذلك تعطينا مثالا يدل على ما وراءه.

(5) ملاحظات

تبين مما ذكرنا عن مناهج التعليم واساليبه لهذا العهد امور
جديرة بالاهتمام. فان عبد المومن نشأ التلاميذ الذين جمعهم في مدرسته
على حفظ كثير من الكتب.

وكان هؤلاء التلاميذ كأبناء ليلة واحدة، وكانوا يمرنون
على انواع الرياضات، ويربون بالادب تارة وبالعطاء اخرى، وكانت
نفقتهم وسائر مؤونتهم على حساب عبد المومن - كما رأينا في التعليم
الجامعي؛ انهم كانوا يتدرجون بالتلاميذ في مدارج الثقيف - وفي
التعليم الاجباري انه كان حتى بالبربرة وتناول حتى النساء.

ولا نرى ان نمر بهذه النقط البارزة في تلك المناهج والاساليب
دون ان نعلق عليها في شيء من التوسع؛ ونبين ان الموحدين تأثروا
بالغزالي شيخ امامهم ابن تومرت في شيء غير قليل من تلك الانظمة،
فانهم قلده (1) في ادماج الرياضة في مناهج التعليم، هذه المسألة التي
اهملت باوربا في القرون الوسطى، واحياها الموحدون تبعاً للغزالي
الذي يقول في الاحياء: (3) 63 :- ويعود الصبي في بعض النهار المشي

والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل... وينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعباً جميلاً يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعليم دائماً يميّت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغض عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً - وانهم كانوا يرمون بهذا الى (2) قرن الخدمة العسكرية والتمارين في فنون الحرب بالتعليم ذلك انهم كانوا يخشون ان يؤدى من الانقطاع للعلم والدرس الى أضعاف الهمم وفتور الحماسة الحربية لدى المغاربة. انظر تاريخ الاندلس (2) 51.

كما تأثروا بالغزالي ايضاً في (3) مزج الادب بالعلم وفي هذا يقول في الاحياء (3) 63: ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وحفل محمود فينبغي ان يكرر عليه، ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس، فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه، فان عاد ثانياً فينبغي ان يعاتب سرّاً ويعظم الامر فيه... ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه.

وتأثروا به ايضاً في (4) مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ من رتبة الى رتبة وهذا كلام الاحياء في الموضوع (1) 51. وفيه يقرر انه يطلب من المعلم ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله، فينفره او يخبط عليه عقله... وانه ينبغي ان يلقي الى المتعلم القاصر الجلي اللائق به، ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه...

وان الموحدين لم يقفوا عند تقليد الغزالي؛ فقد ابتكروا

(5) التعليم الاجباري الذي لم يفكر فيه باوربا الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (م)، وجروا على منهاج (6) التعليم بأكثر من لغة، و (7) سنوا التعليم المجاني بأوسع معانيه، فان عبد المومن - كان زيادة على قيامه بنفقات التعليم - يقوم الى جانب ذلك بنفقة التلاميذ ومؤنتهم وخيلهم وعددهم كما تقدم لنا.

وكانوا يراعون (8) وحدة السن في التلاميذ الذين كانوا في مدرسة عبد المومن ثلاثة آلاف كأنهم ابناً ليلة واحدة، وكذا اهتموا (9) بالحفظ في هذه المدرسة اهتماما ظهر اثره في نبوغ حفاظ كبار في العهد الموحي في مختلف العلوم، وسوف يمر بنا ذكر زمرة كريمة من هؤلاء في تضعيف الحديث عن العلوم والآداب.

وبعد هذا ننبه - تعليقا على ادخالهم النساء في التعليم الاجباري - انهم لم يقفوا بالمرأة عند هذا الحد من التشقيف، بل وسعوا نطاق تعليمها وضربوا ببناتهم مثالا لما ينبغي ان تكون عليه المرأة المغربية، ومن بنات الخلفاء المثقفات التي حافظ عليها التاريخ (زينب بنت يوسف بن عبد المومن) حرم الامير عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن، اخذت عن ابي عبد الله بن ابراهيم علم الكلام وغير ذلك، وكانت عالمة حائبة الرأي فاضلة معروفة بالشفوف على نساء زمانها، ترجمها في (التكملة وزوائدها عدد 2122).

وكما ضربوا ذلك المثل الملكي لتعليم المرأة، كذلك نراهم يولون النساء المثقفات على عهدهم التفاتا خاصا يفتحون ابوابهم في وجوههن ويصلوهن، ويزيحن ظلامتهن ويستمعون - هم وبعض امرائهم - لادبهن. بل لقد وظفوا بعضهن معلمات بقصر الخلافة.

وعلى سبيل المثال نذكر (1) الادبية الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية

الغرناطية، كانت استاذة وقتها، وانتهت الى ان علمت النساء في دار المنصور، وتوفيت بمراكش آخر سنة 586. دائرة الاحاطة (1) 318. ومما قالته في عبد المومن وانشدته ارتجالا بين يديه:

ياسيد الناس يامن يؤمل الناس رفته

امن على بطرس يكون للدهر عدة

تخط يملك فيه الحمد لله وحده

التكملة 2891. النفح (2) 430.

وكتبت الى السيد ابي سعيد امير غرناطة تهنئه بيوم عيد:

ياذا العلى وابن الخليفة والامام المـرتضى

يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا

واتاك من تهواه في قيد الانابة والرضى

ليعيد من لذاته ما قد تصرف وانقضى

النفح (2) 433.

و (2) الادبية اسماء العامرية الاشيلية كتبت الى عبد المومن رسالة تمت اليه فيها بنسبها العامري وتسأله رفع الانزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة اولها:

عرفنا النصر والفتح المبيننا لسيدنا امير المومنيننا

اذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فيها شجوننا

ومنها: رويتم علمه فعلتموه وصنتم عهده فغدا مصونا

التكملة 2880. النفح (2) 493.

و (3) الادبية الشلية - لم يعرف اسمها - كتبت الى السلطان

يعقوب المنصور تتظلم من ولاية بلدها وصاحب خراجها:

قد آن ان تبكي العيون الابية
ياقاصد المصر الذي يرجى به
ناد الامير اذا وقفت ببابه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها
شلب كلا شلب وكانت جنة
خافوا وما خافوا عقوبة ربهم
ولقد ارى ان الحجارة باكية
ان قدر الرحمن وقع كراهيه
ياراعيا اب الرعية فانيه
وتركتها ذهب السباع العافيه
فاعادها الطاغون نارا حاميه
والله لا تخفى عليه خفيه
فيقال: انها القيت يوم جمعة على مطلى المنصور فلما قضى الصلاة
وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها وامر للمرأة بصلة .
التكملة 2890. النفع (2) 494.

ومن النساء الاندلسيات اللاتي دخلن المغرب لهذا العهد واتصلن بأعلامه
وتوفين به: (4) امرأة تسمى خيرونة او خدونة، كانت فقيهة سالحة.
ومما يذكر من مفاخرها ان باقتراحها وضع الامام السلاجي
عقيدته الشهيرة. توفيت سنة 594، ودفنت خارج باب الفتوح بآزاء قبر
الفقيه دراس ابن اسماعيل. مشاهير أعيان فاس في القديم المنسوب
لابن الاحمر (خ) الجذوة 290 السلوة (2) 183 .

وتتابع هذه الملاحظات ببيان ان منهاج الموحدين في التعليم
كان يقوم على (II) اختصار مراحل الدراسة، وهذا ما يفيد ظهور
نوابغ مبكرين على عهدهم.

وثبت من هؤلاء ابا محمد عبد الله ابن المعلم تولى
خطابة القرويين - وناهيك بها اذ ذاك - وسنه 18. سنة. قرطاس
42. وصاحب المعجب عبد الواحد المراكشي كان من هذا الرعيل
كما يفصح عن هذا كتابه المذكور، وكذا صديق له فقد اثبت لهذا
الصديق في المعجب (212 - 213) رسالة فائقة كتبها من انشائه وهو لا

زال لم يحتلم بعد. يضاف لهؤلاء الامام ابو عبد الله محمد بن يوسف
المزدغي الفاسي العالم الجامع المؤلف الكبير، توفي وهو ابن 32 سنة
فقط. جذوة 138 - 139 .

وكثيرا ما نرى الموحدين يهتمون بهذا النوع من النوابع المبكرين
فالوزير بن عطية واخوه ابو عقيل اللذان بلغا في اول الامر مبلغا كبيرا،
لدى عبد المومن قتلا، وسن الاول 36 سنة وعمر الثاني 23 سنة كما
يذكر هذا في الحلة السيرا لدى ترجمة عبد الله بن خيار الجياني.
وفي الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن فوق جبل
الفتح، انشد بين يديه الشاعر ابو عبد الله محمد بن غالب البلمسي
المعروف بالرصافي قصيدته المطولة وسنه اذ ذاك لا يبلغ العشرين
سنة. معجب 142، كما انشده في هذا اليوم الشاعر ابو حفص بن
سعيد العنسي قصيدة وهو لا زال حدث السن، حلل 118 .

كذلك نرى بن رشد الثاني يتولى القضاء بالمغرب والاندلس وهو
ابن 27 سنة الاعلام (3) 47 - 48 . وبعد ابن رشد نرى
ابا محمد بن الحفيد ابي بكر بن زهر الطبيب الاول للمخليفة
الناصر وجليسه، يتوفى وهو لا يتجاوز 25 سنة. طبقات الاطباء (2) 74 .

(6) تذييل

ونختم الحديث عن مناهج التعليم في هذا العهد بمسائل ثلاث:
(1) استدعاء العلماء للتدريس، قال في المعجب 227: وقد جرت
عادتهم - الموحدين - بالكتب الى البلاد واستجلاب العلماء الى حضرتهم
من اهل كل فن وخاصة اهل علم النظر.
ومن امثلة هذه العادة ما جاء في المصدر المذكور 130: ان عبد

المومن كان يستدعي اهل العلم من البلاد الى الكون عنده والجوار بحضرته، وما جاء في الاعلام (1) 65: انه في سنة 585 استدعى يعقوب المنصور العلماء ورواة الحديث وامرهم بتدريس حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي اسما طائفة من هؤلاء العلماء نذكرهم كمثال لسواهم وهم: ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي المالقي 509 - 581. تكملة 1613. وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الانصاري المالقي يعرف بابن الفخار 511 - 590. تكملة 836. وابو محمد عبد الله بن محمد الحجري المري 505 - 591. تكملة 1416. وابو الحسن نحية بن يحيى الرعيني الاشبيلي 521 - 597. تكملة 1276. وابو الوليد محمد بن احمد بن رشد الحفيد القرطبي 520 - 595. تكملة 1853. اعلام (3) 47. قرطاس 131. وابو بكر محمد بن عبد العزيز الرجيني السلاقي الاشبيلي ت 607 بغية 67 وابو جعفر احمد بن عتيق البلنسي 554 - 607. بغية 745. وابو عبد الله محمد بن احمد اللخمي التلمساني المكناسي الاصل ابن الحجام 558 - 614 اعلام (3) 87.

(2) انهم كانوا يبالغون في اختيار العلماء المدرسين وامتحانهم واختبارهم ومن امثلة هذا ما كتب به عبد المومن الى نوابه في شأن التعليم الاجباري، فانه اكد عليهم في اختيار طلبة امناء وان يكونوا من الذين يراقبون ويحافظون ولا يراعون في حقوق الله ولا يداهنون. انظر مجموع رسائل موحدية 137.

وفي شرح رقم الحلل 58. ان المنصور طلب يوما من قاضيه ان يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد وضبط امر فعرفه برجلين

قال في احدهما: وهو بحر في علمه، وقال في الآخر: وهو بر في دينه.
ولما خرج المنصور احضرهما واختبرهما فقصر ا بين يديه واكذبا الدعوى
فوقع المنصور على رقعة القاضي: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظهر
الفساد في البر والبحر.

(3) طلبة الموحدين: وكان المعتنون بالعلم قد قسمهم الموحدون
الى طبقتين: طلبة المطامدة وهم من عنى بالعلم من هؤلاء، وطلبة الحض
وهم العلماء من غير المطامدة من المغاربة والواردين على المغرب.
معجب 130، 227.

وكان الطلبة بقسميهم ناد يجتمعون فيه المناظرة
وامتحان الواردين من اهل العلم، أسسوه وسموه: بيت الطلبة. حسبما
يؤخذ هذا مما مر لنا عن العنوان 161 والنفج (1) 369.

كما كان لهم رؤساء مختارون من علية العلم وجلتهم نذكر
منهم على سبيل المثال: عبد الله بن محمد الانطاري يعرف بابن
المالقي، 574 رأس طلبة مراکش تكملة 1394. نيل 134. واحمد بن
عتيق البنمسي ابا جعفر الذهبي 607. كان مزوارا للطلبة.
طبقات الاطباء (2) 77. وعلي بن محمد الكتامي الحميري الفاسي
يعرف بابن القطان 628 رأس طلبة العلم بمراكش، تكملة 1920. نيل
207 جذوة 299. ووصفه في العنوان 21 بمزوار الطلبة بالمغرب.

ويفيد ابن ابي زرع في حوادث 573 ص 172: ان ابن المالقي
المذكور اولا انما كان رئيسا لطلبة المحضر فقط مما يشير الى انه
كان لكل صف من الطلبة رئيس خاص.

II الجامع العلمية

مجامع الخلفاء

كانت هذه المجامع يعقدها خلفاء الموحدين مع اشيخ علماء الموحدين، وكبار العلماء من الواردين عليهم من مختلف الجهات. معجب 227.

وكانت حافلة بالمذاكرة والمناظرة في أنواع العلوم لما كان يحضرها من علماء وادباء وأطباء وفلاسفة من مغاربة، ومن الواردين على المغرب مثل الذين جلبهم الى يوسف ابو بكر ابن طفيل. جاء في المعجب 158: ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار وينبئه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم، وسلف لنا انهم جرت عادتهم - الموحدين - بالكتب الى البلاد واستجلاب العلماء الى حضرته من اهل كل فن وخاصة اهل علم النظر.

ولم تكن هذه المجامع خاصة بفن بل كانت تتناول غير ما فن وكان لكل فن مجلس، فهناك مجلس للمذاكرة في الادب ومجلس للمذاكرة في العربية وهلم جرا. انظر طبقات الاطباء (2) 78 - 81.

وكانت تفتح بالقاء مسألة من العلم يلقيها الخليفة بنفسه او يلقيها باذنه بعض الجلسة من الحاضرين، وكان عبد المومن ويوسف ويعقوب يلقيون المسائل بانفسهم. معجب 227.

وكانت هذه المجالس مطبوعة بطابع النظام حتى في ترتيب الجلوس، فكان يجلس الى جانب الخليفة خطيبه فقاضي الجماعة

بمراكش فرئيس الأطباء، فأكبر علماء الحضرة، فباقي الاعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم. انظر طبقات الأطباء (2) 74.

وكان يجب ان يراعي الحاضرون في هذه المجامع ما يجب لمجالس الخلفاء من التزام الجد والمحافظة على الآداب المملوكية، فان ابا بكر محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري القرطبي، ت 567 كان يحضر مجلس عبد المومن مع جملة العلماء ويبيدي ما عنده من المعارف معظما موقرا الى ان انشد يوما في المجلس ابياتا ثلاثة قالها يتغزل في شاب من اهل اغمات، فكان هذا سببا لان هجره عبد المومن ومنعه من الحضور في مجلسه بل وصرف بنيه عن القراءة عليه. البغية 62 .

وكذا ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المهرري المشتهر بالاصولي، ت 614 ممن كان يحضر مجلس المنصور. فان عدم مراعاة هذا ما يجب من الاداب في المذاكرة مع الخلفاء كان من اقوى الاسباب لا لابعاده عن مجلس المنصور فقط، بل ولحلول النكبة التي لحقتهم مع ابن رشد. اعلام (3) 85 . واخيرا كانوا لا ينفصلون عن هذه المجالس الا على الدعاء يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهرا يسمع من بعد من الناس. معجب 227 .

وهذه اسما بعض البعض ممن كانوا يحضرون هذه المجامع: (1) ابو العباس احمد بن عبد الرحمن الانصاري يعرف بابن الصقر 492 - 569، التكملة القسم المفقود 201. القرطاس 131، مكنيا له ابا عبد الله. (2) محمد بن عبد الملك بن طفيل ابو بكر، ت 587. اخذا من المعجب 158. (3) ابو بكر محمد بن عبد الله بن الجد الفهري الاشبيلي 596 - 586. القرطاس، ص 131. (4) ابو زكريا

يحيى بن ابي الحجاج اللبلى، ت 590. صلة الصلة 370. بغية 411. (5)
 محمد بن احمد ابن رشد الثاني القرطبي 520 - 595. نفح (1) 75.
 (6) ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي، 507 -
 595. نفح (1) 75. (7) احمد بن عتيق البلسي ابو جعفر الذهبي
 554 - 601 طبقات الاطباء (2) 81. (8) احمد بن محمد بن هارون
 ابن عات النفري الشاطبي. ت 609 ديباج 60. (9) يوسف بن احمد
 ابن علي ابو الحجاج المريبطري، ت 619 طبقات الاطباء (2) 78.
 (10) ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك اللخمي الباجي
 الاشبيلي 564 - 635. قال في التكملة رقم 1006 ص 760: كان
 يتولى الاملاء في مجالس بني عبد المومن على الطلبة. (11) ابو عبد
 الله محمد بن حماد العجلاني الفاسي، ت 609 كان المخصوص بقراءة
 كتب الحديث ودواونه على الامراء، تكملة 1068.

مجامع الامراء

والامراء هم الآخرون كانت لهم مجامع علمية، منها مجالس
 الامير ابي زكريا يحيى بن يوسف بن عبد المومن، وممن كان
 يحضرها عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب المؤرخ الشهير، والكاتب
 الشاعر ابو اسحاق ابراهيم الزويلي، معجب 182.
 ومنها مجلس صاحب سبته الامير ابي يحيى بن ابي زكريا
 الذي ضم ابا الوليد الشقندي واما يحيى بن المعلم الطنجي حيث
 وقعت المناظرة في المفاضلة بين الاندلس والمغرب. وكان من فوائد
 هذا المجلس ان كتب كل من الشقندي وابي يحيى الطنجي
 رسالته. انظر نفح (2) 138.

المعارف

بعد تلك المقدمات ننقل الحديث الى المعارف على عهد الموحدين
لنراها كيف كانت - في ظل طابعهم الثلاثي - ناهضة مزدهرة،
وساتناولها على الترتيب التالي:

العلوم - الآداب - الفنون

العلوم

الدينية:

التفسير - العادي، الاشاري - التجويد، القراءات، الرسم، الحديث،
الفقه - الظاهري، المالكي - الفرائض، الوثائق، اصول الفقه، اصول
الكلام - العصمة والمهدوية -

اللسانية:

اللغة، النحو، البيان 3. العروض.

التاريخ:

السير، النسب، التراجم، تاريخ الملوك، تاريخ البلدان - الجغرافيا.

العقلية:

الطبيعية، العدد، الحساب، الجبر، المعاملات، الهندسة، التنجيم،
الهيئة، الميقات، الزيج، المنطق، الجدل، المناظرة، الكيمياء.
الطب، الصيدلة.

التفسير

التجويد-القراءات-الرسم-العادي-الاشاري

ان الموحدين اهتموا بالتفسير اهتماما كبيرا فاستدعوا المفسرين من الاندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة الذين نبغ منهم في هذا العهد مثل (1) ابي الحسن علي بن احمد التجيبي الحراي المراكشي ت 637. اقرأ الفاتحة في نحو ستة اشهر، وابتدع علما جديدا لقواعد التفسير، فكان يلقي في التعليم قوانين تنزل في علم التفسير منزلة اصول الفقه من الاحكام، وعلى احكام هذه القوانين الف كتابه: (مفتاح اللب المقفل. على فهم القرآن المنزل). انظر عنوان الدراية 85 - 86. و (2) عبد الجليل بن موسى الانطاري الاوسي القصري، ت 608. الف في تفسير القرآن، وفسر شكل الكتاب والسنة طعة ع 44. و (3) ابي عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي، ت 655 له كتاب في تفسير القرآن انتهى فيه الى سورة الفتح، جذوة 138. و (4) ابي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانطاري الفاسي، ت 662. اختصر الكشف للزمخشري وحذف منه مسائل الاعتزال، بغية 77. جذوة 144. و (5) ابي العباس احمد بن فرتوت السامي الفاسي، ت 660. الف في الاعلام المهمة في القرآن كتابه: الاستدراك والاتمام. استدرك فيه على السهيلي في كتابه: التعريف والاعلام بما ابهم في القرآن العزيز من الاسماء والاعلام، جذوة 57

ولم يكن اشتغالهم في هذا العهد بالتفسير العادي فقط بل تجاوزوه الى الاشتغال بالتفسير بالاشارة. وممن اشتغل به الحراي

الآنف الذكر، قال الذهبي: له تفسير فيه اشياء عجيبة تكلم في وقت خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج، ورأيت شيخنا المجد التنسي يتغالى في تفسيره.

قال بعضهم والموجود من تفسيره من اوله الى قوله تعالى في آل عمران: فلما دخل عليها زكريا المحراب، وهو تفسير حسن وعليه نسج البقاعي في مناسباته، وذكر ان هذا القدر هو الذي وقف عليه منه نقله في النيل 202.

وينبغي ان يذكر مع الحرالي ابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي، وسيأتي لنا: ان له تأليفا في اثبات الهداية الموحدية. استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز. وكذا بعض الافاضل الذين لقيهم بن عربي الحاتمي بفاس سنة 591، فقد ذكر عنه في كتابه الفتوحات انه استخرج - بحساب الجمل - من آية (انا فتحنا لك فتحا مبينا): انتصار الجيش الاسلامي في غزوة الارك في السنة المذكورة 591، الاستقفا (1) 179.

وكان تفسير بن برجان - بالاشارة - له رواج في هذا العهد ترجم في الصلة ع 370 لابي زكريا يحيى بن ابي الحجاج اللبلي السالف الذكر ص 40، وبعد ما ذكر انه نشأ بمراكش انتقل اليها صغيرا... قال: وهو الذي استخرج من تفسير ابي الحكم بن برجان من كلامه على سورة (الم غلبت الروم) فتح بيت المقدس في الوقت الذي فتح فيه على المسلمين، وحقق وعين ما كان اغمض فيه بن برجان وابهم، ووقف عليه المنصور فبقى مرتقبا له ومعتنيا في نفسه به حتى كان ذلك على حسب ما قاله... ونقله في بغية الوعاة، ص 411.

التجويد . القراءات . الرسم

وكان ملوك الموحدين اعتناءً بهذين العلوم فقد كان يوسف -
كما في المعجب- 155 - من احسن الناس الفاظاً بالقرآن ، ولما رفع
الى يعقوب ابو بكر يحيى بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي
نزيل سبئة (ت 602) اراجيزه الحسان في القراءات والتجويد ومخارج
الحروف اجازته المنصور عليها . حلة ع 376 .

وممن الف في القراءات على هذا العهد من المغاربة ابو عبد الله
محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي الفاسي (ت 656) صنف
شرح الشاطبية . شذرات الذهب (5) 283 - 284 .

وممن استوطن المغرب ابو عمر ومرجى ابن يونس الغافقي
الاندلسي الاصل كان ساكناً بطنجة وأقرأ بها وبسبئة ، وله شرح على قصيدة
الحصري في القراءات ، تكملة 1152 . وفي هذا العصر اقترح طلبة مراکش
على المقرئ أبي الحسن علي بن محمد المرادي البلبسي سكين المغرب :
ان يضع لهم تاليفاً في الرسم فنظم لهم في ايام قليلة رجزاً في رسم
هجاء المصحف ، سماه - المنصف - ودعا في طالعته لعبد المومن واولاده انظر
اوائل شرح ابن عاشر على مورد الضمان ، وابو الحسن هذا له ترجمة
في التكملة تحت عدد 2330 .

وبعد هذا نلفت النظر الى ان اعتناء الموحدين بالقرآن لم يقف
عند حد الاشتغال بالتفسير وما ذكر بعده ، وانهم اضافوا لذلك ان
انشأوا المحافظة على القرآن الكريم حزبا منه يقرأ يومياً بعد صلاة
الصبح والمغرب حسبما أمر بهذا يوسف في سائر البلاد التي تحت
طاعته . جذوة 47 .

الحديث

وكذا ازدهر الحديث في هذا العهد ازدهارا لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الموحدين به اهتماما كبيرا ظهر في استدعائهم للمحدثين من الاندلس وامرهم بتدريسه الى جانب المحدثين المغاربة، كما يعلم مما سلف ص 22.

وظهر ايضا ذلك الاهتمام في المكانة الكبرى التي كانت لطلاب الحديث في دولتهم وبخاصة ايام يعقوب، جاء في المعجب 188: ونال عنده - يعقوب - طلبية الحديث ما لم ينالوه في ايام ابيه وجده، هذا الى ان غير واحد من خلفائهم وامرائهم كانوا محدثين حفاظا، فيوسف كان يحفظ احد الصحيحين، معجب 155. ويعقوب كان يحفظ متون الاحاديث ويتقنها. نفح (2) 99 والمأمون كان معدودا من حفاظ الحديث لم يزل ايام خلافته يسرد كتب الاحاديث مثل البخاري والموطا وسنين ابي داود. قرطاس 161. الاستقصا (1) 200 وكذا الامير ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن قال في المعجب 207: لم ار في العلماء بعلم الاثر المتفرغين لذلك انقل منه للاثر.

ومن الادلة الاخرى لنفاق علم الحديث في هذا العهد قصة امتحان ابن عات المذكورة في عنوان الدراية 161. والنفح (1) 369 ببیت الطلبة بمراكش، فانهاتدل بدورها على عناية القوم بالحديث وامتحان الواردين عليهم من اهله ولقد كان من اثر هذه النهضة ان ظهر بالمغرب محدثون كبارا مثل (1) ابي الخطاب ابن

دحية السبتي كان يقول انه حفظ صحيح مسلم كله. الشذرات (5) 160.
وقد امتحن علماء مصر حفظه للحديث فذكروا له أحاديث
باسانيد حولوا متونها فاعاد هذه المتون المحولة وعرف عن تغييرها
ثم ذكر الاحاديث على ما هي عليه من متونها الاصلية. عنوان
الدراية 161 نفح (1) 369 و (2) عبد الرحمن بن محمد من اهل
تاسنا بالمغرب الاقصى يعرف بالمكنولي. قال في التكملة 1657: يقال
انه كان يستظهر كثيرا مما ألف في الاثار والاخبار وغيرها. و (3)
ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشريف الصقلي
الفاسي. قال في الذيل والتكملة كان راوية للحديث حافظا لمتونه
بصيرا بعلمه عارفا برجاله مشرفا على طبقاتهم وتواريخهم عنى بهذا
الشأن أتم عناية ودرسه ببلده. الاعلام (3) 79. و (4) أبي الحسن
علي بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي يعرف بأبن القطان
من ابصر الناس بصناعة الحديث واحفظهم لاسماء رجاله واشدهم عناية
بالرواية، قاله في التكملة 1920.

وقال ابن سعيد في رسالته التي ذيل بها رسالة
ابن حزم في مفاخر الاندلسيين: ان له في تفسير غريب
الحديث وفي رجاله مصنفات، واليه كانت النهاية والاشارة
في عصره.. نقله في النفح (2) 135. و (5) ابي اسحاق ابراهيم
ابن محمد بن احمد بن هارون المرادي الفاسي كان أحفظ اهل
زمانه للحديث واذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف
العالي، يقوم على الكتب الخمسة قياما حسنا، ويتكلم على اسانيدها
ومتونها لم يكن له في عصره مثيل. جذوة 84. الشذرات (5) 315.
و (5) أبي عبد الله محمد بن يحيى ابن صاف يعرف بالمواق

المراكشي ثم الفاسي الآتي الذكر كان كما في الذيل والتكملة
حافظا محدثا... ألف شرح مقدمة صحيح مسلم وجملة من شرح الموطا
وقف عليها ابن عبد الملك وقال انها في غاية من النبل وحسن
الوضع، الاعلام (3) 142.



الفقه

الظاهرى - المالكى - الفرائضى - الوثائق

ان الفقه ازدهر على هذا العهد ازدهارا كبيرا، ويلفت النظر فيه انه نهض في مظهرين، وشاع في مذهبين: المذهب الظاهري، والمذهب المالكى، وفيما يلي تفصيل حركة المذهبين:

المذهب الظاهري

وهذا المذهب كان محبوبا من طرف الخلفاء الموحدين، وبصفة اخص لدى يعقوب المنصور، فقد بلغ من اعجابه به الى حد ان كان يقول عن احد اشياخ الظاهرية الكبار - ابن حزم - ان كل العلماء عيال عليه. النفع (2) 162.

ويعقوب هذا هو الذي حمل الناس بالفعل على المذهب الظاهري واحرق كتب المالكية، وفاقا لما في المعجب - وسنورد عبارته - ولما في التكملة ع 870، وقوانين ابن حزم، والفكر السامي (4) 9 - 12. وجعل ابن خلكان - في الوفيات (2) 432، وقلده في الشذرات (4) 322 - عمل يعقوب هذا الزاما للاجتهاد واستنباط القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس، ولا شك ان هذا غلط من ابن خلكان ومقلده نشأ من بعد الدار، وانما الذي امر به يعقوب هو العمل بالمذهب الظاهري كما تنطق به عبارة غير واحد ممن ذكرنا اولاً.

ومن المفيد ان ننبه الى ان الذي قام به يعقوب

هو ابراز الفكرة وتنفيذها بصفة عملية، اما الفكرة نفسها فقد كان مسبوقةا بها، ويثبت المراكشي في المعجب 185: ان كلام يوسف وعبد المومن كانا يميلان الى هذا الرأي، الا انهما لم يظهرهما واطهره يعقوب، قال: يشهد لذلك عندي ما اخبرني به غير واحد ممن لقي الحافظ ابا بكر بن الجدة انه اخبرهم قال: لما دخلت على أمير المؤمنين ابي يعقوب اول دخلة دخلتها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي يا أبا بكر انا انظر في هذه الآراء المتشعبة التي احدثت في دين الله، رأييت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال أو خمسة اقوال او اكثر من هذا؟! في أي هذه الاقوال هو الحق؟! وايها يجب ان ياخذ به المقلد؟ فافتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك، فقال لي وقطع كلامي ابا بكر ليس الا هذا، و اشار الى المصحف، او هذا و اشار الى كتاب سنن ابي داود - وكان عن يمينه - او السيف، فظهر في ايام يعقوب هذا ما خفي في ايام ابيه وجده. هذا كلام المعجب. ونعلق عليه بيان الواقع ان مسألة الظاهرية ليست آتية من عبد المومن ثم يوسف فقط، وانما منشؤها الاصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، يدل لهذا ما اثبتته ابن الخطيب في شرح رقم الحلل (57): ان ابن تومرت كان ينكر كتب الرأي والتقليد، ومراد ابن الخطيب بهذا الانكار انه كان ينتحل المذهب الظاهري كما تنطق بهذا تحلية الونش-ريشي في المعيار (2) 361، للمذكور بالظاهري.

ويؤيده ايضا نسبه اليه في كتاب بيوتات فاس لابي زيد عبد الرحمن الثاني الفاسي وعبارته (5) ان ملوك الموحدين قد تحلوا بالمذهب المعروف لهم من انكار الرأي

في الفروع الفقهية والعمل شرعا على محض الظاهرية وجروا على ذلك سنين بطول اياتهم الى ان انقرضوا، اولهم في ذلك مهديهم اول ملوكهم...

فقد تبين ان هذه الفكرة متاطلة من ابن تومرت ولكنها لم تظهر الا على عهد يعقوب الذي ابرزها ونفذها بالفعل . ولا يرد على هذا ما جاء في القرطاس 124، ثم في الاستقصا (1) 150: ان عبد المومن امر سنة 555 بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث، وكتب بذلك الى طلبة المغرب والاندلس والعدوة . وبيان عدم ورود هذا النص على ما قررنا انه لا يفيد الا ان عبد المومن امر بما ذكر ليس الا، ولم يذكر ان هذا الامر نفذ لان التنفيذ غير واقع ولو وقع لكان جديرا بالتصريح به والتنصيص عليه . فكأن عبد المومن امر بذلك اولا ثم رأى ان الامر سابق لاوانه فوقفت المسألة عند حد الامر، ولم تدخل الى حيز التنفيذ . هكذا ينبغي ان يفهم كلام القرطاس والاستقصا وما على شاكلتهما، وذلك هو المحمل الذي يتعين ان يحمل عليه، وبه يحصل الجمع بينه وبين كلام المؤخرين الذين ذكروهم في صدر هذا الموضوع بما فيهم من عبد الواحد المراكشي الذي كان معاصرا للدواة الموحدية ومطلعا على اخبارها .

وبعد هذا نذكر تفصيل عمل يعقوب في حمل الناس على المذهب الظاهري وتحريق كتب الفروع، وتوعد من خالف امره في ذلك قال في المعجب (184): وفي ايامه - يعقوب - انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وامر باحراق كتب المذهب بعد ان يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك فاحرق

منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس
ونواذر ابن ابي زيد ومختصره. وكتاب التهذيب المبرادعي وواضحة
ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها.

لقد شهدت منها وانا يومئذ بمدينة فاس يوتى منها بالاحمال فتوضع
ويطلق فيها النار، وتقدم الى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي
والخوض في شيء منه وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة...

وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة
وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. ومما يفسر تلك
العقوبة الشديدة التي توعد بها يعقوب من اشتغل بالفقه المالكي ما
ورد في كتاب بيوتات فاس المذكور آنفا (5) ان الموحدین -
والمراد يعقوب - اوقعوا المحسن بدوي الفروع وقتلوههم وضربوههم
بالسياط والزموهم الايمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما على
ان لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه.

ولقد استفاد الفقه من هذه الحركة الظاهرية ان نبغ في هذا
العصر فقهاء عظام يستنبطون الفقه من معين الكتاب والسنة ويفتقون
ويحكمون بها، وكان على رأس هذه الطائفة يرعاها ويشجعها
يعقوب المنصور، ذكر عنه السرخسي في رحلته: انه يتكلم في الفقه
كلما بليغا، وان فقهاء وقته كانوا يرجعون اليه في الفتاوي، وله
فتاوي مجموعة... نقله في النسخ (2) 99.

كما ذكر عنه في المعجب 184: انه امر جماعة
ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع احاديث من
المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن ابي داود
وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن ابي شعبة، وسند الدراقطني

وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها، على نحو الاحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة، فاجابوه الى ذلك وجمعوا ما امرهم بجمعه، فكان يمليه بنفسه على الناس وياخذهم بحفظه. وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة، فكان يجعل لمن حفظه الجعل السنني من الكسا والاموال. وبعد يعقوب نذكر بعض المغاربة الآخرين الذين كانوا حينئذ ينتحلون هذا المذهب، ومنهم ابو الحسن علي بن محمد بن خيار البلنسي الاصل الفاسي 541 - 605. التكملة 1917 الذخيرة السنية 40 - 41. الجدوة، 306 - 307 وابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن هارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد، ت 663. الجدوة 84. وكذا ابو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي 547 - 633 واخوه ابو عمر 546 - 634. وصفهما بن خلكان في الوفيات (2) 432 بالاجتهاد والمراد انهما كانا معتنقين للمذهب الظاهري اخذاً مما تقدم، وقد صرح بهذا في الشذرات (5) 160 في حق ابي الخطاب.

وكما استفاد الفقه ما ذكر، كذلك ظهرت تأليف مهمة في احاديث الاحكام استدراكا ونقدا وشرحا فقد استدرك القاضي الصقلي على الاحكام الكبرى لعبد الحق احاديث كثيرة في اكثر الكتب رأى ان صاحب الاحكام اغفلها، وانها اولي بالذكر مما اورده الاعلام (3) 79. وألف ابن القطان كتابا في بيان الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام صلة الصلة 268. وتعقب كتاب ابن القطان تلميذه ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن حاف يعرف بالمواق، الاعلام (3) 141. كما شرح احكام عبد الحق الامام المزدغي الفاسي انتهى الى الاقضية منها. وسمى الشرح انوار الافهام في شرح الاحكام. الجدوة 138.

الفقه المالكي

وبقدر ما كان الخلفاء الموحدون محبين للمذهب الظاهري كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب، متعصبين للمذهب المالكي مناصرين له، وللتدليل على هذا نثبت فيما يأتي جملة مهمة من المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي لهذا العهد، ومنهم أبو محمد يشكر بن موسى الجوراء، الغفجومي ثم الفاسي فقيهها، ت 598. له حواشي على المدونة (وفيات ابن قنفذ 46). عبد الرحيم بن عمر اليزناسني كان يعيش نحو أواخر القرن السادس أمام في فقه مالك محصل له العنوان 153 - 154. الجذوة 266 - 267. أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي كان حياً في التاريخ المذكور. ألف مناهج التحصيل فيما للائمة على المدونة من التأويل. (النيل 200) إسحاق بن إبراهيم الغماري السعدي المجابري قاضي فاس وسبته وشلب. ت 609. فقيه مالكي حافظ للرأي قائم على المدونة، يقال: إنه كان يستظهرها. القسم المفقود من التكملة ع 517. الجذوة 99، النيل 99. أبو زيد عبد الرحمان بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيق، ت 612. كانت تشد إليه الرحال في مذهب مالك، وكان يقوم على المدونة قياماً تاماً، الجذوة 254. عبد الله بن محمد التادلي كان حياً سنة 623. كتبت المدونة من حفظه. النيل 138. أبو محمد صالح الفاسي، ت 631⁽¹⁾ قيد عنه شرح الرسالة المجهول. الديباج 129 - 130. أبو الحسن علي بن أحمد التحبيبي المعروف بالحرالي

(1) هذا ما أثبتته الديباج في تاريخ وفاة أبي محمد صالح الفاسي. والصحيح أنها كانت عام 653 انظر السلو (2) 43.

المراكشي، ت 637. من اعلم الناس بمذهب مالك ولما ظن فقهاء عصره انه لا يحسن المذهب أقرأ التهذيب وابدى فيه الغرائب. وبين مخالفته للمدونة في بعض المواضع... العنوا ت 85 - 86. النيل 201. النفح (1) 411.

فهذه زمرة كريمة من الفقهاء المغاربة الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكي ويتعصبون له، ولم يكن هذا في المغرب وحده، وان الاندلس هي الاخرى كان لمذهب مالك بها رواج حينئذ ونذكر من رجاله على سبيل المثال: سليمان بن عبد الواحد الغرناطي، ت 599. الف في الفقه كتاب المسائل المجموعة على التهذيب للبرادعي في تسعة اسفار. الديباج 123. وجعفر بن عبد الله الخزاعي الاندلسي ت 624. حفظ نصف المدونة واقرها، النيل، 103. وعبد الله بن علي الانصاري الاوسي الاندلسي الاستجي، ت 646. كان يدرس الاصول ومذهب مالك باشبيلية وقرطبة، التكملة 1461. بل ان بعض اعلام المالكية لهذا العهد جاهر بالرد على شيخ الظاهرية الثاني ابي محمد ابن حزم.

ومن هذا الصنف ابو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الانصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون 539 - 621. الف المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم التكملة 967 الديباج 286. الشذرات (5) 96. ومن هذا الصنف ايضا من تقلد القضاء في عاصمتي الموحدين: مراكش بالمغرب واشبيلية بالاندلس، وهو ابو محمد عبد الحق بن عبد الله الانصاري المهدوي الاصل، ت 631 له بدوره كتاب في الرد على ابن حزم، دل على فضله وعلمه، قاله في التكملة ع 1812 ونقله في النيل 184.

الفرائض . الوثائق .

ويتبع الفقه الفرائض والوثائق، وقد كانا مزدهرين على هذا العهد، وممن ألف في الفرائض أبو الحسن الحرالي الآنف الذكر، قال في عنوان الدراية 87: ان كتابه في علم الفرائض المسمى بالوافي ما ألف مثله في ذلك الفن لانه اعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة باختر بيان واوضح تبيان، كما ألف في الوثائق أبو الحسن علي ابن يحيى الصنهاجي الريفى، (ت 585): مختصرة المقصد المحمود في تلخيص العقود، وهو كتاب مفيد جدا قال في التكملة رقم 2378: وكثر استعمال الناس له لجودته.



اصول الفقه - اصول الدين

المهدوية والعصمة

وعلم اصول الفقه شاع في هذا العهد بعد ان لم يكن كذلك بالمغرب، يقول ابن رشد في كتابه فصل المقال (5) : ان علم الاصول يدرس في جميع البلاد ما عدا المغرب.

أما الكلام فكان قبل انما هي العقيدة السلفية، وفي هذا العصر تقرر علم الكلام على مذهب امام الموحدين - ابن تومرت - في التوحيد وكان مذهبه فيه كما في المعجب (121) على مذهب الاشعري في اكثر المسائل الا في اثبات الصفات فانه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئا من التشيع غير انه لم يظهر منه الى العامة شيئا.

ولقد ازدهر العلمان في ظل الموحدين ازدهارا ناهيك منه ان الاندلسيين صاروا يرحلون الى المغرب لقراءة هذين العلمين، ترجم في التكملة 1445 لابي محمد عبد الله بن باديس بن عبد الله اليحوي الاندلسي من اهل جزيرة شقر، ت 622 فذكر عنه انه ارتحل الى فاس فلقى بها أبا الحجاج بن نموي وطبقته من اهل علم الكلام واصول الفقه فأخذ عنهم.

ومن اشياخ المغرب في هذين العلمين ابو الحسن علي بن محمد بن خايد الاندلسي المعروف بابن الاشبيلي، ت 567 قال في الصلة في ترجمته 205 : وهو الذي قرر علم الاصول وعلم الكلام بمدينة فاس حيث انه استقر بها، وكذا ابو عمر عثمان بن عبد الله

القيسي القرشي المعروف بالسلالجي، ت 564 تلميذ ابي الحسن
قبله، واليه يرجع الباسيين في علم الكلام، حلة 205 وهو منقذ اهل
فاس من التجسيم. جذوة 290. ومختصره في التوحيد المسمى
بالعقيدة البرهانية والذي لا زال مخطوطا مشهوراً محفوظ في بعض
المكاتب. وقد شرحه ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله الانصاري
الاشبيلي المعروف بالحفاف. كما في كشف الظنون.

وممن نبغ من المغاربة الآخرين في العلمين ابو عبد الله محمد بن عبد
الكريم الفندلاوي الفاسي يعرف بابن الكتاني، ت 596 كان اماما في
علم الكلام واصل الفقه وله رجز في هذا العلم الثاني. تكملة 1062
وابو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الاصل الفاسي يعرف
بابن الحطار. ت 611. صنف في اصول الفقه كتاب الناسخ والمنسوخ
وكتاب البيان في تنقيح البرهان، وارجوزة في اصول الدين شرحها
في اربعة اسفار. تكملة 1918 وابو الحجاج يوسف بن عبد الصمد
الفاسي يعرف بابن غوي 554 - 614 كان اماما في علم الاصول
والكلام... تكملة 2099



المهدوية والعصمة:

ومن نوابغ علم الكلام مسألة المهدوية والعصمة لابن تومرت فقد كانت هذه في اول امر الموحدين عقيدة مفروضة لا مجال للبحث فيها، ولقد بلغت من السمو اول ايامهم الى حد ان بعض علمائهم وضع تاليفا في اثبات الهداية الموحدية، استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز. قال ابن غازي في الروض الهتون بعد هذا: **كان** شيوخ طلبة الموحدين يسالون ابدا عن هذا الكتاب ويثنون عليه وعلى واضعه الى ان ولى الشيخ ابو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن ايوب المطالي عمل مكناس، وكان متشيعا للمهدي حافظا لتأليفه قائما على مذهبه من طلبة الموحدين وزهادهم، وكان ناقدا عليهم غير راض عما ابتدعوه فالج في طلب هذا الكتاب حتى ظفر به فكان آخر العهد به. ومؤلف هذا الكتاب **كما** في المصدر المذكور هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن حماد بن زغبوش المكناسي وله ترجمة في التكملة تحت عدد 1486 باسم عبد الله بن حماد...

ولئن بلغت هذه العقيدة اول ايام الموحدين المبلغ الذي وصفنا فانها لم تلبث ان اخذت تفقد صولتها، فقد كان يعقوب المنصور لا يرى رأي الموحدين في ابن تومرت ولا يقول بعصمته. ارجع الى المعجب 193. ثم اجهز على هذه العقيدة تماما ادريس المامون الموحدي الذي لعن ابن تومرت فوق منبر جامع المنصور بمراكش وقال: أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم، وأعلن نبذ أمره النحس - على حد تعبيره - ثم كتب الى جميع البلاد بتغيير سير المهدي وما كان ابتدعه للموحدين وجرى عليهم وسيّر ملوكهم. انظر القرطاس 161.

العلوم اللسانية

لغة - نحو - بيان - عروض

ان هذه العلوم كانت شائعة في هذا العهد ولا سيما اللغة والنحو، فقد بلغا غاية كبرى، وكان على رأس اعلامهما يوسف بن عبد المومن الذي كان من احفظ الناس للغة، واسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو. معجب 155 .

وفيما يخص اللغة ظهر لهذا العهد لغويون حفاظ كبار، منهم محمد بن عبد المنعم الضهاجي السبتي لم يستظهر احد في زمنه منها ما استظهره. بغية 69. وكذا ابو الخطاب بن دحية. عنوان 160. واخوه ابو عمر بن دحية صلة 140 الوفيات (1) 482. النفح (1) 366.

ومن اللغويين الذين كانوا موجودين بالمغرب في هذا العصر ابو القاسم علي بن حمزة البصري، فقد اكتشف بمكتبة القرويين اوراق من تأليف في اللغة بخط مؤلفه المذكور كتبها برباط الفتح سنة 586. وكذا ابو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ الاودي المعروف بابن المناصف 563 - 620 كان له حظ وافر من اللغة، وله فيها: ارجوزته الالفية الفارقة المسماة المذهبة في الحلى والشيات وغيرها نظمها بمراكش كما في النيل 229، توجد نسخة منها بمكتبة برلين تحت عدد 5370، واخرى بمكتبة الاسكوريال باسبانيا تحت عدد 518، وفي بعض المكاتب بالمغرب وقد نشرت كاملة ضمن التقويم الجزائري لسنة 1330 = 1912، صحائف 73 - 122. وعلم لنحو كذلك ازدهر حتى في مدن المغرب الثانوية، ومنها

طنجة التي كانت احد مراكز النحو، وفي هذا العهد رفع نحاتها ومقرؤها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من اهل اشبيلية حيث انتدب للجواب عنها في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف بن محمد ابن صاب اللخمي الاشبيلي 512 - 586، تكملة 821، بغية 40. ولا شك ان رئيس نحاة المغرب في هذا الوقت هو ابو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي المراكشي، ت 607 له: المقدمة المشهورة التي فيها املاء على الجمل للزجاجي، وتسمى بعده اسماً: بالمقدمة الجزولية وبالجزولية، وبالقانون والاعتماد، وبالقانون. وهي كتاب جليل في هذا الفن قال عنها ابن خلكان في الوفيات (1) 498: ولقد اتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الايجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو، ولم يسبق الى مثلها واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها، ومنهم من وضع لها أمثلة ومع هذا فلا تفهم حقيقتها، واكثر النحاة ممن لم يكن قد اخذوها عن موقف يعترفون بقصور افهامهم عن ادراك مراده منها فانها كلها رموز واشارات.

ولقد سمعت من بعض ائمة العربية المشار اليه في وقته وهو يقول: انا ما اعرف هذه المقدمة، وما يلزم من كوني ما اعرفها ان لا اعرف النحو وبالأجملة فانه ابداع فيها. وقال عنها ابن مالك اول شرحه عليها: ان كتاب القانون في النحو وان كان صغير الحجم لانه كثير العلم مستعصى على الفهم، مشتمل على لباب الادب منظو على سر كلام العرب متضمن للنكات الغريبة التي خلا عنها اكثر شروح النحو... ذكره في كشف الظنون (2) 505.

ولهذه الاهمية الكبرى التي للجزولية اشتهرت من عصر مؤلفها وقرئت عليه، صلة 95. كما وضعت عليها شروح عديدة في عصر

المؤلف وقريب منه، كتبها غير واحد من المغاربة والاندلسيين وغيرهم
وفي مقدمة المغاربة الجزولي نفسه، شرحها في مجلد كبير اتي فيه
بغرائب وفوائد وفيات (1) 499 .

ومن الاندلسيين امام نحاتهم في عصره ابو الحسن بن عصفور
الحضرمي 597 - 663. بغية 357. وكان هذا الشرح يحتاج الى تكميل
فاتمه الشلوبين الصغير الاندلسي تلميذ بن عصفور، ت حدود 660.
بغية 80 .

وسوى هؤلاء كثير، وسيمر بنا بعضهم، وتوجد طائفة من شروح
الجزولية بمكتبة القرويين بفاس ارقام: 1181، 1185، 1192، 1198.
وبمكتبة الاسكوريال من اسبانيا ارقام 2، 36، 190.

ومن مؤلفات الجزولي الاخرى: شرح اصول بن السراج بغية
339 . اما بقية النحاة المغاربة فمنهم ابو القاسم عبد الرحمان بن
القاسم بن يوسف المغيلي الفاسي، ت 619 من اعيان اهل هذا
الشان، تكملة 1656. بغية 300 - 301 وابو العباس احمد بن محمد
ابن خلف البكري السلوي ثم المراكشي، 581 - 641 له: شرح على
المفصل، وشرح على الجزولية، بغية 156 - 157. وابو عبد الله محمد بن
يحيى بن داود التادلي المراكشي، مبرز في النحو متحقق به درسه
طويلا. الاعلام (3) 144. وابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد
الرحمن المصمودي، ت 649 النحوي الامام، كان يقرأ كتاب سيبويه.
بغية 301 . وابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد العبدري الفاسي
يعرف بالصولي، ت 651 من ايمة هذا الشأن وحفاظه. بغية 114.
جدوة 138 .

ونختم ذكر علماء النحو بعد علماء اللغة بعالم لغوي نحوي

وهو ابو عبد الله محمد بن احمد هشام اللخمي السبتي، ت 570 كان قائما على العربية واللغة والف فيهما: كتاب الفصول والجمال في شرح أبيات الجمل، واصلاح ما وقع في شواهد سيبويه وفي شرحها - للاعلام - من الوهم والخلل، وكتاب لحن العامة وشرح الفصيح لتعلب. تكملة 1053. بغية 19 - 20.



وعلمو البيان هي الاخرى كان لها بعض رواج على هذا العهد سيما في اواخره. ولا شك ان من ابرز شخصياتها حينئذ ابو عبد الله محمد بن العابد الانصاري الفاسي اخذا مما تقدم عنه لدى الحديث عن علم التفسير: انه اختصر الكشف للزمخشري... فان هذا الكتاب لا يمكن ان يقرأه فضلا عن ان يختصره الا من كانت له ملكة تامة في هذه العلوم. وراجع مقدمة ابن خلدون 507. وكذلك علم العروض كان شائعا في هذا العصر، ومن الف فيه ممن استوطن فاسا: ابو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجياني الاصل 535 - 604 له فيه تأليف صغير. التكملة ع 1098.



التاريخ

السير - النسب - التراجم

تاريخ الملوك - تاريخ البلدان

ان التاريخ ازدهر بهذا العهد ازدهارا يتناسب ومقام الموحدين العلمي، وظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين المغاربة كتبوا تواريخ عديدة، وتناولوا كثيرا من فنون التاريخ فألفوا في السير، والانساب، والتراجم، وتاريخ الملوك، وتاريخ البلدان، وفي غير ذلك، وهذا تفصيل الفنون التي ألفوا فيها:

فن السير:

من حسن الصدف ان نجد - في هذا العهد - مغربيين من اهل سبتة كانوا من اول من ابتكر التأليف في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. واول هذين المغربيين هو ابو العباس احمد بن محمد العزفي اللخمي 557 - 633 له: (1) الدر المنظم في مولد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وقد اكمله والده ابو القاسم ذكر فيه بعض ما خص به النبي (ص) وفضل به، وما امتن به عليه وعلى امته.... انظر: ازهار الرياض (2) 375 - 376، توجد نسخة منه بالمكتبة الزيدانية العامرة بمكناس في مجلد كبير.

اما المغربي الثاني فهو ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية الكلبي المعروف بابن الجميل 547 - 633 الف (2) كتاب التنوير، في مولد السراج المنير. انظر وفيات الاعيان (1) 482 والنفح (1) 371.

ومن مؤلفات المغاربة الاخرى فى السير: (3) اللمعة فى ذكر
ازواج النبي (ص) واولاده السبعة، تصنيف ابي عبد الله محمد بن
قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ت 603.
السلوة (3) 269 (4) كتاب نهاية السؤل، فى خصائص الرسول.
(5) الآيات البينات، فى ذكر ما فى اعضاء رسول الله (ص) من
المعجزات. ومن ملحقات السير: (6) كتاب الاعلام المبين، فى
المفاضلة بين اهل صفين. الثلاثة لابي الخطاب ابن دحية، نفح (1) 371.
فن النسب:

وهذا الفن كان به مزيد اعتناء فى هذه الدولة، ومن مظاهر
هذا ما ذكره ابو القاسم الزيداني فى كتابه: تحفة الحادي المطرب،
فى رفع نسب شرفاء المغرب (خ) فانه بعد ما ذكر ان منصب النقابة
فى بني امية وبني العباس كان يعدل منصب الوزارة، وافاض فى
هذا، قال: وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب او قريب منه ايام
لمتونة والموحدين... كما ذكر قبل هذا عند حديثه عن بيت آل
عبد الرحمان من ذرية السيد عبد الله بن المولى ادريس الثانى: انه
كان فى هذه العائلة نقيب الاشراف ايام الموحدين.

ومن التاليف التى وضعت فى النسب لهذا العهد: (7) كتاب
الانساب فى معرفة الاصحاب، مؤلف مجهول كان يعيش فى هذا
العهد، وقد عثر الاستاذ: م ليفي بروفنسال فى مكتبة الاسكوريال
على تاليف مقتبس منه فاخرجه وصححه وترجمه للفرنسية ونشره
سنة 1928 ضمن: (كتاب اخبار المهدي للبندق) (8) تقييد ابي عبد
الله المراكشي المعروف بالاصولي فى الشرفاء العمرانيين، وبعض
وفيات الاعيان وغير ذلك من الامور المهمة الاعلام (3) 86.

التراجيم:

وزيادة على ما ذكر، فقد قامت لكتب التراجيم سوق في هذه الدولة، ومنها:

(9) ذيل الصلة البشكوالية لابي العباس احمد بن يوسف ابن فرتوت السلمي الفاسي ت 660 عن نيف وثمانين سنة، وهو كتاب حفيظ، وان كان مؤلفه لم يتفرغ لتنقيحه وتصحيحه. جذوة 56. ومما يدل على اهميته، ما ذكره الاستاذ بروفسال في تصديره المقسم المطبوع من صله الصلة ان اهم ماخذ ابن الزبير في مجموعته اثنان: تاريخ الملاحي والذيل لابن فرتوت الذي هو من اشياخ ابن الزبير نفسه، قال: فكاد ينقل من كتاب الذيل في كل ترجمة من تراجم مجموعته ويذكره قائلا: قال الشيخ في الذيل. ومن كتب التراجيم: (10) اختصار المدارك لابي عبد الله بن حماد السبتي تلميذ القاضي عياض، ولا نعلم عن هذا المؤلف شيئا⁽¹⁾ كما اننا لا نعلم عن المؤلف سوى انه من جملة مراجع صاحب الديباج، وهو الذي نبه اليه اولا، ص 361. ثم من مراجع مؤلف الدر النفيس الذي نبه عليه ثانيا، ص 16 وافادنا انه بقي موجودا الى عصره. (11) كتاب المتسفاد. في ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد. في سفرين تصنيف ابي عبد الله بن عبد الكريم التميمي المار الذكر انظر عن نسبة الكتاب للمؤلف المذكور: السلوة (3) 269 - 304.

(1) يوجد في الجذوة 304. والسلوة (3) 309 - 310 ترجمة لابن حماد السبتي ولكن بكنية ابي الحسن وهذا موجز ما كتب عنه: علي بن موسى بن حماد من اهل عدوة سبتة يكنى ابا الحسن من اهل العلم والادب والنباهة، توفي بفاس سنة 564 ومولده سنة 503.

والفتوحات (1) 244. والغالب ان هذا الكتاب هو المذكور في كشف الظنون في حرف التاء باسم تاريخ فاس لابن عبد الكريم (12) بستان العابدين، وريحان العارفين، في ذكر اهل الصفة، والانقطاع الى الله بالخلوة. للمؤلف المذكور. السلسلة (3) 269. (13) التشوف، الى رجال التصوف. لابي الحجاج يوسف بن يحيى التادلي، ت 627، مخطوط محفوظ بعدة خزائن. (14) تاليف في صلحاء المغرب للمؤلف المذكور. النيل 352 (15) تصنيف ابي الخطاب ابن دحية في رجال الحديث، رآه القبريني وذكرانه لاباس به، عنوان 161. (16) شيوخ الدرا قطني، لابي عبد الله محمد بن يحيى بن المداق المراكشي ثم الفاسي 583 - 642. الاعلام (3) 142.

البرامج والفهارس :

وهي في عداد كتب التراجم، ومما ظهر منها في هذا العهد:

(17) برنامج عبد الرحيم ابن الملقوم الفاسي 524 - 603. حلة 358.

(18) فهرسة محمد بن قاسم التميمي السالف الذكر، التي جمعت نحو من 100 شيخ، واسمها: النجوم المشرقة، في ذكر من اخذت عنه من كل ثبت وثقة. (19) اختصارها. تكملة 1064. (20) فهرسة ابي الصبر السبتي، ت 609 حلة 201 - ت 2380. (21) برنامج ابي القطان الفاسي ت 628. زوائد التكملة عدد 1920. (22) برنامج ابي العباس العزمي السبتي ت 557 - 633 حلة 357. زوائد التكملة 1903. (23) فهرسة ابي الحسن علي الغافقي الشاري ت 649. فهرس الفهارس (2) 251. (24) برنامج ابي العباس ابن فرتوت الفاسي. ج-دوة 57.

والغالب ان من نوع فن التراجم (25) تقييد ابي زيد عبد الرحمن ابن الملجوم الفاسي الذي نسبته له في ترجمته من التكملة 1652. وعبارته في تحليلته: من اهل المعرفة بالشعر والانساب والحفظ للتواريخ وله في ذلك تقييد مفيد، وقد وقع النقل عن هذا التقييد في زوائد التكملة عدد 2119.

تاريخ الملوك:

(26) تاريخ الدولة العباسية، المسمى: كتاب النبراس، في اخبار خلفاء بني العباس، لابن دحية. نفح (1) 371. (27) كتاب المجموع في تاريخ الموحدين، لمؤلف غير معروف من اهل هذا العصر اقتبس منه البيهقي في تاريخه الآتي الذكر 81 - 84. وقد يكون من مصادر الانيس المطرب ينقل عنه باسم بعض المؤرخين، كانه لم يقف كذلك على اسم مؤلفه. انظر 113 و 114. (28) تاريخ الموحدين لابي بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيهقي، وهو عبارة عن مذكرات شاهد عيان، كتبها المؤلف المذكور عن قيام الموحدين وانتهى الى اواخر ايام عبد المومن، وهو مطبوع مترجم ايضا ضمن (كتاب اخبار المهدي للبيهقي).

تاريخ البلدان:

(29) المعجب، في اخبار المغرب. لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي 581 - 625 مشهور مطبوع مترجم (30) تقييد القاضي ابي الخطاب سهل بن القاسم زغبوش المكناسي في تاريخ مكناس وهو احد مصادر ابن غيازي خلال الروض الهتون.

وينبغي ان يلحق بهذا النوع (31) رسالة ابي يحيى ابن المعلم الطنجي في تفضيل المغرب على الاندلس، هذه الرسالة التي عارض بها ابا الوليد الشقندي الذي فضل الاندلس على المغرب، وكان كل هذا بملجس الامير ابي يحيى ابن ابي زكريا والي سبتة، فان ابا يحيى بن المعلم كتب رسالته المذكورة كما ينطق بهذا كلام النفع (2) 138 في حديثه عن هذه القصة، الا ان رسالة الشقندي حفظها قومه وخلدوها، ورسالة ابي يحيى اهملها اهله واضاعوها.

ونذيل الحديث عن التاريخ لهذا العهد بالتنبيه على اوهام وقع فيها المؤرخ الالماني يوسف اشباخ في كتابه : (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين) عند تعرضه لبعض مؤرخي هذا العصر (2) 262، فقد ذكر : ان من مؤرخيه ابا علي بن رشيد، وابن ختم، وقد عاشا في اواسط القرن الثاني عشر، وعاصرا المهدي وحملاه عليه صراحة . وقد اختصرهما ابو مروان الذي عاش في القرن الثالث عشر. هذا كلام المؤرخ الالماني ونعلق عليه اولا بان الظاهر ان غالبه مأخوذ من الحلل الموشية 75 .

وعبارتهما بعد ذكر نسب المهدي ابن تومرت الى علي بن ابي طالب : اثبت هذا النسب ابو علي بن رشيق في شجرة انساب الخلفاء والامراء . وحققه ابن القطان واختصره ابو مروان ابن صاحب الصلاة . فقد بينت الحلل الموشية ان المؤرخين الذين مسخ اسماهما الى ابن رشيد وابن ختم انما هما ابن رشيق وابن القطان ، كما انها لا تنص على معاصرة هذين المؤرخين للمهدي، وسياتي ما يؤيد هذا في الجملة ، واخيرا تذكر الحلل ان ابن صاحب الصلاة انما اختصر النسب ولم يختصر التأليفين .

وبعد هذا فمن هم هؤلاء المؤرخون ابن رشيق وابن القطان
وابن صاحب الصلاة؟ اما ابن رشيق فقد عقد له ترجمة في الجدوة
111 - 112 وسماه الحسن بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي
يكنى ابا علي، مرسى الاصل، سبتي الاستيطان، وبعد ما وصفه باوصاف
عالية ذكر له : التاريخ الكبير، وميزان العمل وغيره.

ومن هذا الغير شجرة انساب الخلفاء والامراء، الذي نقلت عنه الحلل
الموشية آنفا، واننا لا نعلم شيئا عن التاريخ الكبير، كما لا نعلم عن
شجرة الانساب سوى انه احد مصادر الحلل، اما الكتاب الثالث ميزان
العمل، فهو ايضا من مصادر الانيس انظر ص 114. وقد حظى بشيء
من الاعتبار من صاحب كشف الظنون فوصفه في العبارات التالية :
ميزان العمل في التاريخ، اقتصر فيه على عدد الايام من دول الملوك .
ومن المفيد ان ننبه الى ان صاحب الجدوة قال عن ابن رشيق
انه كان حيا سنة 777 ولا شك انه سبقه القلم فجعل سبعمائة عوض
ستمائة، كما ان صاحب الكشف التبس عليه ابن رشيق هذا المرسى
ثم السبتي بابن رشيق القيرواني، فنسب ميزان العمل للثاني غلطا،
والانيس هو الآخر تصفه نسخه المتداولة بابن رشيق المولى
تصنيف المرسى .

اما ابن القطان فلا نعلم عنه اكثر مما ذكره الاستاذ م . ليفي
بروفنسال في مقدمة (مجموع رسائل موحدية) : انه عشر على جز
من كتاب : (نظم الجمان) لابن القطان، يشتمل على تاريخ ابتداء
الموحدين، وسيطع عن قريب، (ولم يطبع وقد مر على هذا الوعد زمن
غير قريب) هذا ما نعرفه عن ابن القطان .

وقد جاء في النفح (2) 136 نقلا عن ابن سعيّد ما يأتني :

وذكر ابن غالب ان الفقيه ابا جعفر بن عبد الحق الخزرجي القرطبي له كتاب كبير بدأ فيه من بدء الخليقة الى ان انتهى في اخبار الاندلس الى دولة عبد المومن، قال ابن غالب: وفارقت سنة 565، والظاهر ان ابن عبد الحق القرطبي هو المترجم في التكملة باسم محمد بن عبد الحق بن احمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي الفقيه. ارجع اليها عدد 729. كما جاء في ترجمة ابي الحسن ابن القطان المحدث الشهير المار الذكر انه كان ذا كرا للتاريخ، انظر الصلاة ع 268 ص 132. فهل ابن القطان صاحب نظم الجمان واحد من الاثنين او ثالث لا نعلمه؟ هذا ما لم يترجح عندي فيه شيء.

وبعد ابن القطان نحاول ان نعرف من هو ابن صاحب الصلاة؟ ان هذه الكنية اطلقت على غير واحد من فضلاء الاندلسيين، ولكن صاحب التاريخ هو المترجم في التكملة عدد 1726 بالعبارات التالية: عبد الملك بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم الباجي، يكنى ابا مروان و ابا محمد، ويعرف بابن صاحب الصلاة، وهو صاحب التاريخ. هذا ما كتبه ابن الابار في ترجمة ابن صاحب الصلاة، وهو ان لم ينص على تاريخ وفاته ولا ولادته فقد ذكره بين تاريخ 580 وتاريخ 608 مما يدل على ان وفاته كانت بين التاريخين. وكما لم ينص ابن الابار على ما ذكر كذلك لم يبين نوع التاريخ الذي لابن صاحب الصلاة، ونرى المقرئ في النفح ينقل عنه في (1) 484 باسم تاريخ للموحدين. وفي (2) 136 يذكره باسم تاريخ في الدولة الممتونية، وجمعا بين كلام النفح نرجح ان له تاريخين في دولة المرابطين وفي دولة الموحدين، او ان له تاريخا واحدا يتناول الدولتين

والظاهر ان هذا التاريخ او تاريخ الموحيدين، هو الذي يسميه مؤلف الانيس 114 و 116 : كتاب المن بالامامة .

ونختم هذا الموضوع بذكر ترجمة مؤرخ لهذا العهد يحليه في الانيس بمؤرخ دولة الموحيدين، ويذكره بالقاضي ابي الحجاج يوسف ابن عمر، وقد وقفت له على ترجمة قصيرة في التكملة رقم 2826 وعبارتها: يوسف بن عمر منسوب الى جده الاموي من اهل اشبيلية يكنى ابا الحجاج له تاريخ .

ولم يذكر له وفاة ولا ولادة، ولكنه اوردته بين سنة 605 ونحو سنة 620 فتكون وفاته بين التاريخين . ونجد النقل عن تاريخ ابي الحجاج في التكملة 1207 مسميا والده هناك عمر بالغين المنقوطة .

الجغرافيا

وكانت للجغرافيا دولة ايما دولة في هذا العهد بما توافر من السائحين والجغرافيين والجغرافيات، وبما اكتشف فيه من المجاهل وظهر فيه من الافكار الجغرافية المبكرة.

ومما اذكى هذه النهضة: ان بعض خلفاء وامراء الموحيدين كان لهم - بدورهم - ذوق جغرافي خاص، ظهر في كثير من ملاحظاتهم ومخاطباتهم ومجالسهم، ومن هذا: انه لما قال الخليفة يوسف بن عبد المومن لابي عمران موسى بن سعيد العنسي، ما عندك في قرطبة؟ قال له: ما كان لي ان اتكلم حتى اسمع مذهب امير المؤمنين فيها؛ فقال الخليفة: ان ملوك بني امية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعلى بصيرة، الديار المنفسحة الكبيرة، والشوارع المتسعة، والمباني الضخمة المشيدة، والنهر الجاري، والهواء المعتدل، والخارج الناضر، والمحراث

العظيم، والشعراء الكافية، والتوسط بين شرق الاندلس وغربها. قال:
فقلت ما ابقى لي امير المؤمنين ما اقول. النفح (1) 75 .

وقال الخليفة يعقوب المنصور لاحد رؤسائه اجناد الاندلس ما تقول في
قرطبة؟ فخاطبه على ما يقتضيه كلام عامة الاندلس بقوله: جوفها
شمام، وغربها قمام، وقبلتها مدام، والجنة هي والسلام. - المصدر
(1) 75 - وقال تاج الدين ابن حمديه السرخسي - حاكيا عن

يعقوب المذكور - وقال لي يوما: كيف ترى هذه البلاد؟ واين هي من
بلادك الشامية؟ فقلت له: يا سيدنا بلادكم حسنة انيقة مجملّة مكملّة،
وفيه عيب واحد. فقال: ما هو؟ فقلت: انها تنسي الاوطان؛ فتبسم
وظهر اعجابه بالجواب، وامر لي من غد، بزيادة رتبة. النفح (2) 100.

وقيل للسيد ابن يحيى اخي السلطان يعقوب - لما انفصل
عن ولاية قرطبة -: كيف وجدت اهل قرطبة؟ فقال: مثل الجمل ان
خفت عنه الحمل حاح، وان اثقلته حاح، ما ندري اين رضاهم
فنتقصده، ولا اين سخطهم فنتجنبه - نفح (1) 75 - وجرت مناظرة
بين يدي يعقوب المنصور بين الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس
ابي بكر بن زهر، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة: ما
ادري ما تقول، غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه
حملت الى قرطبة حتى تباع فيها، وان مات مطرب بقرطبة فاريد
بيع آلاته حملت الى اشبيلية. المصدر المذكور.

وكانوا يهدون لامراء الموحدين رسائل من هذا النوع، ومن هذا رسالة
تتضمن المفاصلة بين بلاد الاندلس خاطب بها اديب الاندلس ابو بحر
صفوان ابن ادريس الامير عبد الرحمن بن الحافصة يوسف بن عبد المومن
وقد اوردها بنصها في النفح - (1) - 80 - 83. وان قصة التفضيل

بين المغرب والاندلس جرت في مجلس صاحب سبتة ابي يحيى
ابن ابي زكريا صهر ناصر بنى عبد المومن ، وبامره كان تدوين
هذه المفاضلة ، ارجع الى النفح : (2) 138 - 155 .

والى جانب هذا فان ملوك الموحيدين قاموا باعمال كان لها اثر في
تشجيع الرحلات والابحاث الجغرافية، مثل توطيد الامن بالمغرب حسبما
تقدم (ص17)، ومثل بناء المنازل من السوس الاقصى الى سويعة بني
مطكود - قرطاس 138 ، ومثل ما قاموا به من تكسير بلاد المغرب
وافريقية من برقة الى بلاد نول من السوس الاقصى بالفراسخ
والاميال طولا وعرضا - قرطاس سنة 554 - ص 126 - ومثل حركة
الاحصاء التي كانوا يقومون بها ، وحافظ لنا ابن ابي زرع - ص 26 -
وغيره على نوع منها - بفاس - يعطينا نموذجا من الاحصاء الذي
كانوا يقومون به في سائر المغرب بعد فاس .

السياحة

وكان للمغاربة غرام خاص بالسياحة ، ولولوع بالتجول في
الارض طولها والعرض، شأن العرب ابان نهضتهم الكبرى، وشأن
الغربيين في نهضتهم الحالية . وقد شهد لهم بهذا الاهتمام بالرحلة
والتجوال غير واحد ، نذكر منهم الآن الاستاذ برانشفيك الذي قال
في مقدمة كتابه عن رحلة عبد الباسط : ومن الطبيعي ان ينتج
المغرب الاسلامي مؤلفي الرحلات بوفرة عظيمة ، وينبغ به عدد جم
من الرحالين الذين اثبتوا مشاهداتهم وتأثيراتهم في تصانيف قيمة ،
فان الاندلسيين والمغاربة كانوا يشعرون بدافع شديد ينزع بهم الى
كتابة ذكرياتهم ، وتسجيل ما يختلج بانفسهم عن رحلتهم الى الشرق
بقصد طلب العلم واداء فريضة الحج .

وقد كانوا يشدون الرحال الى الشرق بقصد زيارة البقاع المقدسة اولا ، وبالجاذبية القاهرة التي تستقدمهم كالمغناطيس لزيارة مركز الدين ، ومعاهد العلم الكبرى مثل مصر وسوريا والعراق ، وقد نبغ هؤلاء في جميع العصور . (من مقال نشره العلامة الباحثة الاستاذ عثمان الكعاك بمجلة الثريا السنة الاولى عدد (1) .

وما ذكره حضرة الاستاذ برانشفيك من ان المغاربة كان يدفعهم للرحلة للشرق طلب العلم واداء فريضة الحج ، نلاحظ عليه اولا : ان سياحة المغاربة - في هذا العهد وغيره - لم تكن للشرق دائما وابدا ، بل كانوا يقصدون نواحي اخرى غير الشرق ، وسنذكر كثيرا ممن رحلوا للسودان وسائر البلاد الاخرى .

ثانيا : ان دافع المغاربة للرحلة ليس هو العلم والحج فقط ، بل كما كانوا يرحلون لهدين كانوا يسيحون للتجارة ، ومنهم من كان يرحل للبحث والاكتشاف او للسفارة ، ومنهم ملوك رحلوا بدافع الغزو والجهاد ، او التفقد والتعهد ، ومنهم رحلوا في هذا العهد للبحث والاكتشاف - كما سيأتي لنا - الادريسي ، والمراكشي ، وصاحب الاستبصار ، وابن فاطمة .

أما سياحات المغاربة للتجارة في السودان وسائر البلاد الاخرى فمن شواهدنا قول الشريشي في شرح المقامات : وبها - غانة - من تجار المغرب كثير ، يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والامن وكثرة المتاجر ، ويقول الادريسي في النزهة عن اهل اغمات : وهم املياء تجار مياسير ، يدخلون الى بلاد السودان باعداد الجمال ، الحاملة لقناطر الاموال من النحاس الاحمر والملون ، والاكسية وثياب الصوف والعمائم ، والمآزر ، وصنوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار ، وضروب الافاويه والعطر ، وآلات الحديد .

وفيها ايضا ، لدى كلامه على سبتة: ويصاد بمدينة سبتة شجر
المرجان، الذي لا يعدله صنف من صنوف المرجان المستخرج
بجميع اقطار البحار، وبمدينة سبتة سوق لتفصيله، وحككه وضعه
خرزا، وثقبه وتنظيمه، ومنها يتجهز به الى سائر البلاد.
وكان الموحدون جدا يشجعون السياحة التجارية، ومن امثلة
هذا ما جاء في النفح (2) 100 - من رسالة للامير الموحدي ابي الربيع
سليمان بن عبد الله بن عبد المومن الى ملك السودان بغاية ينكر
عليه تعويق التجار، ومما جاء في هذا الكتاب: وقد بلغنا احتباس
مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة
الى البلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا
لاحتبسنا من في جهاتنا من اهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب فعله،
ولا ينبغي لنا ان ننهي عن خلق ونأتي مثله.

السياحة البحرية

ولا ننسى ان ننبه هنا الى انه نشطت في هذا العهد السياحة
البحرية نشاطا كبيرا، حتى انه بلغت اساطيل المسلمين على هذا
العهد من الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد،
انظر ما سيأتي عن مقدمة ابن خلدون في مبحث الفنون ، وهنا
الفت نظر لا بد منه، وهو ان العلامة سارطوى في مقدمته لتاريخ
العلوم يثبت ان البحارة المسلمين - على الأرجح - هم اول من استعمل
خاصية الاتجاه المغناطيسي في عمل الابرة في الاسفار البحرية، حسبما
نقله بعض الباحثين عن المقدمة المذكورة، (1) 741. فاذا لاحظنا
تفوق المغاربة في البحرية على هذا العهد، نرى انه لا يبعد ان يكونوا
استعملوا بيت الابرة في عهد الموحدين.

الجغرافيا والجغرافيون

(1) الشريف الادريسي السبتي

1166 = 562 — 1100 = 494

خرائطه - مؤلفاته

هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الادريسي السبتي، من نسل الامام ادريس الفاتح العربي الشهير، ولد بسبته - او تطوان سنة 494 = 1100. وتوفي في صقلية نحو سنة 562 = 1166.

اننا لا نعلم شيئاً عن نشأة الادريسي واساتذته، وانما نعلم انه بدأ اسفاره وهو في 16 سنة من عمره، واخذ في قرطبة عن علمائها فاشتهر في معرفة الهيئة، والجغرافيا، والفلسفة، والطب، والنجوم، وقرض الشعر. ولقد كانت سلسلة تلك الاسفار التي بدأها الادريسي في حادثة سنه طويلة جداً، فقد سافر الى بقية بلاد الاندلس ومصر، وشمال افريقيا وتغلغل فيها، وساح في آسيا الصغرى والقسطنطينية، ودرس خصائص اهل هذه البلاد وعوائدها، كما طاف في سواحل فرنسا وانكلترا، وبعد هذا توجه قبيل سنة 533 = 1138 الى صقلية بدعوة ملكها روجر الثاني ملك صقلية وايطاليا، وانكردة وقلوية، كما يحليه بهذا الادريسي طاعة النزهة.

(1) الخريطة الحائطية: وقد رغب روجر من الادريسي ان

يرسم له خريطة عالمية كاملة، يبين فيها مواقع البلدان والبحار والانهار والجبال الى غير ذلك، فرسم له الادريسي هذه الخريطة الحائطية وفق رغبته.

(2) المائدة الفضية - او الخريطة الارضية : ثم رغب منه ثانيا ان تحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة، فاحضر روجر الصنّاع المهرة الذين اتقنوا هذا العمل تحت رعاية الادريسي ورقابته. وبعد ان جعل الملك مقدرا 400 الف درهم من الفضة - كما روى خليل الصفي - تحت تصرف الادريسي لهذا الغرض اتخذ الادريسي اقل ثلث المقدار مائدة مستطيلة يبلغ طولها كما قدر الاستاذ فيلر ثلاثة امتار ونصف، وارتفاعها مترا ونصف متر تقريبا، ثم حفر عليها بواسطة الصنّاع المهرة خريطة بغاية الدقة والاتقان، وتمام الموافقة لتلك الخريطة التي رسمها من قبل، وكتب على هذه الخريطة الفضية باحرف عربية كل ما عرفة من البلدان المختلفة، ولقد بلغ ثقل هذه المائدة الفضية نحو 140 كيلو غرام، وكان الفراغ من هذا العمل الجليل في يناير 1154 .

(3) كتاب نزّه المشتاق في اختراق الآفاق، هو كشرح للخريطين، وتعليق عليهما. الف الادريسي كتابه هذا، وهو يقسم - فيه وفي الخريطة - الارض المعروفة - اذ ذاك - الى سبعة اقاليم - او مناطق - ثم يقسم كلا من هذه الى عشرة اقطار متساوية (¹) فجاءت 70 قطرا، ضمنها 70 خريطة. لكل قطر خريطة، وطريقه في هذا التقسيم: انه ابتداء بوصف القسم الاول من الاقليم الاول متدرجا من الشرق الى 10، ثم عاد الى القسم الاول من الاقليم الثاني متدرجا الى العشرين، وهكذا سار في طريقه الى ان تم الكلام على القسم الاخير من الكرة وهو القسم السبعون، وعند كلامه على كل

(1) هذا ما يقوله هذا المصدر، اما المعلم البستاني في دائرة (2) 675 والدكتور يوسف شخت - في مقال له نشره بمجلة المستعم العربي (3) 15 - فيثبتان ان الادريسي قسم كل اقليم الى احدى عشر جزءا - لا عشرة - حيث اصبح العالم المعروف اذ ذاك يتكون من 77 جزءا او قطرا.

قسم منها حدده وبين موقعه، وتكلم عن مدنه وجباله، وبحاره
وانهاره، وعن كل ما يحويه من ماء ويابس، وعن الدول التي تشغله،
وعن سكانه وجنسياتهم وعاداتهم، وعما يعيش فيه من حيوان، وما
ينبت من نبات، مبينا كثيرا من خواص ذلك، طبيعية وطبية، وقد
وصف البحار وصفا مسهباً دقيقاً، ووصف جزرها والبلاد التي تقع
عليها الى غير ذلك.

ومما يذكر للادريسي بالاعجاب انه حاول بتقسيمه الارض الى
الاقاليم السبعة اثبات درجات العرض وتحديدھا، وانه افلح في هذا
الى حد كبير، واقد اثبت درجات العرض بعد قياسات صحيحة
مطابقة للمواقع بمقدار يدعو المقدر للخريطة الادريسية علمياً الى ان
ينظر لها بعين الاكبار والاحلال.

أما خطوط الطول فقد ترك الادريسي اثباتها عن قصد، اذ تبين
له ان مقادير المقاييس التي وصلت اليه غير صحيحة، ولانه لم يتيسر
له - بعد - اجراء قياسات ارضية لبيان درجات الطول، وقياس الكرة
السماوية - وان كان في الاستطاعة - فانه لا يعطى نتيجة مقطوعاً بها
وخريطة الادريسي تمثل القسم المعمور، وهو القسم الشمالي من
الكرة الارضية. واذاف الادريسي الى القسم الشمالي من الكرة
الارضية، جزءاً بسيطاً من القسم الجنوبي الى درجة 16 جنوب
خط الاستواء، هذا الجزء الذي تقع فيه منابع النيل، حيث يبين
عليه منابع النيل بشكل واضح، يدل على مقدار بصراته
العلمية، وقد مد من الساحل الشرقي لافريقيا نحو الشرق،
وجعله حد المحيط الهندي من جهة الجنوب، ولم يلق هذا الجزء عناية
من الادريسي لخلوه من السكان...

كذلك لم يثبت الادريسي درجات العرض الى درجة 28 شمال
خط الاستواء، وانما اكتفى بوضع أرقام بجانب أسماء البلاد التي
تقع في هذه المنطقة.

مال الخريطتين والكتاب المائدة الفضية:

ولقد ضاعت هذه المائدة خلال الثورة التي قامت سنة 555 = 1160
على ابن روجر (فلهم) كسرهما الثوار واقتسموها فيما بينهم.

الخريطة الحائطية:

وكما ضاعت المائدة الفضية، كذلك فقد الاصل للخريطة الحائطية
وانما بقيت اجزاؤها موجودة في قطع متفرقة داخل كتاب نزهة
المشتاق، موزعة في السبعين قطعة التي هي أقسام الاقاليم، او مستقلة
بذاتها، ومجموع هذه القطع الموجودة الى الآن يبلغ 255 قطعة
كما ذكر الاستاذ فيلر - توجد بمكاتب باريس، واكسفورد،
واستانبول، ولينغراد، والقاهرة.

وعن هذه القطع استخرج الاستاذ فيلر خريطة تامة مشتبكة
الاجزاء، وطبعها طبعة ملونة سنة 1928. وهي اول طبعة لها، وتتضمن
هذه الخريطة من أسماء المدن فقط، التي كانت هائجة بالعمران في
ذلك العصر 2064 اسما، (356) بأفريقيا (740) باوربا (959) بآسيا.
وهناك خريطة اخرى تدعى الخريطة الادريسية الصغيرة طبعها
فيلر كذلك في مجموعته، وهي ليست للادريسي وانما هي لابنه
محمد، وضعها سنة 588 = 1192 واسمها روض الفرج.

ولقد وجدها بعض الباحثين في استامبول في 73 قطعة، وإذا
وازننا بينها وبين خريطة والده، فإننا نجد قد أخذها صورة طبق
الاصل عنها بشيء يسير من التغيير، ومع هذا فقد فاقته عناية
والده في الرسم.

نسخ النزهة المخطوطة

كانت توجد نسخة كبيرة لها في دير الاسكوريال، فتلفت في
حريقه، ويقول المعلم البستاني في الدائرة بعد هذا : انه كان مع
غريو في انكلترا النسخة الاصلية بكمالها مع عدة خارطات منقنة
الرسم، وانه حصل المعلم باكوكا على نسختين عظيمتين منها. اتى
بهما من مصر.

أما النسخ المعروفة الآن من كتاب الادريسي، ففي مكتبة باريس
مخطوطان، واكفسورد مخطوطان، واستامبول مخطوط واحد في
ايا صوفيا، وعن هذا المخطوط الاخير نقل المرحوم زكي باشا نسخة
مصورة بالفوتوغراف محفوظة في دار الكتب المصرية، كما يوجد
بمكتبة القرويين جزء منها متضمن للمخرائط والرسوم، وقد غاب هذا
الجزء عن علم كثير من الباحثين في هذا الموضوع، كما ان خرائطه
غابت عن علم الاستاذ فيلر.

ما طبع وترجم من النزهة

لم تطبع النزهة طبعة كاملة مع رغبة الاوربيين فيها وحاجتهم
اليها، واول ما طبع منها مختصرها العربي، طبع في روما سنة
1001 = 1592 في صحائف 326 بعنوان نزهة المشتاق في ذكر

الامطار والاقطار، والبلدان والجزر والمدائن والآفاق، وهو اول ما طبع بالعربية، ونشر بباريس سنة 1029 = 1619 - ترجمة هذا المختصر اللاتينية الناقصة التي قام بها المارونيان جيربيل سيونيتا، وجون هرنيتا، كما ترجم أصل الكتاب الى الفرنسية عن نسخة مكتبة باريس الملكية ترجمة كثيرة الخطأ، قام بها امديه جوييد، ونشرت الترجمة سنة 1252 = 1836 - 1256 = 1840.

وقد نشرت من النزهة أقسام بالعربية وغيرها على حدة، فطبع بالعربية المعلم باكوكا المبحث الذي يتعلق بمكة المشرفة مما استخرجه من النسختين اللتين اتى بهما من مصر، ثم اعاد طبع هذا المبحث ثانيا المعلم قاسيري، وطبع قسم من هذا الكتاب في بانور سنة 1205 = 1790. كما طبع القسم المختص بالاندلس تحت اسم ذكر الاندلس، تاليف شريف الادريسي مع ترجمة كوندي له الى الاسبانية، مدريد 1214 = 1799، صحائف 234، 20.

وطبع ايضا في مدريد ومعه ترجمة اسبانيا سنة 1299 = 1881، وطبع - ملر - وصف الشام وفلسطين في ليبسيك 1244 = 1828، وطبعت القطعة نفسها في 1303 = 1885. صحائف 28، وطبع دوزي قسما منها فيه صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، ومعه مقدمة و ترجمة وفهرس الاسماء، وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة في الكتاب، وكلها بالفرنسية. وسمى الكتاب: صفة المغرب والسودان؛ مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن 1281 = 1864 صحائف 23، 242، وكذلك طبعت قطعة تشتمل على مقدمة وصف البلاد، التي هي الآن مملكة ايطاليا، ومعه ترجمة ايطالية، وشرح وتعليق. روما 1296 = 1878. صحائف 15، 156، 144، ونشر منه العلامة الالماني هارتمان قطعا اخرى.

مميزات الخريطة وشرحها

ان الخريطة الادريسية اقدم خريطة عالمية يعرفها التاريخ، وانها قد امتازت مع شرحها بالمميزات الآتية:

(1) تجنب الادريسي ذكر الخرافات التي كانت شائعة في العصر المتوسط، والتي تورط في ذكرها غيره من المؤلفين.

ولقد كان من حنكته انه اذا ذكر شيئاً خارجاً عن حدود العادة نسبه الى ناقله، ثم اعقبه بكلمة احتياط كقوله: والقادر على كل شيء اعلم بما في هذا من الحقيقة؛ ولم يرسم ما كان شائعاً عند علماء الجغرافية مما يمثل الغرائب الخرافية، وطبعاً كان لتعاليم الاسلام الفضل الاكبر في هذا.

(2) انفردت الخريطة الادريسية بانها هي الخريطة الوحيدة التي تعطينا صورة صحيحة عن البلاد الواقعة حول البحر القزويني، وصحراً العجم، في مدة من الزمن تبلغ نحو قرن، هذه المدة التي لولا خريطة الادريسي لظلت حلقة مفقودة في تاريخ هذه البلاد.

(3) ان خريطة الادريسي وحدها هي التي مثلت لنا دولة الاسلام العربية وهي في عصرها الذهبي قبل ان تجني عليها ايدي التتار الاثيمة.

ملاحظاتان

(1) لا ينبغي ان يفهم من وصف المائدة الفضية بالاستطالة ص 79 ما يفهمه ظاهر هذه العبارة: من ان لها طولاً وعرضاً، بل الواقع انها كانت مستديرة، وممن صرح بهذا الاستاذ سيديو في خلاصة تاريخ العرب ص 229، والاستاذ جرجي زيدان في مختصر آداب اللغة العربية 184، ولكن استدارتها كانت على شكل اهليلجي على هيئة البيضة، وهذا هو المراد باستطالتها حسب مذهب الادريسي في تكوير الارض، فانه كان يعتقد ان الارض مكورة على شكل بيضوي. ومما يؤكد هذا: ان الاستاذ مللر لم يقدر عرض المائدة الفضية، وانما قدر طولها قاصداً به تقدير محيطها.

(2) شاع في غير ما كتاب: ان المائدة الفضية هي اول كرة عرفها التاريخ، وهذا كلام مخالف للواقع، ومما يردده ما اثبتته العلامة درابرد الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية في كتابه (المنازعة بين العلم والدين): انه كان بالمكتبة الفاطمية بالقاهرة كرتان ارضيتان احدهما من الفضة، والاخرى من البرنز، قيل ان الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه، وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب، اه. نقله في الدائرة الوجدية - 8 - 586 و 587، وفي غير هذا المكان. واصل هذا الكلام لابن القفطي في اخبار الحكماء ص 286، فقد نقل في ترجمة ابن السندي عنه انه عاين في مكتبة الفاطميين كرة نحاس من عمل بطليموس وعليها مكتوب: حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية، قال: وتاملنا ما مضى من زمنها فكان 1250 سنة، وكرة اخرى من عمل ابي الحسين الصوفي للملك عضد الدولة، وزنتها ثلاثة آلاف درهم، قد اشترت بـ 3000 دينار.

ثناء علماء الجغرافية على الخريطة الادريسية وشرحها

وهذه كلمات تقدير وتنويه للخريطة الادريسية وشرحها صدرت
عن كبار علماء الجغرافية، نشبتها فيما يلي:

ان كتاب الادريسي لا يمكن ان يوازن به اي كتاب جغرافي
سابق له، وان ثمت بعض اجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب
دليل المؤرخ والجغرافي في الامور المتصلة بها. البارون دي سلان:
في عدد ابريل سنة 1841 من المجلة الاسيوية الفرنسية.

ان روجار الثاني والادريسي بوضعهما هذه الخريطة قد وضعوا اهم
حجر اساسي في انتشار العلم الانساني. كوزاد ميللر.
في خاتمة بحثه عن كتاب نزهة المشتاق.

وسيدكر اسم الادريسي ويخلد ان لم يكن لخدماته في سبيل
النهوض بالعلم، فللتقدم العظيم الذي يمثلته مجهوده في ميدان
الجغرافيا العلمية وحصافة رأيه، وتجرده من التحيز، وموقفه الانتقادي
الدال على ذكاء نحو اسلافه. الدكتور يوسف شخت:

من مقال له عن الادريسي بمجلة المستمع العربي السنة (3) العدد 15.
ولقد كانت جغرافية الشريف الادريسي معول اهل اوربا في تقويم
البلدان اجيالا، ولا سيما عن بلاد الشرق، وقد رسموا خرائطها وتناقلوها
وترجموها الى الستهم. جرجي زيدان: في تاريخ الآداب العربية.
تركت - خريطة الادريسي - اثرا واضحا في المؤلفات والخرائط
الجغرافية التالية لهذا العصر في الشرق والغرب، وظلت مع شرحها

مات السنين المرجع الوحيد لعلماء الجغرافيا من العرب والافرنج،
ومعينهم الذي يستمدون منه معلوماتهم محمد عبد الله ماضي:
في مقال نشر بمجلة الرسالة (مج) 2 عدد 65.

تمة مؤلفات الادريسي الجغرافية

(4) روضة الانس ونزهة النفس - أو كتاب المسالك والممالك -
وهو نسخة كبيرة منقحة من نزهة المشتاق، وضعها الادريسي لابن
روجر الثاني (غليوم الاول) 1154 - 1166.

وقد فقد هذا الكتاب ولم يبق منه الا بعض مقتبسات اقتبسها
أبو الفداء عند كلامه على الجغرافية العربية، كذلك حدث عنه
الشاعر الاندلسي ابن بشرون. وذكر ان الادريسي الفه سنة
557 = 1161.

(5) انس المهج وروض الفرج - او روض الفرج ونزهة المهج -
كتاب جغرافي صغير، اختصره الادريسي من الكتاب قبله، وهو لا
زال باقيا الى اليوم، محفوظ في مكتبة حكيمة اوغليو علي باشا
باستانبول رقم 688. وكان اول من اشار اليه هروقتز عند ما كان
ينقب في مكاتب استانبول باحثا عن مخطوطات في التاريخ.

والغالب ان خريطة ابن الادريسي المارة الذكر، ص 81 والمسماة
روض الفرج، هي خريطة لهذا الكتاب كما يشير لهذا موافقة اسمها
لاسم الكتاب (1)

(1) رجعت فيما كتبه عن الادريسي وآثره زيادة على المصادر التي صرحت بالنقل عنها:
الى دائرة المعارف البسنية (2) 674 - 675 ودائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3)
وتاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان (3) 84 - 86 وتاريخ سوريا المطران يوسف،
وكتاب الرحالة للمسلمون في العصور الوسطى للدكتور زكي محمد حسن، 64 - 67
ومجلة الرسالة السنة الثانية، أعداد 64 - 66، ومجلة المستمع العربي السنة الثانية، عدد (15)
وبرنامج مكتبة القرويين.

الجغرافيون المغاربة الآخرون

أما بقية الجغرافيين المغاربة فمنهم:

(2) صاحب الاستبصار في عجائب الامطار؛ ممن نشأ بالمغرب. يدل لهذا ما ذكره عند حديثه عن مراکش: انه كان ايام عبد المومن يعوم هو (ورفقاؤه) في البحيرة التي غرسها هذا الخليفة غرب مراکش، وانه لا يكاد القوي منهم يقطع الصهيرج الا عن مشقة، وكانوا يتفاخرون بذلك

ونحن نعلم ان العوم في هذه البحيرة من جملة ما ربي به عبد المومن الحفاظ - صغار الطلبة - فقد كان ياخذهم يوما بتعليم الركوب، ويوما بالرمي بالقوس، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه، الخ ما في الحلل الموشية ص 114

فاذا لاحظنا هذا وذاك، نستنتج استنتاجا لا غبار عليه ان مؤلف الاستبصار ليس من اهل المغرب فحسب، بل من حفاظ الموحدين، ثم اذا لاحظنا بعد هذا ان حفاظ الموحدين لما اتموا دراستهم، عزل بهم عبد المومن اشياخ المضامدة وولاهم الولايات كما في الحلل ايضا ص 114. فاذا لاحظنا هذا يترجح ان صاحب الاستبصار لا بد ان تكون له وظيفة في الدولة الموحدية، وقد يكون توظف بفاس لما يفهم من كتابه الاستبصار انه كان وقت تأليفه سنة 587 بفاس.

وبعد هذه اللوحة القصيرة عن المؤلف ننتقل الى المؤلف، ونبين انه يتكلم عن البلاد ومسافاتها، وطبائعها، وعادات اهلها، يبدؤ بطرابلس الغرب ففاس، والقيروان وتاريخها، وما يليها من البلاد، مثل صبرة، ورقادة، وسائر مدن المغرب، وهو جزيل الفائدة، ومنه نسخ

مخطوطة محفوظة بالرباط والجزائر، وفيينا، وبهذه المدينة الأخيرة
طبع طرف يسير منه سنة 1856، وترجم الى الفرنسية وطبع سنة 1910.
(3) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي - 581 = 1185 -
625 = 1228، ختم كتابه المعجب في تلخيص اخبار المغرب بنسخة
غير مطولة، ذكر فيها اقاليم المغرب وعين مدنه، وحدد ما بينهما من
المراحل عددا من لدن برقة الى السوس الأقصى، وذكر جزيرة
الاندلس وما يملكه المسلمون من مدنها، كما ذكر معادن المغرب
وانهاره العظام مع الانهار الكبيرة المشهورة بالاندلس، وهو
مطبوع مترجم

(4) أبو علي المراكشي، وهو وان اشتهر في الحساب والفلك،
فقد كان له اعتناء بالجغرافيا حسبما يوضح من خلاصة تاريخ
العرب لسيدو ص 230.

(5) ابن فاطمة: الغالب انه مغربي اخذ مما جاء عنه انه قام
برحلة بحرية جنوبي مراكش، وغرقت السفينة التي كان فيها عند
الرأس الأبيض (جنوبي المستعمرة الاسبانية التي تعرف الآن باسم
ساحل الذهب) بعد ان توغل في كشف الساحل الافريقي الغربي
الى ابعد مما كان معروفا عند الاوربيين حينذاك، والظاهر ان ابن فاطمة
قام باسفار طويلة في افريقية، ولعله كتب اخبار هذه الرحلات، ولكن
شيئا من آثاره لم يصل الينا، ما خلا الذي نقله عنه ابن سعيد حين
اشار اليه في اكثر من موضع واحد - الرحالة المسلمون 122.

(6) المسالك والممالك للمراكشي. هكذا ذكره في كشف
الظنون (2) 423، وقبله ذكره ابن الوردي في طليعة خريدته (3)
كمصدر من المصادر التي رجع اليها، وبين العلامة المؤرخ عباس بن

ابراهيم في مقدمة الاعلام (1) 140 - هذا المراكشي بانه ابن عذارى،
والغالب ان هذا انما هو مجرد فهم فهمه الاستاذ المذكور، فانه لم
يؤكد بنص يستند اليه، والظاهر ان المراكشي مؤلف المسالك
هو الشريف الادريسي، فقد تقدم لنا ان من جملة تأليفه: كتاب المسالك
والممالك، وهذا وان كان يبعده وصف المؤلف بالمراكشي
مع ان الادريسي سبتي بلدة وشهرة، فانه يقربه ان الادريسي هو
المغربي الوحيد الذي عرف له كتاب المسالك والممالك.

(7) عبد الرحمن بن هرون المغربي: ممن سافر الى الصين واقام
به وبجرائره مدة طويلة حتى صار يعرف بالصيني، وكان صاحب
غرائب، واتصل بالحافظ ابن الجوزي المولود والمتوفى نحو 508 - 597
وذكره في كتابه المسمى بكتاب الحيوان . انظر خريدة العجائب
76 - 77 - 97 .. وهذا الاخير لا اجزم بمغربيته الاقضية لما ان مادة
(مغربي) مشتركة اشتراكا واسعا، وانما ذكرته ليحتفظ به ويبحث
عن نوع مغربيته.



أمثلة اخرى لنهضة الجغرافيا بالمغرب

وتتبع الحديث عن الجغرافيين والجغرافيات بما ظهر في هذا
العهد من الافكار الجغرافية المبكرة، وما اكتشف من الاكتشافات
الهامة وما الى ذلك:

هل قال المغاربة في هذا العصر بدوران الارض؟

جاء في عقود الجمان للشطبي (خ): ان المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كان كثيرا ما ينشد بيتي القاضي عبد الوهاب: ومن اعجب الاشياء انك قاعد على الارض في الدنيا وانت تسير وسيرك يا هذا كسير سفينة يقوم قعود والشرع تطير فهل يدل هذا على ان ابن تومرت كان يعتقد حركة الارض؟ وهل يوخذ منه انه كان يقول بفكرة دورانها؟ ان الجواب عن هذا بالاجاب هو الظاهر، وهو الذي يفيد ترنمه بالبيتين، وكثرة انشاده لهما، واضيف الى هذا: ان غير ابن تومرت من المغاربة قد يكون مال الى هذه الفكرة. ومما يشير لهذا، ان محيي الدين ابن العربي الحاتمي قرر في باب معرفة بدء الجسوم الانسانية من الفتوحات (1) 123 - دوران الارض حول نفسها، وقال: غير ان حركة الارض خفية عندنا، وحركتها حول الوسط لانها اكبر.

ومفهوم من ترجمة ابن العربي انه دخل غير مدينة من مدن المغرب مثل سبتة، وفاس، ومراكش، وافاد بكتبه وافكاره التي لا يبعد ان يكون في ضمنها قوله بحركة الارض، وان يكون بعض المغاربة الذين اتصلوا به، استفادوا منه هذه الفكرة، وقالوا بقوله فيها، فاذا ثبت هذا يكون المغاربة سبقوا عضد الدين الايجي، الذي صرح بها في كتابه: المواقف؛ وبالتالي مهدوا السبل لكوبرنيس وغاليلوا للتوسع في هذه الفكرة.

وهل تخيلوا وجود أمريكا؟

يذكر العلامة المؤرخ بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار (1) 85 ما يأتي: نقل لي ثقة انه رأى في بعض كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي، ان وراء المحيط امما من بني آدم وعمرانها. وينقل ابن خلدون في المقدمة ص 44 عن ابن رشد الثاني انه كان يقول: أما ما وراء خط الاستواء في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا؛ وابن رشد ايضا ممن أقام بمراكش من المغرب، مدة وبه توفي.

فلا يبعد - بعد هذا وبعد ما ذكرنا آنفا من مقام ابن العربي بالمغرب - ان بعض المغاربة الذين اطلوا بابن العربي أو بابن رشد رأى مثل رأيهما، وتخيل وجود امريكا كما تخيلاها. ومما يزيد المسألة تأكيداً ان الشريف الادريسي السبتي قص في نزته خبر الاخوة المغرورين الذين لججوا في المحيط الاطلانطيكي ليعرفوا ما فيه، والى اين انتهأوه حيث وصلوا الى بعض جزر الانتيل بين امريكا الشمالية والجنوبية.

فاذا تحقق هذا فان المغاربة سبقوا في هذه الفكرة سلطان غانة الذي حاول ان يعرف غاية الاطلانطيكي، واما الثناء محمود الاصفهاني، وقطب الدين الشيرازي اللذين تخيلا بدورهما وجود امريكا، واخيرا مهذا السبيل للبحار الجندي كريستوف كولومب؛ الذي ابتدأ على يده اكتشاف امريكا.

مغربيان يكتشفان منابع النيل في هذا العهد

ومما يفتخر به هذا العصر، انه فيه عرفت منابع النيل لأول مرة في تاريخ الاسلام، واكتشفت على يد مغربيين صميمين.

و اول هذين المغربيين: هو الشريف الادريسي، فقد ذكر في نزهته منابع النيل، عند خط الاستواء، بكيفية واضحة حسبما سلف لنا، وارجع الى حسن المحاضرة (2) 183 - كما رسم في احدى خرائطه منابع النيل وصورها بحيرات عند خط الاستواء، كالتي اكتشفها اهل التمدن الحديث، وهذه الخريطة محفوظة في متحف سان مرتين بفرنسا. وقد اثبت صورتها الاستاذ جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، وكتب تحتها: خريطة الادريسي نقلا عن نسخة خطية في متحف سان مرتين؛ رسمت 1160 .

أما المغربي الثاني، فهو امير موحدي من آخر امرائهم. في مسالك الابصار (1) 68: حدثني اقضى القضاة، شرف الدين ابو الروح عيسى الزواوي: ان الامير ابا دبوس بن ابي العلى ابي دبوس، ووالده آخر سلاطين بر العدو من بني عبد المومن، حدثه انه وصل الى هذه البحيرة (حيث منبع النيل) في ايام هربه من بني عبد الحق ملوك بني مرين.

وان هذين المغربيين سبقا باكتشافهما هذا اولئك الذين زعموا اكتشاف منابع النيل في القرن الماضي، مدعين ان الفضل في اكتشافها لاوربا، والواقع ان المغاربة في هذا الميدان سابقون وغيرهم لاحقون.

اكتشاف بعض مجاهل افريقيا

كما انه في هذا العصر اكتشف مغربي بعض مجاهل افريقيا، حسبما يدل لهذا ما سبق ص 67 ان ابن فاطمة توغل في كشف الساحل الافريقي الغربي، الى ابعد مما كان معروفا عند الاوربيين حينذاك.

انشاء المغاربة فرقا للكشفية

ومما يلحق بهذا مما يدل على علو كعب المغاربة في السياحة: انهم الذين اهتموا هم الاولون لتأسيس فرق رياضية، اعطوها اسم الكاشف، فقد ذكر بعض الباحثين عن الخليفة الموحيدي عبد المومن انه لما اجتاز الجواز الثاني للاندلس، وجد عقبة بن الحجاج والي الاندلس انشأ طائفة من الدرك (الفرسان) لتوطيد الامن في البلاد سماها بالكاشف، وعاین نظامها عبد المومن، واعجب بها، فلما رجع الى المغرب احدث المدارس، واسس فيها الالعب الرياضية، وفرقا للكشفية، اعطاها هذا الاسم، وطورها من حراسة الامن الى التربية والعمل على نشر الفضيلة وقمع الرذيلة.

وبهذا العمل يكون المغرب قد سبق اوربا لهذا الابتكار. ويكون عبد المومن هو المؤسس الاول للكشفية، وبادن باول الانجليزي الذي اشتهر عند الكثير انه المؤسس الاول لمناهج الكشفية، انما له فضل تنظيم هذه الفرق، وبعث مناهجها في العصر الحاضر.

تأسيس ركب الحاج المغربي

ولئن دل ما سبق على اهتمام المغاربة بسياحة البحث والاكتشاف، فإن هذا يدلنا على اهتمامهم بنوع آخر من السياحة، وهو سياحة الحج الى الاراضي المقدسة، وان الفضل في الدعوة الى هذه السياحة يرجع للمشيخ ابي محمد صالح المتوفى سنة 631، فقد كون الركب الحجازي لأول مرة في تاريخ المغرب، وكان مهما انتهى الىه احد يطلب الانخراط في طريقته يجعل أهم الشروط لقبوله اياه حج بيت الله الحرام، أو على الأقل يبرهن على انه خدم طريق الحاج. ولقد جعل من اصحابه كجمعية تبشيرية تدعو الناس لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه وآله الصلاة والسلام، وتبني منازل لنزول الحجاج في ذهابهم وايابهم. وكانت تبتي هذه المنازل من بلاد حاحة بالمغرب الاقصى الى الاسكندرية. ولقد بث اصحابه في المراكز من آسفي الى الحجاز، وجعل ولده السيد عبد العزيز بمصر حتى توفي، انظر المنهاج الواضح - 352 - 353 - و 375 - وآسفي وما اليه 99 - 100.

ويظهر انه بسبب عمل أبي محمد صالح هذا تعددت ركب الحج في المغرب، فكان زيادة على الركب الصالح ركب سجلماسة، واقدام ركب وقفت عليه من هذا، هو الركب السجلماسي الذي وفد مع رئيسه الشريف السني المولى الحسن القادم، جد العائلة المالكة العلوية الشريفة. انظر الاشراف لابن الحاج (خ).

مظهر آخر من مظاهر ولوع المغاربة بالسياحة

ونشأ عن كثرة سياحة المغاربة، وهجرة بعضهم الى خارج المغرب:
ان خصت لهم في غير ما جهة من جهات الارض اماكن خاصة
بهم، ووقفت اوقاف مقصورة عليهم، ومنحوا امتيازات لهم.

ومن امثلة هذا ما قرأته في رحلة ابن جبير - 21 - 22 : ان
سلطان مصر صلاح الدين الايوبي جعل مسجد ابن طولون الواقع
بين مصر والقاهرة مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقون فيه،
واجرى عليهم الارزاق في كل شهر، قال ابن جبير: ومن اعجب ما
حدثنا به احد المتخصصين منهم: ان السلطان جعل احكامهم اليهم، ولم
يجعل لاحد يدا عليهم، فقدموا من عند انفسهم حاكما يمثلون امره،
ويتحاضرون في طواري امرهم عنده،

ومن هذا ايضا ما جاء في الرحلة المذكورة ص 266 - لدى
كلامه على دمشق: ومن مناقب نور الدين رحمه الله تعالى انه كان
عين للمغاربة الغرباء الملتزمين زاوية المالكية بمسجد الجامع المبارك
اوقافا كثيرة منها طاحونتان وسبعة بساتين، وارض بيضاء. وحماس
ودكانان بالعطارين، واخبرني احد المغاربة الذين كانوا ينظرون
فيه ان هذا الوقف المغربي يغل اذا كان النظر فيه جيدا خمسمائة
دينار في العام، - وارجع اليها ص 10 - و 258.

نقلت كلام ابن جبير هذا الذي اختتم به الحديث عن الجغرافيا
لما ان اهل المغرب الاقصى من مشمولات المغاربة في كلامه.

الفلسفة

وكان لعلوم الفلسفة نفاق كبير في هذا العهد، وكان المغرب من الاقطار التي يفرع اليها في مشاكل الفلسفة، ومن شواهد هذا ان فردريك الثاني ملك ايطالية وجه مسائل فلسفية الى علماء سبتة ليجيبوا عنها؛ حيث نذبوا للجواب عنها الفيلسوف المسلم الكبير ابن سبعين - 614 - 669 - وكان اذ ذاك بسبتة، ولقد انتدب هذا الفيلسوف للجواب عن تلك المسائل في كتاب عنوانه: «المسائل العقلية» وقد اشتمل على 49 صفحة، وتوجد منه نسخة خطية في اكسفورد. نفح (1) 418 - 419. المستشرقون 17.

وبصفة اخص؛ كان للفلسفة في ايام يوسف نهضة كبيرة ويوسف نفسه كان على رأس المشتغلين بها المحبين لها، فقد طمح بهذا الخليفة - كما في المعجب 155 - شرف نفسه وعلو همته الى تعلم الفلسفة، فجمع كثيراً من اجزاؤها. انظر ما ياتي في مبحث خزائن الكتب.

وكما جمع كتب الفلسفة كذلك جمع اليه علماءها وفي مقدمتهم ابن طفيل الذي احبه هذا الخليفة حبا جما، قال في المعجب 156 - 159 : ولم يزل يجمع الكتب من اقطار الاندلس والمغرب ويبحث عن العلماء، وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك قبله ممن ملك المغرب، وكان ممن صحبه من العلماء المتفنيين ابو بكر محمد بن طفيل؛ احد فلاسفة المسلمين كان متحققا بجميع اجزاء الفلسفة... قال ورأيت لابي بكر هذا تصانيف في انواع الفلسفة من الطبيعيات والالهيات وغير ذلك، فمن

رسائله الطبيعية؛ رسالة سماها : رسالة حي بن يقظان، غرضه فيها بيان مبدأ النوع الانساني على مذهبهم، وهي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن.

ومن تصنيف الالهيات؛ رسالة في النفس رأيتها بخطه رحمه الله، وكان قد صرف عنايته في آخر عمره الى العلم الالهي ونبت ما سواه، وكان حريصا على الجمع بين الحكمة والشرعية، معظما لامر النبوة ظاهراً وباطناً، هذا مع اتساع في العلوم الاسلامية...

وكان امير المؤمنين ابو يعقوب شديد الشغف به، والحب له، بلغني انه كان يقيم في القصر عنده اياما ليلا ونهارا لا يظهر... ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار، وينبئه عليهم ويحضره على اكرامهم والتنويه بهم، وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد، فمن حينئذ عرفوه وذنبه قدره عندهم، اخبرني تلميذه الفقيه الاستاذ ابو بكر بنو ود بن يحيى القرطبي قال: سمعت الحكيم ابا الوليد يقول غير مرة: لما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما، فاخذ ابو بكر يشني علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضلته الى ذلك اشياء لا يبلغها قدري، فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين بعد ان سألني عن اسمي واسم ابي ونسبي ان قال لي: ما رأيهم في السماء؟ يعني - الفلاسفة - اقديمة أم حادثة؟ فادركني الحياء والخوف فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بعلم الفلسفة، ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل، ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء، فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسالة التي

سألني عنها ، ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة ويورد مع ذاك احتجاج اهل الاسلام عليهم، فرأيت منه غزارة حفظه لم اظنها في احد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له، ولم يزل يبسطني حتى تكلمت فعرف ما عندي من ذلك، فلما انصرفت امر لي بمال وخلعة سنينة ومركب.

وبفضل هذا الاهتمام من يوسف ترجم ابن رشد ما ترجم من كتب ارسطو الطبيعية، قال في المعجب 159 عن تلميذ ابن رشد السالف الذكر عنه قال: استدعاني ابو بكر بن طفيل يوماً فقال لي: سمعت اليوم امير المؤمنين يشكي من قلق عبارة ارسطوطاليس أو عبارة المترجمين عنه، ويذكر غموض اغراضه ويقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها فهمها جيداً لقرب ماخذها على الناس، فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل، واني لارجو ان تفي به لما اعلمه من جودة ذهنك، وصفاً قريحتك، وقوة نزوعك الى الصناعة، وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبر سنني واشتغالي بالخدمة، وصرف عنايتي الى ما هو اهم عندي منه. قال ابو الوليد: فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس، وقد رأيت انا لابي الوليد هذا تلخيص كتب الحكيم في جزء واحد، في نحو مائة وخمسين ورقة ترجمه بكتاب الجوامع، لخص فيه كتاب الحكيم، المعروف بسمع الكيان. وكتاب السماء والعالم. ورسالة الكون والفساد، وكتب الآثار العلوية. وكتاب الحس والمحسوس. ثم لخصها بعد ذلك وشرح اغراضها في كتاب مبسوط في اربعة اجزاء.

وتكميلاً للفائدة نقول: ان صاحب المعجب انما رأى لابن رشد شرحين على ما ذكره من كتب ارسطو صغيراً ومبسوطاً. والواقع ان له شروحا ثلاثة: اكبر، واوسط، واصغر. اما شروحه الصغرى فتوجد

بالعربية في مجريط باسم كتاب جوامع كتب ارسططاليس، وتشتمل على شرح كتب ارسطو الآتية: الطبيعيات، السماء والعالم، الكون والفساد، الآثار العلوية، النفس، وبعض مسائل فيما بعد الطبيعة. واما الشرح الاوسط فيوجد منه مكتوبا نحه العربي بحروف عبرية تفسير ما ياتي: الكون والفساد الآثار العلوية، النفس، شرحه للطبيعيات الصغرى (المكتبة الاهلية بباريس رقم 307 - 317). كما توجد شروحه الثلاثة باللاتينية والعبرية على: الطبيعيات، السماء والعالم، النفس، وما بعد الطبيعة. وقد فقدت شروحه الكبرى على كتب ارسطو الاخرى. ارجع الى دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) ص 168.

واذا اردنا ان نتبين اثر تلك العناية بالفلسفة من يوسف فينبغي ان نعلم ان العالم المفكر عامة، واوروبا بصفة خاصة قد استفادوا من هذا الاهتمام استفادة كبرى؛ فان ترجمة ابن رشد لكتب ارسطو اعتمدها من جاء بعده ولا سيما اهل اوربا، وللتدليل على هذا نسوق ما ياتي: قال المؤرخ الفرنسي الشهير ارنست رنيان 1823 - 1892: لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة ارسطو (المستشرقون 52).

وقال غيره: ترجمة ابن رشد هي معتمد اوربا. وقال المؤرخ الدكتور غوستاف لوبون: امر لويس الحادي عشر بتدريس مذهب ابن رشد ومذهب ارسطو الفلاسفيين في كل جامعات فرنسا ونافار، المقتطف (مج) (74) ج (5) ص 535.

وقد فشت هذه الفلسفة مع فلسفات اسلامية اخرى في مدرسة الطب في مونبليه سنة 1220 وانتشرت منها الى جامعات بورغونيا ولومباردي، وسويسرا، ولوفان، فظلت هذه الفلسفات تدرس فيها حتى سنة 1650. المستشرقون 15. وممن اشتغل بفلسفة ابن رشد فردريك الثاني ملك ايطاليا الذي قرأ ترجمة ابن رشد. المستشرقون 16.

وقد نقل شروح ابن رشد الى العبرية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر يعقوب الانطولي (1232 م) وهو من مدينة نابلي، وموسى بن تبون (1260 م) وهو من مدينة لونيل وقلونيموس (1314 م) وشموييل ابن تبون، ويهوذا بن سليمان كوهين (1247 م) وهو من مدينة طليطلة، وشم طوب بن يوسف بن فلغري، وقد شرح ليون بن جرشون كتب ابن رشد كما شرح ابن رشد كتب ارسطو.

وفي العالم المسيحي بدأ ميخائيل سكوت 1175 - 1275 م ينقل مصنفات ابن رشد من العربية الى اللاتينية عام 1230 - 1240 م فترجم شروح ابن رشد على ما كتبه ارسطو عن السماء والارض والنفس، وقد كان ابن رشد لا يزال حيا حتى سنة 1198. وبهذا يرجع ذبوع اسم ابن رشد الى ميخائيل سكوت، ثم لخص ارمنجان فلسفة ابن رشد وحوالي نهاية القرن الخامس عشر اصلح كل من نيفوس وزيمارا الترجمات القديمة. وقد ترجم كتب ابن رشد ترجمة جديدة معتمدة على النص العبري يعقوب منتينو الطرطوشي وابرهام دهبالمر، وجيوفاني فرنسيسكو بورانا من ثيرون، وكان نيفوس (1495 - 1497 م) ويونتاس (1553 م) افضل من ترجم ابن رشد. وترجم ليون جوتيه الفرق بين الدين والفلسفة لابن رشد في كتبه: فصل المقال، التهافت، فصل الخطاب، وهي الاطروحة التي اعدّها لنيل الدكتوراه 1909.

واخيرا من الفريق الذين كتبوا عن فلسفة ابن رشد رنيان المار الذكر: ألف كتاب ابن رشد والرشديين قرر فيه سيرته ومؤلفاته وقال عنه: انه كان اعظم فلاسفة القرون الوسطى، التابعين لارسطو والناهجين سبيل حرية الافكار، واقواله خالية من الميل، وقد طبع هذا الكتاب في باريس 1892.

دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3) 173 - 174، المستشرقون
15 - 20 و 52 و 59 .

هذا ولا ندع الحديث عن الفلسفة - التي تناولت كثيرا الطبيعية منها - دون ان ننبه الى مسالتين، الاولى: ان الاعتناء بالفلسفة لم يكن مطردا ايام الموحدين، وموقف يعقوب المتناقض منها معروف، وانظر بالخصوص المعجب 204 - 205 والمامون منهم كان منحرفا عنها على طول الخط، وقد ادى به هذا الى ان قتل الفيلسوف الاندلسي ابن حبيب من اجل اشتغاله بهذا العلم . ارجع الى النفع (2) 138 . كذلك بعض علماء هذا العصر كان يقاوم الفلسفة والفلاسفة . وسنرى ما يشهد لهذا في مبحث النماذج من قسم الآداب، وستقف عليه في خطبة ابي حفص الاعماني وشعره في الاجتماع فيما ياتي ، ولا يبعد ان قصيدة ابن حبوس التي يعلن فيها موقفه ضد الفلاسفة - وستأتي فيما بعد - قالها على هذا العهد . أما المسألة الثانية فنتناول فيها مسألة وردت في تاريخ الآداب العربية للاستاذ جرجي زيدان (3) 99 فقد نسب فيه للمهدي ابن تومرت: كتاب كنز العلوم في الفلسفة الطبيعية والشرعية، وذكر انه توجد نسخة منه في الخزائن التيمورية بالقاهرة، والغالب ان هذا الكتاب ليس للمهدي ابن تومرت، فانه لم ينسبه له واحد ممن ترجم له فيما وقفت عليه سواه، ولما اورد في كشف الظنون هذا الكتاب (2) 335 نسبه لابن تومرت ايضا، ولكنه آخر غير المهدي المشهور نسبة وبلدة، فقد سماه محمد بن محمد بن احمد بن تومرت ووصفه بالاندلسي، فكأن الاستاذ جرجي زيدان ظن ان ابن تومرت هذا هو المهدي المشهور، والتبس عليه الاندلسي بالمغربي .

وبعد هذا النوع من الفلسفة - الطبيعي - اتابع الحديث عن العلوم الفلسفية الاخرى التي كانت شائعة على هذا العهد .

الحساب - الجبر - المعاملات

وكان للعلوم العددية نهضة في هذا العهد نشطها الموحدون بتقديرهم لهذا العلم تقديرا كبيرا ، وانظر في هذا الى ما جاء في نفح الطيب (2) 253 انه لما مدح عبد المومن ابو القاسم بن سعدة الاوسي - وكان من ذرية ملوك - كتب اسمه وزير عبد المومن في جملة الشعراء ، فلما وقف على ذلك عبد المومن ضرب على اسمه وقال انما يكتب هذا في جملة الحساب.

ولما قاوم يعقوب المنصور الفلسفة مقاومته - التي لم يلبث ان رجع عنها - ابقى على العلوم العددية ولم يقاومها . المعجب 205 . ولقد كان هذا العلم من العلوم المقرر تدريسها عند الموحدين . وممن اشتغل بتدريسها الامام ابو العباس السبتي الذي كان يقرئ الحساب والنحو وياخذ على ذلك اجرة . الاعلام (1) 243 . وابو الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي المتوفى 601 . استقر بفاس وسكنها مدة حيث أقرأ بها الحساب الذي كان بصيرا به ، وله فيه تأليف سماه : اللباب في مسائل الحساب . وقد حدث به وسمع منه بفاس سنة 587 . صلة 238 . جذوة 306 . وممن اشتغل به ايضا عبد المنعم بن محمد المراكشي الذي كان حيا سنة 598 . كان الى جانب معرفته بالعربية والآداب حيسوبيا . تكملة 2175 . جذوة 218 . وابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي ، المتوفى سنة 662 . كان اماما في هذا الفن مقدما في اقامة البرهان عليه بغية 77 . جذوة ، 144 .

وبصفة خاصة كان فن الجبر والمقابلة رائجا في هذا العهد، ومزرجاله: ابو عبد الله محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي، المتوفى قتيلا 601. امام في هذا الفن، الف فيه منظومته في الجبر والمقابلة التي تجاوزت شهرتها المغرب، وقرئت على مؤلفها باشبيلية، وهي مخطوطة محفوظة في غير مكتبة، كما الف اوجوزته الاخرى في اعمال الجذور، توجد نسخة خطية منها بخزانة الاسكوريال. ومن رجاله ايضا ابو علي المراكشي وسيأتي لنا انه تناول في كتابه جامع المبادي والغايات الحساب ومسائل على طريق الجبر والمقابلة. وكما اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة كذلك اشتغلوا بفن المعاملات.

وممن الف فيه: ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان، المتوفى سنة 628 له مقالة في الاوزان جذوة 299. قيل 201. وابو العباس احمد بن محمد بن احمد اللخمي العزفي السبتي 557-633 له كتاب اثبات لا بد منه لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد. التراتيب الادارية (1) 427. وختاماً يرد علينا سؤال لا مفر منه وهو: ما هي الاقلام الحسابية التي كانت مستعملة في هذا العهد؟ وللجواب عن هذا نبين ان الاقلام التي كانت مستعملة في هذا العهد على ما يظهر هي: (1) قلم الغبار المتعارف. و (2) القلم العربي: ابجد الخ. وكان يستعمل في الزيجات وما في حكمها. و (3) القلم الفاسي استنادا لما ذكره عن هذا القلم القاضي المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي في مقال له نشره بعدد المغرب الممتاز، فقد جاء فيه: ان الارقام الحسابية المعروفة بالقلم الفاسي التي كان يستعملها الموثقون بفاس في تقييد التركات والفرضيون في تقدير النفقات، اصلها روماني بقيت عند أمراء وليمي

من جملة ما بقي من آثار الرومانيين، فكانت هي الأرقام الرسمية المستعملة في دواوين حسابهم ودفاتر مالية دولتهم، ولما انتقل كرسي المملكة إلى فاس انتقلت الأرقام المذكورة إليها بانتقال دواوين الحكومة، وبقيت مستعملة بفاس محافظا عليها حتى نسبت إليها وأصبح يقال لها : القلم الفاسي .



الهندسة

وكان لهذا العلم نهضة كبيرة في هذا العهد، شجعها خلفاء الموحدون الذين جعلوا الطائفة من المهندسين جامعية منظمة كما يؤخذ من المعجب 157.

ولقد كثر المهندسون في هذا العهد كثرة فائقة؛ حسبما تفيد هذا قصة تكسير عبد المومن لبلاد افريقية والمغرب من برقة الى بلاد نول من السوس الاقصى - كما تقدم ص 75 - فان هذا يتطلب مهندسين عديدين وعديدين جدا . ولا يبعد ان يكون من بين هؤلاء المهندس الشهير ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي البانسي ثم المغربي المتوفي سنة 598 . وهو الذي عمل الشكل الهندسي لاستخراج القبلة ليعقوب المنصور بمراكش ، ويظهر ان اليه اضيف جامع حسان بالرباط (مقدمة سوق المهر (د)) وكذا المهندس الفنان الحاج يعيش ، المعروف بالاحوص المالقي السذي اشرف على بناء جبل طارق مع الشيخ ابي اسحاق بزار بن محمد ، وهو الذي تولى صنع المقصورة الميكانيكية الآتية الذكر . رسائل موحدية 97 .
الحلل الموشية 109 و 118 . وكذا المهندس البناء ابو عمران موسى ابن حسن بن ابي شامة . انظر القرطاس 37 - زهرة الآس 64 - الجذوة 45 .

وبصفة أخص كانت الهندسة الميكانيكية - الجميلة - الهوائية والمائية شائعة في هذا العهد بالمغرب . ومن الف فيها من المغاربة: ابو علي المراكشي الآتي الذكر ، له فيها بدون شك كتاب في القطوع المخروطية لم يعثر عليه بعد . وفي كتابه جامع المبادي

والغايات يدرس خاصيات القطوع، ويجسب محاورها بالتبع الى الاعراض وميلان الشمس، وعالو المقياس . مجلة المباحث (39) من السلسلة الجديدة .

وعدى التآليف، فقد ظهرت بالمغرب في هذا العهد آثار ميكانيكية راقية بالنسبة لوقتها؛ ناطقة بتقدم المغرب في هذا الشأن ، فقد كانت المقصورة التي يجلس فيها خلفاء الموحدين أثناء صلاة الجمعة ذات تركيب عجيب، فقد كانت تسع نحو الف شخص وكانت تتحرك بواسطة عجلات تثبت في أسفلها، ولها ستة اذرع او جوانب تمتد بواسطة مفاصل متحركة، وقد صنعت هذه العجلات والمفاصل بحيث لا يترتب عليها عند تحريكها اقل صوت، بل تدور جميعها في اتم سكون، ونظمت المحركات بطريقة هندسية دقيقة بحيث تتحرك جميعا في وقت واحد متى رفع الستار عن احد البابين الذين يدخل منهما امير المؤمنين الى المسجد عند صلاة الجمعة. وكانت المقصورة تبرز من جانب، ويبرز المنبر من الجانب الثاني وتلتف الجوانب في نفس الوقت حول مجلس امير المؤمنين، كذلك نظم المنبر بحيث يفتح بابه متى صعد اليه الخطيب ويغلق من تلقاء نفسه متى اتخذ الخطيب مكانه، وذلك كله دون ان يسمع أو يرى اثر لهذه المحركات، كذلك نظمت ابواب المقصورة على هذا النمط ذاته. «تاريخ الاندلس (2) 253 الحلل الموشية 109. الغرناطي في شرح المقصورة (1) 71. نفح الطيب (2) 163. الاستقما (1) 180» .

قال المقرئ في الصحيفة المذكورة: وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن. وبقيت آثارها حسبما شاهده سنة 1010. وهذا مظهر آخر من مظاهر نهضة المغرب الميكانيكية، وهو ما جاء في المعجب

لدى كلامه عن مدينة فاس (239): ان في داخلها وتحت سورها نحو
من ثلاثمائة طاحونة تطحن بالما.

ولعل هذا العدد كان ايام تأليف المعجب، واما قبله ايام المنصور
والناصر فكان بفاس من الارحاء اربعمائة حجر دون ما بخارجها
كما في الانيس 26.



التنجيم

الهيئة - الميقات - الزيج

علم التنجيم من العلوم المحبوبة عند المغاربة، وحتى الاسر المغربية كانوا يشجعون دراسته تشجيعا. اما الخلفاء الموحدون فقد كان تشجيعهم له بالغا حده وقد الف فيه المنصور كما سيأتي لنا. ولما قاوم هذا الفلسفة المقاومة الآنفة الذكر، ابقى على شيء غير قليل من هذا العلم. ومن مشاهير المنجمين في هذا العصر (1) الخليفة يعقوب المنصور؛ اسس في مسجد اشبيلية الجامع برجا عاليا ليكون مرصدا. ومن الواضح انه اول مرصد بني في اوربا. تاريخ الاندلس (2) 260. ومراده بهذا البرج صومعة اشبيلية - الجير الدا - التي كان يؤذن فيها للاعلام بدخول الوقت، وكانت تستعمل ايضا مرصدا لرصد النجوم حسبما اشار لبعض هذا المصدر المذكور (3) 255. كما ان المنصور نفسه وضع ازياجا فلكية عن كسوف الشمس. المصدر المذكور (2) 260. والغالب ان هذه الازياج ضاعت.

(2) الشريف الادريسي، وقيل يعقوب المنصور صنع الادريسي صورة القبة السماوية، او هيئة السماء، وهي اول ما صنعه لروجار. مجلة المستمع (3) 15. والغالب ايضا انها ضاعت. (3) البتراجي المراكشي، كان معاصرا للمنصور؛ اخترع في ترتيب الافلاك والمراكز مذهبا جديدا منبئا عن تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية الباطلة، التي كان عليها أهل الاحقاب الخالية. والف رسالة عن الاجرام ترجمت الى اللاتينية وطبعت. (خلاصة تاريخ العرب 215. تاريخ الاندلس (2) 260. (4) ابو بكر

محمد بن يوسف اللبثي الاشبيلي، ثم السبتي من اهل هذا العصر
كما في شرح الماواسي على روضة الازهار المجادري لدى باب توسط
المنازل مع البروج (خ): له رصد اعتمده مع رصد آخر المجادري في حساب
الطول والعرض حسبما اشار لهذا في الباب المذكور من روضة الازهار.
(5) ابو علي حسن بن علي المراكشي المتوفى سنة 660
كما نقل هذه الوفاة - في احد دروسه التوقيتية بالقرويين - شيخنا
العلامة المشارك المتخصص في علوم الهيئة ابو عبد الله محمد العلمي
ابقاه الله عن الاستاذ كارلون الايطالي الذي ذكر وفاته في محاضرة
له عن علم الهيئة القاها بالجامعة المصرية.

جاء ابو علي هذا في اول القرن الثالث عشر (م) جزيرة اسبانيا،
وجزاً عظيماً من شمال افريقيا، وحرر ارتفاع القطب الشمالي في احدى
واربعين مدينة، اولها افرانة التي على الساحل الغربي من بلاد المغرب،
وآخرها القاهرة. خلاصة تاريخ العرب 215. وقد الف جامع المبادي
والغايات في البحث عن آلات علم الفلك، قال في كشف الظنون:
وهو اعظم ما صنف في هذا الفن، ذكر انه رتبه على اربعة فنون: الاول في
الحساب وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلاً، الثاني في وضع الآلات وهو
يشتمل على سبعة اقسام، الثالث في العمل بالآلات ويشتمل على خمسة
عشر باباً، الرابع في مطارحات يحصل بها الدراية والقوة على الاستنباط
وهو يشتمل على اربعة ابواب؛ في كل منها مسائل على طريق
الجبر والمقابلة.

وافاد شيخنا المذكور انه لم يقف على هذا
الكتاب كاملاً بالعربية وانما وقف على ورقات قليلة منه مباشرة
وعلى فقرات منه ينقلها عنه ابو علي التوزري. وقد نقل الاستاذ سديو

بعضه للفرنسية 1834 - 1835 في جزئين (6) ابو العباس احمد بن علي بن اسحاق التميمي المعروف بابن الكماد التونسي؛ الراصد بحضرة مراکش من اشهر اول المائة السابعة. وقد وضع زيجا مصححا كان معتمدا عند المغاربة، وهو الذي لخصه ابو العباس ابن البنا في كتابه منهاج (الطالب لتعديل الكواكب). ارجع الى: اوائل منهاج الطالب (خ). مقدمة ابن خلدون 426 - 427 كشف الظنون (2) 16 - 17.

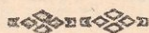
ومن اهل هذه الفنون في هذا العهد ايضا (7) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المالكي الفاسي المعروف بابن السكاك نحو 500 - 596، كان معدلا تكملة 1490. جذوة 236. سلوة (3) 300. و (8) ابو محمد عبد الله الخراز؛ موقت الجامع الاعظم بمراكش، الاعلام (1) - 244. (9) ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي ثم الفاسي المتوفى 629 كان له معرفة بالاوقات والنجوم قرطاس 44 و (10) ابو الحجاج يوسف بن محمد بن علي السقطي القصري - فيما يظهر - كان له معرفة بالاوقات. المصدر 44 و (11) ابو محمد عبد الله بن يوسف بن زيدان الفاسي 592 - 644 كان معدلا. بغية الوعاة 293.

وعلاوة على ما تقدم فقد ظهر في هذا العصر آثار لازدهار التنجيم ابتكارات مهمة في هذا الميدان فقد كان على باب جامع الكتبيين بمراكش ساعات ارتفاعها في الهواء خمسون ذراعا؛ تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة، وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها اجراس يسمع وقعها من بعد، وتسمى عندهم البحانة، ذكرها العمري في مسالك الابصار (خ). وقال انها في عهده بطالة لا تدور وهذا كان في عهده اما الآن فلم يبق لها اثر. وكذا ذكرها

القلقشندي في صبح الاعشى (5) 162 ومما يستحق ان يذكر
ايضا ان في احدى جدران صومعة حسان على يمين الطاعد نافذتين
عظيمتين مقوستين بهندسة غريبة واتقان، وامامهما بيت مربع في
جوف قطب المركز الذي تدور عليه جدران الصومعة، فاذا سامتتهما
الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما في داخل البيت المذكور في
كيفية عجيبة على شكل خطين منحرفين مشتبكي الوسط متفرقي
الاطراف؛ ولم يدر الى الآن ما الفائدة المقصودة منهما؛ فعسى ان تزاح
عنها بالمستقبل ستور الخفاء تتجلى لعالم الوضوح والمعرفة.
مقدمة الفتح 106 - 107.

كما ظهرت افكار مبكرة في هذا العلم
مثل افكار ابي بكر ابن طفيل الفيلسوف العربي الكبير؛ فقد صرح
في رسالة حي بن يقظان بان الشمس ليست حارة بذاتها وانها
كرية الشكل واعظم من الارض بكثير، وان الارض كرية مثلها
والذي يستضي منها ابدًا بالشمس اعظم من النصف.
من مسامرة للاستاذ العلامة الحجوي: (النظام في الاسلام) المطبوعة ضمن
خطب ومحاضرات المؤتمر السادس لعهد المباحث العليا المغربية ص 42
وابن الطفيل وان كان اندلسيا فقد اقام بالمغرب مدة طويلة
558 - 580 كطبيب خاص ليوسف الموحي؛ ذي مرتبة سامية عنده
وهذه الاقامة الطويلة لا تخلو - طبعاً - من احتكاكه بغير واحد من
المغاربة وسريان افكاره اليهم. ومثل هذا ينبغي ان يراعى في ابن
رشد الثاني؛ الذي روي عنه انه رأى كلفتين على وجه الشمس
واثبت ذلك في مختصر المجسطي؛ مع انه لم تستعمل النظارة الا بعد
زمانه. الاعلام (3) 49. تاريخ العرب العام 405.

ثم بعد كتابة هذا البحث عثرت بأثر نفيس يدل على ما كان
حينئذ من الاعتناء بمراقبة الالهة؛ وذلك انه كان يوجد في هذا
العصر خارج باب الجيسة من فاس؛ قبلة سيدي علي المزالبي برج
جليل - لا أثر له الآن - يسمى برج الكوكب كان مخصوصا بمراقبة
الهلال، وقد جعل في اعلاه نوافذ على عدد شهور السنة يراقب كل
شهر من واحدة منها، يدل لوجود هذا البرج اذ ذاك: ان ابن الابار
ذكره في القسم المفقود من طبع قديرة للتكملة آخر ترجمة وردت
تحت عنوان 494 وسماه ببرج الكوكب، وقد بقي هذا الاسم معروفا
الى زمن صاحب الجدوة، بل حتى زمن صاحب السلوة. انظر صحائف
17 و 86 و 346 من الجدوة و 154 و 156 من السلوة (3).



المهذب — ق

الجدل - المناظرة

وزيادة على ما ذكرنا من العلوم فقد اشتغل المغاربة على هذا العهد بعلم المنطق، ومن رجاله أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي الذي كان اعلم الناس بهذا الفن، وله فيه تصنيف عنوان 86 وابو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي، وقد صدر مقدمته في النحو بفصل نزر فيما يتعلق بالبحث المنطقي. كشف الظنون (2) 505 وابو محمد عبد الله بن محمد ابن يحيى الاغماتي من رجال هذا العلم عنوان 131.

الجدل:

ويلحق بالمنطق علم الجدل؛ الذي توافرت اسباب شيوعه في هذا العصر بما حمل عليه الموحدون الناس من القول بالمهدوية والعصمة وما يتبع ذلك؛ وبما الزموهم من اعتناق المذهب الظاهري ونبذ المذهب المالكى، هذا الا انه في هذا الوقت قامت بالاندلس الحروب الصليبية (1) التي اوقد نارها هناك رجال المسيحية، وفتحوا

(1) اذا اردنا ان نتصور كيف كانت الحروب صليبية الى اقصى حد، فينبغي ان نعلم عن واقعة العقاب انه اشترك فيها من المحاربين الصليبيين الذين هرعوا من جميع انحاء اوربا لمعاونة اسبانيا زهاء 70.000 مقاتل. كان آلاف منهم يتقلدون الصليب، وان مقادير عظيمة من المال والسلاح والمؤن ارسلت الى ملك قشتالة من فرنسا وابطاليا، وانه في روما امر البابا انوسان الثالث بالصوم ثلاثة ايام والاكتفاء بالخبز والماء التماسا لانتصار الجيوش النصرانية، واقامت الصلوات العامة، وعمد رجال الدين والرهبان والراهبات =

بها واجهة غربية بالاندلس لتتعاون مع الواجهة الصليبية التي كانت تحارب المسلمين في بلاد الشام من الشرق، يضاف لهذا وذاك ما ظهر حينئذ بالمغرب من بعض المذاهب الجديدة في التصوف الاسلامي، ولا شك ان كل ما ذكر يستدعي مجادلات ومحاورات، واخذنا وردا وقبولا ورفضاً بالقلم تارة وباللسان آونة بين انصار ما ذكرنا من المسائل الاعتقادية وخصومها؛ وبين اشباع المذهب الظاهري واتباع المذهب المالكي، وبين رجال الاسلام وعبد الصليب، واخيرا بين بعض انصار التصوف واُضداده.

وعملنا ظهر ذلك في كثير من آثار هذا العهد؛ فابو محمد عبد الله بن محمد زغبوش المكناسي وضع تاليفاً في اثبات الهداية الموحدية استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز، والروض الهتون، والكاتب عبد الملك بن اياس ابو الحسن القرطبي وضع كتاباً يطعن فيه على حكومة الموحدين والمباذبي التي تقوم عليها، وقد انتدب عبد المومن بعض الاعلام الذين امتازوا بقوة الحجة لكتابة رد على هذا المؤلف. انظر تاريخ الاندلس ليوسف اشباح (2) 54. كما الف في الرد على شيخ الظاهرية ابن حزم غير واحد من فقهاء هذا العهد؛ فابو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد الانصاري الاشبيلي المعروف بابن زرقون

= الى ارتداء السواد والسير حفاة، وسارت المواكب في العرقات خاشعة متمهلة من كنييسة الى اخرى. والقي البابا نفسه موعظة صليبية طلب فيها الى النصارى ان يضرعوا الى الله التماساً لنصر الاسبانيين، وانه تقرر تخليداً لانتصار الاسبان في موقعة العقاب ان يحتفل في السادس عشر من يولييه كل عام في طليطلة ثم في قشتالة كلها فيما بعد باقامة حفل عظيم للشكر يسمى بظفر الصليب، وان الاسبان ارسلوا بعد انتصارهم الى البابا طائفة من الهدايا النفيسة حيث عرضت في كنييسة القديس بطرس تذكيراً للنصر حسبما يقرر هذا باوسع مما اشرنا له في هذه التعلقة المؤرخ يوسف اشباح في تاريخ الاندلس (2) 109 - 112 و 124.

الف المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم التكملة 967.
 الديباج 286 الشذرات (5) 96. وابو محمد عبد الحق بن عبد الله
 الانصاري الف كذلك كتابا في الرد على ابن حزم. تكملة 1812.
 وكان الموحدون يعقدون مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب
 الظاهري على المذهب المالكي. ومن هذا المحاورة التي جرت بين
 يوسف بن عبد المومن والحافظ ابي بكر بن الجدد، وهي مذكورة
 في المعجب 185 ولا يبعد ⁽¹⁾ ان يكون من هذا الباب المجلس الذي
 ورد ذكره عرضا في الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي 145-146
 والذي وقعت خلاله المجادلة بين الظاهرية والمالكية في حضرة احد الامراء.
 وفوق هذا الجدل الذي كان يدور على مبادي الموحدين
 تأييدا وردا فقد ظهرت كذلك بعض المؤلفات التي تطعن في معتقدات
 الصليبيين الفاسدة، فقد الف ابو جعفر احمد بن عبد الصمد الخزرجي
 القرطبي ساكن مدينة فاس 519 - 582 مقام المدرك. في افحام
 المشرك. ومقامع الصلبيان. وروائع رياض الاعيان. يرد به على بعض
 القسيسين بطليطلة، وكان ذلك من احفل ما الف في معناه. تكملة

(1) بعد ما كتبت هذا وفقت على ما يؤيد ما ذكرته وهو ما جاء في كتاب الغبر
 المغرب لابي راس العسكري وهذا نصه:

قال ابن زرقون: كنت في العلماء الذين جمع عبد المومن بن علي وقام الوزير ابو
 جعفر بن عميلة وقال: بلغ سيدنا ان قوما تركوا الكتاب والسنة وصاروا يقتلون بفروع لا اصول
 لها! وقال: من نظرفها عاقبته. وان عندهم كتابا يقال له المدونة لا يرجعون الا اليه ثم قال ومن
 العجب قولها باعادة الصلاة في الوقت. كل ذلك مراده ان يجعل الناس على مذهب ابن
 حزم قال ابن زرقون فحملتني الغيرة فتكلمت بان رسول الله (ص) لما صلى اعرابي امامه فقال
 له صل فانك لم تصل كما في البخاري، فقال لا احسن غيرها، فعلمه ولم يامر به بالاعادة لما خرج
 وقته. فقام عبد المومن وسكن الحال ولم ار منه بعد ذلك الا الكرامة.

هذا كلام الجبر المغرب. وكما افاد ما ذكر كذلك يقوي ما اسلفته في مبحث علم الفقه من ان
 الذي وقع من عبد المومن هو الدعوة الى المذهب الظاهري من غير تنفيذ.

(ق) 223 الديباج 50 - 51. الجذوة 70. النيل 59. كذلك عقدت في هذا العصر مجالس للمجادلة مع بعض المسيحيين حول احقية الدين الاسلامي، ويوجد بجامع المعيار (11) مذاكرة من هذا النوع جـرت - بمرسية - بين ابي علي الحسن بن رشيق اول شبابه وبعض القسيسين: وهي مجادلة طويلة استغرقت من المصدر المذكور من ص 118 الى ص 121. والظاهر ان ابن رشيق هذا هو ابو علي بن رشيق المرسى الاصل السبتي الاستيطاني: المار الذكر في علم التاريخ. جلبت كل ما سطرته وان تقدم كثير منه في اماكن متفرقة من هذا الكتاب؛ لما في ثناياه من البرهنة والتدليل على نفاق علم الجدل لهذا العهد بالمغرب؛ ورواجه واشتغال بعض المغاربة به.

وبعد هذا اذكر بعض المغاربة الآخرين الذين اشتغلوا بهذا الفن حينئذ، ولا ريب ان في مقدمتهم امام هذه المدرسة بالمغرب المهدي ابن تومرت الذي كان طبقة عالية في هذا الميدان، ومن حسن الحظ ان حافظ لنا ابن ابي زرع في الانيس 109 - 110. على نموذج صغير من جدله؛ فانه لما ذكر المجلس الذي عقده علي بن يوسف اللمتوني من الفقهاء لمجادلة ابن تومرت؛ ذكر عن هذا الاخير انه قال للذين اجتمعوا لمجادلته: قدموا من تقوم به حجتكم. وتأدبوا بأدب اهل العلم، وسلموا عند شروط المناظرة، واتركوا اللجاج وقدموا احدكم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه...

ثم كان اول ما سألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام: ايها الفقيه انت لسان الجماعة المتقدم للكلام؛ فاخبرني: هل تنحصر طرق العلم أم لا؟ فأجاب: هي تنحصر من الكتاب والسنة والمعاني التي بنيت عليها. فقال له المهدي: انما سالتك عن طرق العلم هل تنحصر أم لا؟ فلم تذكر الا

واحدة منها، ومن شروط الجواب ان يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ثم سأله عن اصول الحق والباطل ما هي؟ فعاد الى جوابه الاول فلما رأى عجزه وعجز اصحابه عرفهم السؤال وفحوى الخطاب، ولما لم تكن لهم معرفة بالجواب شرع لهم في تبين اصول الحق والباطل فقال لهم: أما اصول الحق والباطل فهي اربعة العلم والجهل والشك والظن، فالعلم اصل للهدى والشك والجهل والظن اصل للضلال. ثم اخذ في تبين طرق العلم فبهرهم، وعجزوا عن جوابه ولم يفهموا له معنى خطابه. هذا كلام الانبيس. ويفيد ما صدر به ابن تومرت مجادلته انه كان على علم تام بشروط الجدل وآدابه؛ وما يتعلق بذلك الامر الذي يدل على مدى تبرزه وتقدمه في هذا العلم.

أما المغربي الآخر والاخير الذي نختم به رجال الجدل على هذا العهد فهو الامام ابو العباس السبتي الذي جاء في ترجمته من النبل 59: انه اعطى بسطة في اللسان، وقدره على الكلام، لا يجادله احد الا فحمه، ولا يساله الا اجابه، لان القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، ياخذ بمجامع القلوب، ويسحر العامة والخاصة ببيان، ياتي المنكرون للانكار فما ينصرفون الا مسلمين منقادين.

المذَـنَظَرَة

ويقصد بها النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين
اظهارا للصواب على خلاف علم الجدل المذكور آنفا؛ فانه يراد به
المنازعة لالزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسدا او لا.

وهذا العلم - المناظرة - وان لم نقف على تفاصيل الاشتغال به
لهذا العهد فاننا نستطيع ان نستشف من بعض العبارات العرضية
ما كان للمناظرة بالمغرب حينئذ من ازدهار، وذلك ما يرد خلال
كثير من تراجم المغاربة من استعمالهم للمناظرة في دروسهم، وكذا
ما يذكر في تراجم بعض الوافدين على المغرب من اقراءهم به بهذه
الطريقة. ومن الاول ما ورد في ترجمة ابي زيد عبد الرحمان بن
زكريا بن محمد الرجراجي (ت) 605: انه نوظر عليه بقرطبة
تكملة 1653 .

وفى ترجمة ابي الحجاج يوسف بن عبد الصمد الفاسي المعروف
بابن نموي 554 - 614: انه نوظر عليه باشبيلية. تكملة 2099. وفي
ترجمة ابي الحسن علي بن احمد التميمي المعروف بالحرالي
المراكشي (ت) 637 انه ناظر فبرع خلال رحلته للبلاد الشرقية. زوائد
التكملة 1921. يضاف لهؤلاء ابو الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم
الانصاري، المعروف بالمتطي (ت) 570 الذي كان - بدون شك - له
معرفة بهذا العلم حسبما يوخذ مما جاء في ترجمته: انه لما خرج من
مدينة فاس واستوطن سبتة لازم بها مجلس ابي محمد عبد الله بن
القاضي ابي عبد الله بن عيسى بالمناظرة والتفقه. جذوة 305، نيل 199.

ومن الاعلام الوافدين على المغرب الذين ناظروا به: ابو الحسن
نجمه بن يحيى الرعيني الاشبيلي ساكن مراكش 521 - 591
ناظر عليه بها في كتاب سيبويه ابو البقاء حيان بن عبد الله الاوسي
البلنسي. تكملة 122. وكذا ابو بكر محمد بن طاهر الليثي الاشبيلي
ت 603 ناظر عليه بفاس ابو القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم الفاسي
في نحو الثلث من كتاب سيبويه. تكملة 1974.

ذلك ما استطعت ان اقف عليه فيما يتعلق بالمناظرة، وانه على
قلته شاهد بما قلنا، ملوح لما كان لهذا العلم اذ ذاك من نهضة وازدهار.



الكيمياء

ولم يخل المغرب على هذا العهد من الاشتغال بالكيمياء النافعة. ومن شيوخه في هذا العلم أبو الحسن علي بن موسى بن علي الانصاري السلمي الجياني المعروف بابن النقرات؛ ترجمه في التكملة وزوائدها (ع) 1877 والجدوة 305 والشذرات (4) 317. وقد ذكروا عنه انه نزل بمدينة فاس، كما ذكرت عنه زوائد التكملة والجدوة: انه تصدر للاقراء بفاس، وولي الخطبة بجامع القرويين منها. مولده بجيان في رمضان عام 515 وكان حيا سنة 593 أو نحوها كما تقول هذا التكملة وزوائدها والجدوة وعينت الشذرات سنة وفاته في (594). وما في كشف الظنون من انه توفي سنة 500 فوهم ليس الا.

وقد نسبت المصادر المذكورة الى ابي الحسن هذا شذور الذهب في الاكسير (نظم)، وهو كتاب جليل علما واسلوبا، وصفه الجلدكي في شرحه عليه بانه استوعب جميع الحكمة المطلوبة، والنعمة المرغوبة نقله في الكشف (2) 48 وقال عنه آخر لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان، وفصاحة الفاظ، وعدوبة تراكيب، حتى قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب، علمك الادب. وفي عبارة بعضهم: ان فاتك ذهبه؛ لم يفتك ادبه. نقله في النفح (2) 342 ونحوه في الشذرات

ولم يكن ابو الحسن ابن النقرات الوحيد في هذا الفن بالمغرب، وقد عاناه غيره من صميم المغاربة مثل المعروف بابن تاتلي من اولاد الملتمين، ذكره في طبقات الاطباء عرضا (2) 203 - 204

اثناء ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي؛ الذي اجتمع بالمذكور
في بغداد. وقد وصفه بالامعان في كتب الكيمياء والطلسمات وما
يجري مجراها. وانه اتى على كتب جابر باسرها، وعلى كتب ابن وحشية.
كذلك ممن اشتغل من المغاربة بالكيمياء على هذا العهد
المسمى بابي الطواجين القصري الكتامي، كان ينتحل هذا العلم.
وكذا ابنه محمد الثائر الشهير عام 625 تلقى الكيمياء عن والده
حسبما يؤخذ هذا من الاستقصا (1) 197.



الطب - الصيدلة

وكان للطب دولة وصولاً، وقد اهتم به الموحدون وبخاصة يوسف ويعقوب اهتمبالا فائقاً، ففوق اعتنائهم بالطب الخاص بهم. كذلك اعتنوا بشؤون الرعاية الصحية؛ فبنوا المستشفيات، ونظموا هذه المهنة، وجعلوا لها رؤساء؛ منهم ابو جعفر الذهبي الذي كان مزواراً للطباء، كما كان مزاوراً للمطربة . طبقات الاطباء (2) 77. وكان الطب يدرس على عهدهم بالمغرب. ومن اساتذته ابو الحجاج يوسف المريطري. قرأ عليه الطب بمراكش ابو العباس الكنباري . المصدر المذكور (2) 81 وكذا ابن حسان الذي استقر بالمغرب آخر عمره الى ان توفي بفاس، وكان مقررًا للطب كما في الجدوة (72) لا يبعد انه درسه بالمغرب .

وفن الصيدلة هو الآخر كان له ازدهار على هذا العهد، وكان موظفا بمستشفى مراكش وبيلاطات الخلفاء عدد من الصيادلة.

الاطباء المغاربة

ومن رجالات الطب والصيدلة في هذا العهد (1) الخليفة يوسف الموحد الذي استهل اسماً الاطباء حينئذ: كان له طموح الى هذا العلم، وكان يستظهر من الكتاب المعروف بالملكي اكثره مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل المعجب 155. و (2) الطبيب السيني ابو الحسن علي بن يقطان، ورد الى مصر عام 544 . اخبار الحكماء 160. و (3) ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي

السلوي. ت 563. اشتغل بالطب وظهر فيه، فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه. قاله الضبي في البغية 1464 وترجمه ايضا في التكملة 2782 ووصفه بأنه من اهل سلا. و (4) الشريف الادريسي: ألف الكتاب الجامع لصفات اشتهت النباتات لازال موجودا، وهو احد الكتب التي اعتمدها ابن البيطار في كتابه في النبات. كما ألف كتابا في الاقرباذين (الصيدة). نفح الطيب (2) 44 و 138 مقال للدكتور يوسف شخت نشر بمجلة المستمع العربي س (3) ع(15). مقال للاستاذ مصطفى زبيس؛ نشر بمجلة الثريا؛ س (3) العدد الممتاز الخاص بالمغرب.

و (5) الطيب سعيد الغماري، ورد ذكره عرضا خلال قصة جرت مع يوسف الموحدى مبسوبة في: وفيات الاعيان (2) 494 - 595 و (6) ابو الحجاج يوسف بن يحيى بن اسحاق الاسرائلي الفاسي المغربي. ت 623 قرأ ببلاده، وكان فاضلا في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم، واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون الاسرائلي القرطبي، وسافر بعد ذلك الى الشام واقام بحلب، وبها توفي. وله من الكتب كتاب في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها شرح الفصول لابقرات. اصلاح هيئة بن افلح الاندلسي. اجتمع على تحريرها هو وموسى بن ميمون المذكور. (اخبار الحكماء) 256 - 258. طبقات الاطباء (2) 213.

ويلحق بهؤلاء (7) ابو الحجاج يوسف بن فتوح القرشي المري؛ استقضى بمدينة فاس وتوفي 561. له معرفة بالنبات كان يجلبه ويتجر فيه. التكملة 2079 - الصلة 410. و (8) ابو العباس احمد ابن عبد الله بن موسى القيسي الاشبيلي، سكن مدينة فاس وبها

توفي 571. كان ذا معرفة المطب. الجذوة 70. و (9) ابو العباس
احمد بن عبد الملك الجذامي القرطبي الاصل، نشأ بسبته وبها سكن
وتوفي بمراكش 650. كان ماهرا في الطب. التكملة ص 326.
ونختم اسماء الاطباء في هذا العهد بطبيب كبير امله من
المغرب، فنذكره هنا ليجت عن نوع مغربيته وهو (10) القطب
المصري ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي، قتله
التتار بنيسابور عام 618. امله من المغرب، ثم انتقل الى مصر واقام
بها مدة، ثم سافر الى العجم وأخذ عن الامام فخر الدين الرازي؛ كان
من اشهر تلامذته؛ عالما بالمعقولات. وألف كتباً كثيرة في الطب
والحكمة منها: شرح الكليات بأسرها. من كتاب القانون لابن سينا.
طبقات الاطباء (2) 30. طبقات الشافعية (5) 48. حسن المحاضرة (1) 232.
وزيادة على هؤلاء فقد كان بالمغرب في هذا العهد عدد وفير
من الاطباء؛ والصيدالة الآخرين برسم خدمة خلفاء الموحدين، وبرسم
خدمة المارستانات، وهذه جملة ممن خدم الخلفاء منهم:

اطباء الخلفاء الموحدين

عبد المومن:

طبيباه: أبو مروان عبد الملك بن زهر الايادي الاشبيلي. ت 557
ألف لمخدومه الترياق السبعيني واختصره عشاريًا، ثم اختصره سباعيًا.
كما ألف له كتابا في الاغذية. طبقات الاطباء. (2) 66. التكملة 1717
وقد اثر ابن زهر هذا اثرا بليغا في الطب الاوربي، وظل هذا التأثير
الى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك بفضل ترجمة كتبه الى
العبرية واللاتينية. (دائرة المعارف الاسلامية، مج (1) ع (3)).
أبو بكر محمد الحفيد ابن الطيب قبله 507 - 595 خدم بالطب عبد
المومن، وخدم من بعده يوسف ثم يعقوب المنصور ثم محمد الناصر،
وكان مكيًا بصفة خاصة عند يعقوب. وألف له الترياق الخمسيني.
طبقات الاطباء (2) 68. التكملة 855. دائرة المعارف الاسلامية مج (1)
ع (3).

يوسف:

اطباؤه: الوزير ابو مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي. ت 575.
(القرطاس 131).

الوزير ابو بكر ابن طفيل القيسي الوداشي ت 581. المهدر 131.
ابو جعفر بن هارون الترجالي الاشبيلي (طبقات الاطباء (2) 75).
ابو الوليد ابن رشد استدعاه يوسف الى سكنى مراکش سنة 578

برسم الطب، وخدم ايضا المنصور والناصر، وكان يلاقى احتراماً خاصاً
منهما (القرطاس 131 و 137. طبقات ط (2) 76).

المنصور:

اطباؤه: عبد الله بن علي بن عبد الله بن غلنده الاموي، مولا هم
السرقيسي ابو محكم. ت 581. طبقات الاطباء (2) 79، التكملة 1516.
ابو الحسين بن اسدون شهر بالمصوم. ت 588. طبقات الاطباء
(2) 79. ابو جعفر احمد بن حسان القضاعي البلنسي. ت 598. الف
لمخدومه: كتاب تدبير الصحة. (طبقات الاطباء (2) 79). ابو جعفر بن
الغزال المري: كان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة
والمعاجين ويتناولها منه. طبقات الاطباء (2) 80.
ابن الحلاء المرسى. (طبقات الاطباء (2) 81) احمد ابن عيتق
البلنسي ثم المراكشي الذهبي 554 - 601 خدم المنصور بالطب ثم
خدم بعده للناصر. طبقات الاطباء (2) 81 التكملة 2410.
ابو مروان عبد الملك بن قبال الغرناطي، خدم به المنصور، ثم
الناصر (طبقات ط (2) 79).
ابو الحجاج يوسف بن احمد بن علي المريبطري. ت 619 خدم
المنصور والناصر والمستنصر (طبقات الاطباء (2) 78).

الناصر:

اطباؤه: ابو بكر محمد بن الحفيد ابي بكر ابن زهر 577 - 602
طبقات ط. (2) 74.
ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد ابن رشد الحفيد (طبقات
الاطباء (2) 78).

ابو محمد الشذوني الاشبيلي (طبقات الاطباء (2) (79) .
ابو عبد الله محمد بن سحنون المعروف بالندرومي؛ خدم الناصر
في آخر دولته ثم المستنصر. (طبقات الاطباء (2) (81). ابو جعفر احمد
ابن سابق القرطبي. (طبقات الاطباء (2) (81). ابو اسحاق بن
طلوس البلسني. (طبقات الاطباء (2) (81)

المستنصر :

عبد العزيز بن سلمة الباجي. طبقات الاطباء (2) 79 - 80.

الطبيبات في دور الخلفاء

وكما اختص الخلفاء الموحدون باطباء لانفسهم؛ كذلك اختص
حرمهم بطبيبات لانفسهن. ومن هؤلاء اخت الحفيد ابي بكر ابن
زهر وبنتها. كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما
يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور، ولا يقبل
المنصور واهله واداء الا اخت الحفيد وبنتها لما توفيت امها. (طبقات
الاطباء (2) (70).

بيت الاشربة والمعاجين الطبية

وكان هذا البيت أو الخزانة خاصا بخلفاء الموحدين، وهو من
مظاهر تنظيم الطب في عهدهم، وقد تولاه ايام يوسف: ابو محمد قاسم
الاشبيلي. وتولاه ايام يعقوب: ابو يحيى بن قاسم المذكور، وبقية في
وظيفته هذا الى ان توفي ايام المستنصر: فجعل ولده في موضعه
عوضا عنه. (طبقات الاطباء (2) (79).

... والامراء الموحدين

والامراء الموحدين هم الآخرون كان لهم اهتمام بهذا الفن، ومنهم: السيد ابو علي عبد المومن صاحب اشبيلية؛ خدمه بالطب الدكتور ابو بكر بن ابي الحسن الزهري القرشي الاشبيلي. (طبقات الاطباء (2) 80). والسيد ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن؛ كان يجالس الطبيب ابن رشد، وهو الذي اقترح على هذا الاخير ان يضع شرحه على الارجوزة المنسوبة لابن سينا في الطب، كما اشار لهذا طالعة الشرح المذكور، الذي توجد منه نسخة بمكتبة كاتبه.

المستشفيات

ولم يشغلهم اهتمامهم بالطب الخاص عن الاهتمام بالطب العام، فقد اسس يعقوب مارستانات للمرضى والمجانين واجرى الانفاق على اهلها. (القرطاس 138). اسسها في مراکش، وشالة، والقصر. (الثريا) السنة الثالثة. عدد المغرب الممتاز.

أما مارستانات شالة والقصر فلم اقف على من وصفها، وانما وقفت على وصف اعظم هذه الثلاثة وهو مستشفى مراکش الذي اسسه يعقوب شرقي الجامع المكرم على حد تعبير صاحب الاستبطار. وهذه صفة هذا المستشفى، قال المراكشي في المعجب 190-191: وبني - يعقوب المنصور - بمدينة مراکش بيمارستان ما اظن ان في الدنيا مثله، وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه، فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخايف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وامر ان يغرس

فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والماكولات، واجرى فيه
مياها كثيرة تدور على جميع البيوتات زيادة على اربع برك ففي
وسط احداها رخام ابيض، ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع
الصوف والكتان والحريير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي
فوق النعت، واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما
ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية، واقام فيه من
الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب
ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء، فاذا برى المريض فان
كان فقيرا امر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وان
كان غنيا دفع اليه ما له وتركته وسببه، ولم يقصره على الفقراء
دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه
وعولج الى ان يستريح أو يموت، وكان في كل جمعة بعد صلاته
يركب ويدخله يعود المرضى ويسأل عن اهل بيت اهل بيت يقول:
كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ الى غير ذلك من السؤال، ثم
يخرج، لم يزل مستمرا على هذا الى ان مات رحمه الله .

هذا كلام المعجب في وصف هذا المارستان العظيم وهو يفيدنا
عن نظامه:

ان يعقوب اجرى له ثلاثين دينارا يوميا برسم الطعام وما ينفق
عليه فقط .

وانه كان به قسم للصيدلة اقام فيه يعقوب الصيدلة لعمل
الاشربة والادهان والاكحال .

وكان به للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء .
وان كل من مرض بمراكش من الغرباء حمل اليه وعولج .. فان كان

المريض غنيا حووظ على ما معه من مال ومتمول حتى يبرأ فيدفع اليه وان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يتعيش به حتى يستقل؛ وان الخليفة يعقوب كان يراقب هذا المستشفى بنفسه فكان يزوره كل جمعة بعد صلاته ويعود مرزا، ويستفسرهم بيتا بيتا عن حالهم وحالة القومة عليهم.

ويلاحظ على صاحب المعجب بانه بقدر ما تبسط في وصف شكل المارستان المادي فانه اجحف فيما سوى ذلك، فلم يسم ولا طبيا من موظفيه، وحتى اسم رئيسه لم يذكره. وقد ذكر ابن ابي اصبيعة في طبقات الاطباء (2) 79: أسما بعض رؤسائه فانه لما ترجم لابي اسحاق ابراهيم الداني البجائي الاصل قال عنه: ونقل الى الحضرة - مراکش - وكان امين اليمارستان وطيبه بالحضرة، وكذلك ولداه، والاكبر منهما وهو ابو محمد قتل في غزوة العقاب في الاندلس مع الناصر، وتوفي الداني في مراکش في دولة المستنصر بن الناصر. كما انه لم يبين هل كان به قسم خاص بالمصابين بالامراض العقلية كما هو الحال في مارستانات الشرق التي كانت معاصرة لمارستان مراکش؟ وهذا تجيبنا عنه عبارة القرطاس الآتفة ص 129 فانها تنص على ان المارستانات التي ابتناها يعقوب كانت للمرضى والمجانين. وبعد هذا فان ابن ابي اصبيعة يذكر في طبقات الاطباء عن نظام المستشفيات الاسلامية ما ياتي:

كانت اليمارستانات منقسمة الى قسمين منفصلين بعضهما عن بعض: قسم للذكور وقسم للاناث، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وخدم وفراشين من الرجال والنساء، وقوام ومشرفين. وفي كل قسم من هذين القسمين عدة قاعات لمختلف الامراض

فقاعة للأمراض الباطنية، وقاعة للجراحة، وقاعة للكحالة، وقاعة للتجبير.
وكانت قاعة الأمراض الباطنية منقسمة إلى أقسام أخرى: قسم
للمحمومين، وقسم للممرورين، وقسم للمبرودين ولبن به اسهال الخ.
ولكل قسم رئيس، فمن رئيس الأمراض الباطنية، ورئيس
للجراحية والمجبرين ورئيس للكحالين. وللبيمارستان باجمعه رئيس
يسمي ساعور البيمارستان. (من مقال للاستاذ محمد السويسي نشر
بمجلة المباحث التونسية ع 42 - 43 السلسلة الجديدة)

فهل كانت هذه الانظمة متبعة في مستشفى مراكش الذي نحن
بصد الحديث عنه ؟ لا شك ان ابن ابي اصبعة الذي توفي سنة
668 كما في الشذرات (5) 327 انما وصف نظاما كان العمل جاريا
به في المستشفيات الاسلامية.

ولا شك ايضا ان عبد الواحد المراكشي لم يكن مجازفا حيث
قال عن مستشفى مراكش: ما اظن ان في الدنيا مثله، أي في شكله
وفي نظامه. كيف وهو المؤرخ الثبت الذي سجل هذه الشهادة بعد ما
اقتل بالشرق والشرقيين وزار مصر واستقر بالعراق حيث السف
كتابه المعجب.

فاذا لاحظنا هذا وذاك فهل يمكننا ان نعتبر ان تلك الانظمة
كانت معمولا بها في هذا المستشفى المغربي او بالاحرى كان
متفوقا فيها؟ هذا ما لا استبعده وان كنت لا استطيع الجزم به.

من ابتكارات الموحدين

ونختم الحديث عن الطب والاطباء في الدولة الموحدية بعجوبة من عجائب تنظيماتهم الطبية، واحتياطاتهم ايام الوباء؛ وذلك ما جاء في القرطاس 171 - 172: انه في سنة 571 كان الطاعون الشديد بمراكش واحوازها... فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه في براءة ويجعلها في جيبه فان مات حمل الى موضعه واهله.

وهذا النوع من (الكارنسي) الذي سبق الموحدون الى استعماله كاف في الاعراب عن عظمته؛ ناطق بعبقريّة الموحدين في ميداني الابتكار والنظام.

وبانتهاء الحديث عن الطب تم بحث العلوم التي اوردت منها فوق الثلاثين علما؛ كلها كانت شائعة ناهضة في عصر الموحدين. وهديهي ان ما ذكرته من العلوم انما هو مثال فقط للنهضة العلمية التي ظهرت حينئذ في اكثر من العدد المذكور، وازدهرت في علوم اخرى نخص منها بالذكر علم السياسات، وقد كانت موجودة بالمغرب - على هذا العهد - بعض انواعه. وكانت تدرس - بدون شك - مسائل منه، يشهد لهذا ما مر بنا لدى الحديث عن مدرسة عبد المومن ص (23 - 24): ان من المواد التي كانت تدرس دراسة حسنة بهذه المدرسة: عدة كتب في ادارة الولايات ومزاولة شئون الدولة. وينبغي ان يراجع عن هذا الموضوع ايضا ما سنذكره في مبحث الفنون كمظاهر لنهضة بعض اصناف علم السياسة.

كذلك من العلوم التي ازدهرت اذ ذاك علم التصوف بمذاهبه

المتنوعة، واشياخه الكثرين. وما منعني من ادراجه في هذا البحث
الا عدم توافر المواد الكافية في الموضوع، فعمسى ان يرفع هذا المانع
وتيسر المواد الكافية حيث ادرس التصوف على حدة واذيل به
هذا البحث.

وبعد هذا انقل الحديث الى الآداب في هذا العصر.



الآداب

نهضتها - مميزاتها

في دولة الموحدين

هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد؟
تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدي
السبب الذي حدا بالموحدين الى الاستعانة باللسان البربري

ادب⁴⁹اء عصر الموحدين
الخلفاء، والأمراء، الافراد
نماذج في ادب هذا العهد
I النثر

(1) الكتابة

- 1 الديوانية 2 الاجتماعية 3 السياسية
4 الادبية 5 الاخوانية 6 التوقيعات

(2) الخطابة

- 1 السياسية 2 الاجتماعية

(3) الوصية

(4) الحكمة

II الشعر

المديح، الافتخار، الرثاء، الاعتذار والاستعطاف، الهجاء
والذم، العتب والثانيب، الوصف، الغزل، الاجتماع، السياسة

نهضة الآداب

مميزاتها في دولة الموحدين

وجد الادب المغربي في هذه الحقبة ادبا مغريا موسوما بسيما
لاجادة والتفنن والابداع وان الفضل الاول في هذه النهضة يعود
لاكثر خلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الادبية بمثل ما
تحدثنا عنه في المقدمة ص (19 - 20) وبما كانوا عليه هم وكثير من امراءهم
من معاناة للادب، ومعاظرة للشعر، حتى انهم - بتشجيعهم المزدوج
المادي والادبي - ليحقق فيهم قول اليتيمة في بني حمدان: ملوك
وامراء السنتهم للفصاحة وايديهم للسماحة. وكان لغير واحد منهم
ذوق خاص في تفهم الشعر ونقده، وانظر في هذا لما جاء عن عبد
المومن بانه لما انشده ولد الشريف الطليق المرواني:

ما للعدى جنة اوقى من الهرب

قال رافعا صوته: الى اين. الى اين؟ فقال الشاعر

اين المفر وجيش الله في الطلب

فما اتم القصيدة قال عبد المومن بمثل هذا تممدح الخلفاء.

المعجب 138. ولما انشده ابن سيد اللص.

غمض عن الشمس واستقر مدى زحل

وانظر الى الجبل الراسي على جبل

انى استقر به انى استقر به

انى راى شخصه العالى فلم يزل

قال له عبد المومن لقد ثقلتنا... المصدر 139.

وحين القى بين يديه ابو عبد الله محمد بن ابي العباس التيفاشي:
ماهر عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المومن بن علي
اشار عليه بان يقتصر على هذا البيت وامر له بالف دينار.
وفيات الاعيان (1) - 391.

ويعقوب المنصور الآخر؛ ورد عنه بعض ما ذكر. ومن هذا انه
كان بمجلس ابيه يوسف وهو حينئذ وزيره، فانشد ابن مجير يهنىء
يوسف بفتح:

ان خير الفتوح ما كان عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا
وكان ابو العباس الجراوي حاضرا فقطع عليه معترضاً باذه
اهتمت بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجالا
فبدر المنصور وسنه اذ ذاك قرب العشرين وقال: ان كان
اهتممه فقد استحققه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف،
فسر بجوابه وعجب الحاضرون. النفح (2) 162.

ولقد سرى الاعتناء بالادب من الملوك للامة، والناس على دين
ملوكهم فاهتموا بسائر مواضع الادب، حفظا ودرسا حتى الهجو ومن
هذا قول المعجب 197 لدى حديثه عن ابن حزمون الشاعر الهجاء
ولا اعلم في جميع بلاد المغرب بلدا الا واهاجي هذا الرجل تحفظ
فيه وتدرس. كما طارت المفاضلة بين الادباء حديث المجالس، وانظر
في هذا الى ما جاء في ترجمة الشيخ الشهير ابي العباس السبتي من
الاعلام (1) 251: انه سئل يوما في مجلسه من اشعر ابن حبوس
أوابو العباس الخراز؟

وكان من اثر هذا ان قامت للآداب في ايامهم نهضة كبرى ظهرت

عظمتها في كثير من المقامات منها في الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن على ظهر جبل الفتح حيث تبارى الادباء المغاربة والاندلسيون؛ كتابهم، وشعراؤهم، وتفصيل الحديث عن هذا اليوم الجليل يوجد في المعجب 137 - 142 مع الحلل الموسية 118 - 119 وزاد المسافر 2 و 52، 85. والنفح (2) 336 و 446. ومنها يوم رجع يعقوب المنصور من غزوة الاراك الشهيرة فقد ورد عليه الشعراء من كل قطر من اقطار مملكته يهنئونه، فلم يمكن لكثرتهم ان ينشد كل شاعر قصيدته بل كان يختص بانشاد البيتين أو الثلاثة المختارة، وانتهت رقاع القصائد وغيرها في هذا اليوم الى ان حالت بين يعقوب وبين من كان امامه لكثرتها النفح (2) 430

ويلحق بهذا ما ذكره في المعجب 144 عن الامير عثمان بن عبد المومن قال: اجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتاب عصابة ما علمها اجتمعت لملك منهم بعده،

وان هذه النهضة الادبية بلغ صداها حتى قطر السودان المغربي ولاول مرة في تاريخ هذا القطر ينبغ - في هذا العصر - شاعر من أبنائه، وهو ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن فارس الذكراني من اهل كانم من السودان. ت 608. كان عالما بالآداب شاعرا مفلحا، ترجمه في القسم المفقود من التكملة ع 461 وحلاه بما ذكر، كما ذكره في الوفيات (2) 434 والنفح (2) 537. والاستقفا (1) 181 وقالوا عن هذا الشاعر الاسود: انه دخل على يعقوب المنصور وانشده:

ازال حجابي عني وعيني تراه من المهابة في حجاب
وقربني تفضله ولكن بعدت مهابة عند اقترابي



وجد الادب المغربي في هذه الحقبة في اعقاب العصر العباسي
وبجوار الادب الاندلسي، وعلى انقاض الادب المرابطي، ولم يكن
لينسلخ عن التأثير بالآداب الثلاثة، وبخاصة الاخيرين؛ فانه اخذ منهما
وتأثر بهما ولكن بمقدار لم تضع معه شخصيته المغربية الموحدية؛ التي
كانت مطبوعة بسميزات، ميزته عن سواه. واول
ما يظهر من هذه المميزات ان الادب المغربي في هذا العصر خلا في
غالب مظاهره - خلافا لما كان شائعا في الآداب العربية الاخرى لهذا
العهد - من الزخرف والصفة سراية من البساطة التي نشأت عليها
الدولة: كما خلا - في الجملة ولا سيما أيام عظمة الموحدين - من
الفسافس التي كانت شائعة في الادب العربي حينئذ، فنذر فيما
وقفت عليه شعر الخمریات. وقل أدب التغزل المكشوف، وذلك
تأثرا بالطابع الديني الذي كانت عليه الدولة ابان عظمتها حتى ان
عبد المومن لما انشد في مجلسه ابو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله
القرطبي ابیادا ثلاثة يتغزل فيها في شاب من اهل أغمات هجره هذا
الخليفة ومنعه من الحضور في مجلسه وصرف بينه عن القراءة عليه.
انظر بغية الوعاة 62.

وما يؤثر من شعر لعبد المومن في التغزل بفتاة
قدت فؤاده ومساجلته في هذا الموضوع مع وزيره ابن عطية الى آخر
القصة الشهيرة، فالغالب ان ذلك مفتعل على عبد المومن من خصومه.
ومما يؤيد هذا انه لم يجزم بالقصة واحد ممن رواها؛ فالانيس اوردها
129 بلفظ قيل، والنفع (3) 101 بعبارة: وقد حكى. والاستقصا (1) 154
صدرها بقوله: يروى. وان من يقرأ صدر ص 134 من (مجموع رسائل
موحدية) ويضيف ذلك لموقف عبد المومن مع ابن ميمون يجزم بما
ذكرنا، ويقطع بان القصة لا رأس لها ولا ذنب.

وكما تأثر الادب في هذا العهد بما ذكر، كذلك تأثر بالهداية ومبادئها، والدولة ونظامها، وبكثير من العلوم الفلسفية التي كانت شائعة في هذا العصر، وظهر هذا بصفة خاصة في الشعر، وبصفة اخص في اشعار ابن حبوس وابي حفص الاعماتي وابن خبازة، بل وتأثر الادب ايضا بالعلوم الاخرى حتى علم اللغة ظهر اثر نهضته في شكل مخل ببلاغة الادب في بعض رسائل ومخاطبات ابي الخطاب ابن دحية واخيه ابي عمرو وانظر عن ابي الخطاب عنوان الدراية 160. ونفح الطيب (1) 369 وعن اخيه الصلة 140 والتكملة 1837 وبغية الوعاة 322.

كذلك ظهر اثر عظمة الدولة في ادب هذه الحقبة؛ فوجد شعراء عابرة متفننون تناولوا اكثر ابواب الشعر العربي. ونبع من بينهم افراد مكثارون طویلوا النفس، جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم، كما ظهرت مؤلفات ادبية قيمة.

ومن الدواوين الشعرية التي جمعت في هذا العهد (1) ديوان ابي عبد الله بن حبوس الفاسي. قال في الذيل والتكملة: وقد جمع له بعض اصحابه المختصين به ما علق بحفظه منه أو حضره ذكره أو أسأرتة عوادي التنقل والاضطراب الى آخر ربيعي ستيون وخمسائة فناهز ذلك ستة آلاف بيت وخمسائة بيت، وقد وقفت منه على مجلد متوسط، وكانت وفاته سنة 570 انظر الاعلام (3) 31 و (2) ديوان ابي بكر عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي المكناسي ثم الفاسي، ذكره في التكملة 2433 والجذوة 278 و (3) ديوان الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن. نفح (2) 102 جمعه له الكاتب الشاعر ابو عبد الله محمد بن عبدربه المالقي. المصدر (1) 368 و (4)

ديوان ابي العباس الجراوي التادلي وقف عليه ابن الابار، وحدث عنه في التكملة القسم المفقود 323 و (5) ديوان ابي عمرو ميمون ابن عبد الخالق الريفى الصنهاجي الخطابي المعروف بابن خبازة جمع فيه كثيرا من شعره ابو عمرو ابن سالم بن صالح البهراني المالقي. انظر ازهار الرياض (2) 380 و (6) ديوان ابي عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري اشار له في البغية 77.

ومن الكتب الادبية المؤلفة بهذا العصر: المطرب في اشعار اهل المغرب لابي الخطاب ابن دحية. كشف الظنون (2) 455 وتأليف ابي القاسم عبد الكريم بن عمران القصري في شعراء عصره، اخذاً من شعر المذكور؛ اثبتته في الاعلام (3) 102 وصفوة الادب وديوان العرب لابي العباس الجراوي وهو مجموع يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لابي تمام الطائي، وهو عند اهل المغرب كالحماسة عند اهل المشرق وفيات الاعيان (2) 494. واختصار الصفوة المذكورة مؤلفها، وهو الحماسة المتأخرة، ويوجد من هذا الاختصار نسخة خطية في خزانة السلطان الفاتح بالاستانة وقد اخذت لها صورة فتوغرافية في الايام الاخيرة بمهمة الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي احسن الله اليه. ارجع الى الملحق الثقافي لجريدة المغرب عدد (9) ومجلة الانوار عدد ربيع 1367 فبراير 1948

ومن الكتب الادبية الاخرى اختصار الاغانى للامير ابي الربيع الموحدى الآنف الذكر. نفح (2) 102. ورسالة البرهان، في ذكر حنين النفوس الى الاحبة والاطوان. لابي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي. سلوة (3) 268 269 وشرح المقامات لعقيل ابن عطية المراكشي الصلة 313 الديباج 219. وليوسف بن يحيى التادلي عرف

بابن الزيات وهو شرح نبيل جدا. نيل 352 واسمه نهاية المقامات
في دارية المقامات كشف (2) 498، وشرح ابي موسى الجزولي
المار الذكر في علم النحو على ديوان المتنبى اختصره من احد
شرحي ابي جني عليه ارجع الى الوفيات (1) 498 وشرح مقصورة
ابن دريد لابن هشام السبتي. تكملة 1053 بغية 20. ونختم قائمة
التأليف الادبية بذكر ابن شرح الشربيني. ت 619 الاوسط على
المقامات، وهو الشرح اللغوي كان باقتراح أهل سجماسة على مؤلفه
في هذا العهد. كشف (2) 498.

ولم تكن عظمة الدولة لتظهر في هذا النوع من الادب فقط.
وانه قد ظهر اثر فخامتها وتجديدها بصفة اجلى واكمل في أدب
النثر الفني كتابة وخطابة وغيرها.

فالكثابة تنوعت في هذا العهد الى ديوانية واجتماعية وسياسية
وأدبية واخوانية وتوقيعات كما سيمر بنا تفصيل هذا، وتنوعت
الكتابة الديوانية الى كتابة انشاء، وكتابة جيش، ولكل من الصنفين
كتاب على حدة، هكذا كان شأنهم من عهد يوسف فما بعده حسبما
يؤخذ هذا من المعجب 160 و 174 و 209 و 218 وبخاصة الرسائل
الموحدية ظهر فيها اثر التجديد الموحدي جليا، فانهم نوعوا اسلوبها
الى لونين: الاول ان تفتتح الكتابة بلفظ من فلان الى فلان، والثاني
ان تفتتح بلفظ اما بعد. والاسلوب الاول وهو الشائع كثيرا في
السلسلة التي ظهرت من رسائل الموحدين، كان الرسم فيه ان يقال
من أمير المؤمنين فلان، ويدعى له بما يناسبه الى فلان، ويدعى له
بما يليق به، ثم يوتى بالسلام ثم بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم والترضية عن الصحابة، ثم عن امامهم المهدي ثم

يوتى على المقصود ويختم بالسلام. والخطاب يعبر فيه بنون الجمع عن الخليفة، وبميم الجمع عن المكتوب اليه. ارجح الى صبح الاعشى (2) 443 ومقدمة مجموع رسائل موحدية.

وقد اكتمل تجديد رسائل الموحدين وطبعها بطابعهم نهائيا في عهد المنصور على يد كاتبه، ثم كاتب الناصر ابنه، ابني عبد الله محمد ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عياش التجيبي المتوفي بمراكش سنة 619 قال في المعجب 174 لدى حديثه عن ابن عياش هذا : ولم يكتب لهم منذ قام امرهم .. من كتبة الانشاء من عرف طريقتهم وصب في قلوبهم وجرى على معيهم، واصاب ما في انفسهم كابن عبد الله ابن عياش هذا؛ فان القوم لهم طريقة تخالف طريقة الكتاب، ثم جرى الكتاب من بعده على أسلوبه وسلوكوا مسلكه لما رأوا من استحسانهم لتلك الطريقة. وقد ختم (مجموع رسائل موحدية) بثلاث رسائل من انشاء هذا الكاتب؛ وهي على نحو ما وصف في المعجب. ارجع الى المجموع 228 - 259.

وكانت رسائلهم في هذا العهد مائلة - في اغلب احوالها - الى الاطناب والتوسع كما تراه في (مجموع رسائل موحدية) جاء فيها: على ان احد ملوكهم كان في بعض الاحيان يوجز الكتب غاية الاجاز وينحو منحى الصحابة في فتوحاتهم حسبما امر بهذا يعقوب المنصور في غزوة الاراك بالاندلس (الرسالة السنة (1) عدد 81). الحلل الموشية 121 .

ومن حسنات هذا العصر (مجموع رسائل موحدية) الذي يضم 37 رسالة من انشاء كتاب هذه الدولة؛ اعتنى باصداره الاستاذ الافى بروفانصال وطبع في الرباط سنة 1941 .

والخطابة العربية هي الاخرى حاول القوم ان يعيدوا لها رونقها وبهجتها بعد ما كادت تندثر من العالم العربي، وذلك بما احيوا من الخطابة السياسية التي صدرت عن غير واحد من خلفائهم مثل المهدي والمامون، وكذا خطابة الجهاد، ومن امثلتها ما وضع في غزوة الاراك من هذا النوع حسبما يعلم من القرطاس 144 وغيره. وكذلك الخطابة عن الوفود وفي النوازل المهمة، قال في المعجب 161 في ترجمة ابي موسى عيسى بن عمران الشولي الوردفسي كان يتكلم عن الوفود، ويخطب في النوازل فيأتي بكل عجيبة وارجع اليه 218. كما ادخلوا تنظيمات على الخطابة الدينية كما يعلم هذا من الوقوف على الخطبة من هذا النوع التي اورد نصها في المعجب 228 - 230.

ويلحق بالخطابة الوعظ وقد قامت له سوق في هذا العصر، ومن ابرز شخصياته ابو عبد الله محمد بن احمد التلمساني المكناسي الاصل المعروف بابن الحجام 558 - 614. رئيس اهل عصره في هذا الميدان والمؤلف فيه تاليفاً حفيلاً سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) نظر الاعلام (3) 87 - 88. وينبغي ان نضيف لابن الحجام زمرة كريمة ممن كانوا ينتحلون هذه المهنة، ومنهم ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقي السلوي ت 563 التكملة 82 و 27 وابو موسى عيسى بن واصل المراكشي ت 637 الطلة 96 وابو اسحاق ابراهيم بن جابر المخزومي المراكشي ت 641 التكملة القسم المفقود 462 جذوة 87 وابو اسحاق ابراهيم بن احمد هارون المرادي الفاسي يعرف بابن الكماد ت 663 جذوة 84.

ومن المميزات الاخرى لهذا العهد؛ ان الموحدين شجعوا نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية، أو سيرها، أو كتب المغامرات

والقصص في جميع أنحاء المملكة سواء في المغرب أو الاندلس، بل
لقد سمح بقراءة هذه الكتب من فوق منابر المساجد. (تاريخ الاندلس
في عهد المرابطيين والموحدين ج (2) 54).

ومن القصص التي كانت شائعة على هذا العهد قصة: الجازية والشريف
التي يرويها موجزة ابن خلدون في تاريخه لدى حديثه عن دخول
العرب الهلاليين لافريقية ويقول: ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن
دخولهم الى افريقيا طرق يزعمون ان الشريف بن هاشم كان
صاحب الحجاز ومكة، ويسمونه شكر بن ابي الفتوح؛ وانه اصهر الى
الحسن بن سرحان في اخته جازية فأنكحه اياها وولدت، منه ولدا
واسمه محمد وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وقتنة
فاجمعوا الرحلة عن أرض نجد الى افريقيا، وتحيلوا عليه في استرجاع
اخته جازية المذكورة فطالبته بزيارة ابويها فازارها اياهم وخرج بها
الى حلهم واقام معها مدة الزيارة فارتحلوا به وبها وكتبوا رحلتهم
عنه، وموهوا عليه بانهم يباكرون به الصيد والقنص ويروحوون به
الى بيوتهم بعد بنائها، فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه
وصار الى حيث لا يملك امرها عليهم؛ ففارقوه ورجع الى مكانه من
مكة وبين جوانحه من حبها داء دخیل؛ وانها من بعد ذلك كلفت
به مثل ما كلف بها الى ان ماتت من حبه. ويتناقلون من اخبارها
في ذلك ما يعفي على خبر قيس وليلى، ويروون كثيرا من
اشعارها محكمة المباني مثقفة الاطراف، وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع..
وهم متفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن
خلف، وجيلا عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب في امرها ان
يرمى عندهم بالجنون لتواترها بينهم (هـ) بواسطة الاستقصا (1) 167-168.

هذا سياق حكاية ابن خلدون لهذه القصة التي هي اصل قصة
 ابي زيد الهلالي الشهيرة، ومما يؤيد شيوعها في هذا العهد بالمغرب
 قول ابن خلدون: ان بني هلال متفقون في الخبر عن حال جازية
 والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل. فهذا السلف والجيل
 الذين رويت عنهم القصة لا بد ان يتناول العرب الهلاليين الداخلين
 للمغرب واعقابهم في العصر الموحد، فهؤلاء لا شك انهم تحدثوا بها
 وكانوا من السلف والجيل المذكورين في سند القصة.
 ومن القصص الاخرى التي كانت رائجة على هذا العهد في الجملة
 (قصة حي بن يقظان) الفلسفية تأليف ابن طفيل، وممن قرأها حينئذ
 عبد الواحد المراكشي الذي وصفها وصفا موجزا في كتابه المعجب
 156، ويوجد بدائرة المعارف الاسلامية مج ل ع (4) ذكر اخلاصة
 هذه القصة.

وآخر المميزات التي نذكرها لهذا العهد ان فيه ظهر ميل
 المغاربة للبحور القصيرة، ومن أمثلة هذا ان يعقوب المنصور كان
 يقترح على الشعراء عروضاً يسمى الخبب كما في المعجب 194.
 كما ظهر فيه استعمال الاوزان المولدة من التوشيح والزجل
 وما الى ذلك، وبسطة الكلام عن هذه الاوزان المولدة نخصها ببحث
 على حدة.



هل اشتغل المغاربة بالتوشيح والزجل على هذا العهد ؟

لعلنا لا نعدو الحق اذا قلنا ان المغاربة عانوا فن التوشيح في
عصر الموحدين؛ هذا النوع الذي وجد في الاندلس جارة المغرب قبل
هذا العهد بأزمان واجيال، وشاع بها في هذا العصر وفي العصر
اللمتوني قبله شيوعا بلغ به الغاية من الوفرة والاتقان كما يعلم
من اواخر مقدمة ابن خلدون 542 - 546.

أما المغرب فلا شك انه بدوره كان اهله يعانون فن التوشيح
على هذا العهد؛ فقد كان هذا الفن محبوبا عند غير ملك من ملوك
الموحدين، وقد مدح به الناصر منهم؛ مدحه به ابو الحجاج يوسف بن
احمد بن علي المريبطري. (طبقات الاطباء (2) 78) واهدى بعض
الادباء للمرتضى الموحدي من اواخر ملوكهم تأليفا يتضمن الكثير
الطيب من التوشيح (ازهار الرياض (2) 230)، وكذا كان محبوبا
لدى الافراد، ومن امثلة هذا ما جاء عن الشاعر الاندلسي الكبير
الهيثم الاشبيلي المتوفى سنة 630. كما في التكملة 2023: انه مر
بقصر كتامة يريد مراکش فاقترح عليه الشيخ ابو علي القصري
رسالة وموشحة وشعرا؛ حيث اجاب الشاعر الاندلسي طلب المقترح
المغربي حينما وبديهة، كما ورد في هذا: كتاب الوافي في القوافي.
تأليف ابي البقاء طاح بن شريف الرندي (خ).

يضاف الى ما ذكر انه في هذا العهد توافد على المغرب عدد
من الوشاحين الاندلسيين واتصلوا بأهله، واقام غير واحد منهم به. ومن

هؤلاء الوافدين: ابو بكر بن زهر الحفيد المار الذكر في الحديث عن الطب، وموشحاته توجد نسخة منها بالاسكوريال من اسبانيا، وابن حزمون كما يوخذ من المعجب 196 - 197. والمريبطري الهيثم الآنف الذكر.

ومع هذا كله يبعد كل البعد ان لا يكون المغاربة عانوا التوشيح واشتغلوا به، بل المحقق انهم نظموا فيه وشاركوا في نهضته على هذا العهد، والسبب في كونه لم ينقل لنا ولا بيت واحد منه: ان المؤرخين المغاربة في هذا الوقت - زيادة على اهمالهم - لم تجر عادتهم بايراد الموشحات في الكتب المجلدة المخلدة، كما يذكر هذا في المعجب (56) اعتذارا عن عدم ذكر موشحات ابي بكر ابن زهر الآنف الذكر.

وينبغي ان يلحق بالتوشيح الزجل الذي وجد بالاندلس قبل هذا العهد، واول من ابداع فيه لعصر اللمتونيين: ابو بكر ابن قزمان امام الزجالين على الاطلاق، ثم بلغ هذا الفن مبلغا كبيرا بالاندلس في عهد الموحيدين، ومن رجاله مدغليش وابن حجد وتلميذه المعمع كما في المقدمة 548 - 550، وقد دخل بعض الزجالين الاندلسيين للمغرب مثل ابي الحسن سهل بن مالك الغرناطي كما يوخذ من النسخ (2) 230 ومدح بعضهم الموحيدين بالزجل مثل ابن حجد المذكور الذي فضل على الزجالين في فتح منورقة بالزجل الذي اوله :

من عاند التوحيد بالسيف يمحق انابري ممن يعاند الحق
مقدمة 550، بل ان الازجال الاندلسية كانت مقروءة لهذا العهد بالمغرب، قال ابن سعيد لدى حديثه عن ابن قزمان: رأيت

ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رأيتها بجواضر المغرب. مقدمة 548.
ان هذا ما يجعلني اميل الى ان هذا الفن الزجلي اشتغل به
المغاربة على هذا العهد ونظموا على منواله، ولا يستبعد ان تكون
امصار المغرب مما يندرج في الامصار المذكورة في قول ابن خلدون
في المقدمة 548:

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور
لسلاسته، وتتميق كلامه، وترصيع اجزائه، نسجت العامة من اهل
الامصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية؛ من غير ان
يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل...

وكما رجحت ما ذكر، كذلك يترجح لدي ان العرب الداخلين
للمغرب على هذا العهد ايام عبد المومن ثم المنصور لا بد ان يشتغلوا
بدورهم بنظم الشعر بلغتهم العربية المستعجمة.
فهذان الصنفان من النظم مما اشتغل به المغاربة في هذا العهد
فيما يظهر لي واميل اليه.

وهناك صنف ثالث من الشعر الغير المعرب يقول عنه ابي
خلدون في المقدمة 553 - 555: ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب
فناً آخر من الشعر في اعراب مزدوجة كالמושح، نظموا فيه بلغتهم
الحضرية وسموه عروض البلد، وكان اول من استحدثه فيهم رجل من
اهل الاندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة
الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب الا قليلا، فاستحسنه اهل
فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من
شأنهم، وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه اصنافا الى
المزدوج والكازي والملعبة والغزل، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها

وملاحظاتهم فيها، ثم ذكر قصيدتين فيما قاله من المزدوج ابن شجاع من فحولهم، وهو من اهل تاز (ه) الخ كلام ابن خلدون. فهل حدث هذا الفن ايضا بهذا العهد؟ هذا ما لا استبعدته وان كان ليست لي الآن الادلة الكافية لاثباته.

وانما لم تنقل لنا هذه الانواع من الشعر الغير المعرب بما ذكرناه في بحث التوشيح عن المعجب؛ بل هذا اخرى منه ولما ذكره ابن خلدون في المقدمة 533 من ان الكثير من المنتحلين للعلوم وخصوصا علم اللسان يستنكر مثل هذه الفنون اذا سمعها، وابن خلدون وان ذكر هذا عن اهل عصره فهو جار ايضا في هذا العصر. وقد شعر المقري في ازهار الرياض بهذا فلذلك نراه بعد ما ذكر طائفة من الازجال يروح يعتذر ويقول (2) 227: كأني بمنتقم ليس له خبرة يسدد سهام الاعتراض، ويتولى كفره ويقول: ما لنا وادخال الهزل - الازجال - في معرض الجد الصراح؟! وما الذي احوجنا الى ذكر هذا المنحى؟! والاليق طرحه كل الاطراح ..

ويظهر لي ان ممن نظم في الشعر الغير المعرب من الشعراء الكبار لهذا العهد: ابن خبازة. لنستمع الى ابن عبد الملك في الذيل والتكملة يصفه بأنه كان ناظما ناثرا؛ له التفنن في اساليب الكلام معربه وهزله على اختلاف اللغات (ه) بواسطة ازهار الرياض (2) 379 وبيان هذا: انه علم من كلام ازهار الرياض الآنف الذكر ان الازجال في نظر بعض الناس انما هي من باب الهزل ليس الا، فاذا لاحظنا هذا مع مقابلة ابن عبد الملك للمهزل بالمعرب في كلامه: نستنتج استنتاجا واضحا ان المراد بالهزل في الكلام المذكور الشعر الغير المعرب، ويكون المعنى ان ابن خبازة كان متفننا في هذا النوع

من الشعر على اختلاف اللغات: لغة الاندلس ولغة العرب الداخلين
للمغرب، ولغة المغاربة... وقد سمي ابن خلدون في المقدمة هذا
ونحوه لغات.

وكما عثرت بهذا الشاعر الذي كان ينظم في غير المغرب
كذلك وقفت على فرد آخر ممن كان يحترف بالغناء بهذا الشعر
في العهد الموحي، وهو ابو علي حسن بن عمر الفهري السبتي؛ والد
الشاعر الآتي الذكر محمد المولود اما آخر 582 أو اول 583 والمتوفى
سنة 667، فقد ذكر ابن عبد الملك في الذيل والتكملة في ترجمة
الابن: ان والده حسن المذكور كان قوالا يغني في المحافل والاسواق⁽¹⁾
مجربا بذلك، والمتلبس بهـذا العمل يعرف في
بلاد المغرب بالمحلي⁽²⁾

شيخا محليا ذكر لي انه من اصحابه ومقاوليه (هـ) بواسطة الاعلام
(3) 149 - 150 .

(1) يياض بالاصل

(2) يياض بالاصل

تعرب لغة المحادثة في العصر الموحدى (1)

ونلفت النظر الى نقطة هامة في هذا الموطن وهو ان تعاطي المغاربة لفن الزجل وما اليه؛ يدل على شيوع العربية في لغة التخاطب؛ وان هذه اللغة كانت عربية شعبية.

وزيادة على هذا فهناك كلمات عرضية وردت في بعض المصادر تدل على هذا دلالة الآثار على الديار، ومن هذا ما جاء في المعجب 239 في سياق حديثه عن اهل فاس: ولغتهم افصح اللغات في ذلك الاقليم، وان من يقرأ كتاب لحن العامة لابن هشام السبتي المتوفى كما سبق لنا سنة 570 يلاحظ ان هذا حينما يقابل في كتابه المذكور الكلمات العربية بالكلمات العامية؛ كما ينطق بها اهل بلده في محادثتهم، ياتي بهذه الاخيرة عربية عامية، بل ان بعض اعلام هذه البلدة - سبتة - كان لا يتكلم الا بكلام عربي فصيح، كما يذكر هذا في البغية 69 عن ابي عبد الله محمد بن عبد المنعم الضهاجي الحميري السبتي، وذكره ايضا في الديباج 289. عن ابي عبد الله محمد بن عياض الشهير 584 - 665 وكما جاء هذا عن هذين الفاضلين من اهل سبتة؛ كذلك نقل عن اديب كبير ممن سكن مراكش؛ وكان صاحب القلم الاعلى في دولة المنصور وابنه الناصر وهو ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياض الآنف الذكر، كان كما في الاحاطة قاصدا الاعراب في كلامه لا يخاطب احدا من الناس على تفصاريق

(1) المقصود شيوع التعرب حينئذ، والا فانه كان موجودا قبل هذا العصر.

وفي ترجمة ابي عبد الله مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سحنون اللواتي في فهرسة لقاضي عياض: انه اخذ نفسه بالاعراب والتقصير في كلامه مع الخاصة والعامة، فلا يكاد يخذ عليه امن.

احوالهم الا بكلام معرب، وربما استعمل في مخاطبة خدمته وامته
من حوشي الالفاظ ما لا يكاد يستعمله ويفهمه الا حفاظ اللغة من
اهل العلم؛ عادة ألفها، واستمرت حاله عليها (ه).

ويجدر بنا ان نقف قليلا عند هذا الكلام لتفهم ما يدخل تحت
كلمة الناس من اصناف المغاربة الذين كانوا يترددون على صاحب
القلم الاعلى ويفهمون - طبعا - مخاطبته لهم بالكلام المعرب، فان
هذا - لا بد - يدلنا على مدى تعرب القوم في هذا العهد.

وينبغي ان نضيف لما تقدم ان دخول طوائف العرب للمغرب
على هذا العهد لا بد ان ينمي ويقوي عروبة لغة المحادثة بمدن
المغرب، ويوجد لها ببوايه التي نزلها اولئك الاعراب واقتسموها مع
سكانها قبلهم، فقد خلص من هذا ان لغة المحادثة لهذا العهد كانت
العربية غالبية عليها في المدن، ولا سيما في كبرياتها وفي البوادي
التي نزلها العرب الداخلون للمغرب.



السبب الذي حدا بالموحدين الى الاستعانة باللسان البربري

ولا بد ان يرد في هذا المقام سؤال لا مناص منه نذكره ثم نحقق الجواب عنه، وهو ان هناك ظواهر يدل بعضها على تمركز البربرية في هذا العصر بالمغرب مدنا وبادية تمركزا ينافي ما تقدم من شيوع العربية في لغة المحادثة، ومن هذا ما جاء عن خلفاء الموحدين (1): انه كان لا يؤم في ايامهم الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري كما في القرطاس 36، وعبارته 42: كاذوا لا يقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري. و (2) كذا جاء عن المامون بن المنصور الموحدي انه نعى - فيما نعاه - على المهدي ابن تومرت النداء للصلاة باللغة البربرية. استقضا (1) 99. و (3) كان من التقاليد المتبعة لدى الموحدين انهم يقرؤون عند ركوب الخليفة في المحافل الرسمية تواليف ابن تومرت بلسانهم البربري وباللسان العربي (معجب 228).

و (4) الف ابن تومرت لاصحابه كتابا سماه بالتوحيد باللسان البربري، كما ألف لهم كتابا سماه بالقواعد، وآخر سماه بالامانة؛ دونهما بالعربية والبربرية، وكان ينقل اليهم المواعظ والامثال ويقرب لهم المقاصد بالبربرية. الحلل الموشية 80. و (5) سلف لناص (27) عن الرسائل الموحدية: ان عبد المؤمن اباح لمن لم يفهم اللسان العربي ان يقرأ توحيد ابن تومرت باللغة البربرية. و (6) في ترجمة سالم بن سلامة السوسي المغربي المتوفى 589 الحافظ لمسائل الفقه انه كان قديرا على اداء هذه

المسائل باللسان البربري، تكملة 2006 . الجذوة 324 .
وقبل الجواب عن هذا الكلام نقدم كلمة نبين فيها ان القوم كانوا
- بصفة خاصة - شديدي الاهتمام بامور الدين: من التوحيد والفقہ وما
في حكم ذلك، وكانت نشأتهم بمعقل كبير من معقل البربرية
- المصامدة - وقيام عصبيتهم الكبرى منه، من أكبر الاسباب التي
حفزتهم ان يلقنوا تعاليم الدين وما اليها ويبجحوا قراءتها باللغتين
العربية والبربرية لمن لا يفهم الا هذه اللغة الاخيرة في تدريسهم
وتأليفهم، ووعظهم، وما نحى منحى هذا. درجوا على هذا اول دولتهم ايام
امامهم ابن تومرت. وبقيت بقايا منه بعده حتى في المدن لما ذكرنا
والمبالغة في الافهام لمن يكون بالمدن ممن لا يعرف الا البربرية.
وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما ذكر من الايرادات الستة وما
شاكلها مع ملاحظة ما تقدم من انهم ما كانوا يتساهلون في استعمال
البربرية الا من اجل افهام من لا يعرف سوى هذه اللغة،
ومما يشير لهذا عبارة رسائل الموحدين المشار لها رقم (5) ونصها
(132): ويومر الذين يفهون اللسان الغربي - البربري - ويتكلمون
به: ان يقرؤا التوحيد بذلك اللسان...

فهذا هو المحمل الصحيح الذي ينبغي ان يحمل عليه ما اشرنا له
من الايرادات وهو الذي تدل عليه حالة القوم، وتشهد به سيرتهم، فقد
كان لهم المكان المكين والمقامات الشهيرة في خدمة اللغة العربية
واحيائها وحمايتها، وكان كثير من خلفائهم وامرائهم كتاباً بلغاء، وشعراء
مجددين، وخطباء مصانع، حسبما تقدم ويأتي، وما وقع في ايامهم من
الجنوح لغير لغتهم الرسمية - العربية - في بعض المواطن انما كان للضرورة،
وهذا امر واقع في كل جيل ودولة قديما وحديثا؛ وحتى الرسول

العربي الهاشمي صلوات الله عليه وعلى آله، ثبت عنه انه استعمل غير العربية في مواقف احتاج اليها. ارجع الى التراتيب الادارية (1) 208 - 210 والى الايام القريبة من عصرنا نجد في بعض جهات المغرب ان بعض الكتب تؤلف أو تترجم بالبربرية وتقرأ وتدرس بها، وعلى سبيل المثال نذكر احد اعلام سوس ابا عبد الله محمد بن مسعود البونعماني السوسي المتوفى 1330 : له تاليف في الفقه باللهجة السوسية، الفه للاميين والنساء ليفقههم في الدين، وكذا معاصره احد اشياخ سوس ابو الحسن علي بن احمد الالغي السوسي، ترجم مجموع الامير والحكم العطائية للغة السوسية، وزيادة على هذه التاليف فهناك تاليف اخرى مترجمة للسوسية، ومنها رسالة ابن ابي زيد القيرواني، والمختصر الخليلي، وشرح البردة.

وفي ترجمة الامام سيدي عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم السوسي الاحاي، انه كان يعلم زائريه مهمات دينهم العربي بالعربية، والعجمي بالعجمية: النشر (1) 71.

وهنا تنبيه لا بد منه وهو انه لا ينبغي ان يفهم مما ذكر رقم (54) : انهم كانوا يخطبون او يعيدون الخطبة بالبربرية او انهم يؤذنون رأسا بالبربرية. فان هذا ليس بمراد، وليس واقعا قطعا وتحققا، وان اوهمته العبارات المشار لها، وانما المراد انهم كانوا يشترطون في الخطيب ما ذكر من حفظ التوحيد - توحيد ابن تومرت - بالبربرية، كما انهم كانوا يعيدون بعد الآذان الشرعي العربي النداء للصلاة بالبربرية.

والدليل على الاول - زيادة على ما تقدم - امور: اولا ان صاحب المعجب ذكر 228 - 230 مثالا من خطبة الجمعة التي كان يخطب

بها بمحضر خلفائهم في صلواتهم للجمعة، ولم يذكر فيها ولا كلمة واحدة بالبربرية. ثانيا: ما جاء في القرطاس 42: عن ابي محمد يشكر بن موسى الجراوي احد الخطباء الرسميين بجامع القرويين انه كان يؤم - في الصلوات الخمس - ولا يخطب، وانما ينيب عند غيره لانه كان اعجمي اللسان شديد العجمة. وعبارة الجذوة 33: وكان بلسانه يسير عجمة اي بربرية كما هو ظاهر، فقد استناب عنه غيره في الخطبة من اجل ان بلسانه عجمة بربرية. ثالثا: ما مر بنا آفا من ان المامون نعى على ابن تومرت النداء المصلاة بالبربرية ولو كانت الخطبة كذلك لكانت هي بدورها جديرة بان ينعاها عليه، وينكرها ويندد بها.

أما مسألة الأذان بالبربرية فقد اجملت اجمالا، اما من المامون أو من ناقلي كلامه مبالغة في الدعاية ضد الموحدين الآخرين وشيخهم ابن تومرت، وحقيقتها ما جاء في مبحث البدع من معيار الونشريسي (2) 361 - 362، وعبارته: ومنها ما احده المهدي الظاهري محمد بن تومرت... من اعادة الدعاء بعد الصلاة، والدعاء عليها بتصاليات الاسلام عند كمال الأذان، وتقام تصاليات وهي اقامة الصلاة. فقد تبين في كلام المعيار ما اشرنا له قبل من انهم لم يكونوا يؤذنون رأسا بالبربرية، وانما كانوا يعيدون النداء لها بتصاليات الاسلام بعد كمال الاذان الشرعي العربي.

بعد هذه النظرة عن الادب المغربي لهذا العهد؛ اتبعها بمبحثين: الاول يتناول ادباء عصر الموحدين بما فيهم من كتاب وخطباء وشعراء، وقد بلغ عددهم 49 أدبيا، وسوف اقتصر على اسمهم

ونسبهم... وعصرهم وحلاهم الادبية مع الاحالة على آثارهم النثرية
والشعرية؛ التي لم تسبق الإشارة لها.. وقد قسمت اولئك الادباء الى
ثلاثة اقسام: (1) الادباء الذين وصلتنا آثارهم. (2) الادباء الذين
وصفوا بالكتابة أو الشعر من غير ان نقف لهم على اثر يذكر.
(3) شاعران اثنان لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربتهما الاقضية
فأفردتهما بهذا القسم الاخير على حدة.

والمبحث الثاني اوردت فيه مختارات من النثر والشعر على
هذا العهد، وقد انقسم النثر فيه الى كتابة، وخطابة، ووصايا، وحكم.
كما انقسمت الكتابة الى: ديوانية، واجتماعية، وسياسية، وأدبية،
واخوانية، وتوقيعات. وانقسمت الخطابة الى: سياسية، واجتماعية.
أما الشعر فقد ذكر منه في الاغراض التالية: المديح، الافتخار،
الرثاء، الاعتذار، والاستعطاف، والهجاء والذم، العتب والتأنيب، الوصف
الغزل، الاجتماع، السياسة.



أدباء عصر الموحدين

القسم الأول

الأدباء الخلفاء والأمراء

1

محمد المهدي بن تومرت عبد الله الهرجي

485 - 524

فصيح في وعظه وخطبه ووصاياه، بليغ في ترسله وكتابته، وقد اثبت له في المعجب 125 - 127 خطبته التي خطبها على الموحدين لما حضرته الوفاة وفي الوفيات (2) 52 خلاصة وصيته لأصحابه لما حضرته الوفاة ايضاً. وفي الحلل 178 ورد له نص خطبة قصيرة يلوح فيها الى مهدويته، ويوعز الى اتباعه في بيعته. وفي (181) منها ذكر له نص رسالة وجيزة كتبها من انشائه للمرابطين، كما اثبت من شعره في الوفيات (2) 53 ابياتاً ثلاثة (ع) (1) كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وأدبائها، بيتين اثنين (ل).

2

عبد المومن بن علي الكومي الزناتي

495 - 558

من أئمة هذا الشأن، وله شعر رائع حسن، اثبت منه في المعجب 145 - 146: اثني عشر بيتاً (ل) يستنفر فيها عرب افريقية الى الغزو

(1) يلاحظ في الحديث عن أدباء هذا العهد انني استعمل عقب الاحاطة على السطر حرفاً مشكولاً. وأقصد بذلك روي الشعر المعال عليه وشكلته.

بجزيرة الاندلس، كما اثبت له في الحلل 119 بيتين (ح) يشيد فيهما
بانتظار الموحدين في بعض المواقع. وفي الشذرات (4) 183 نسب له
بيتين (ب) قالهما لما كثر عليه الثوار.

3

موسى بن عبد المومن

من ادباء ابناء عبد المومن، ويوجد في القرطاس 129 ابيات ثلاثة
من شعره (ث) قالها بديهة من جواب بيتين كتب اليه بهما القاضي
ابو يوسف حجاج.

4

أبو علي الحسن بن عبد المومن

هو الاديب الثاني من ابناء عبد المومن الامراء، وقد ذكر له
في القرطاس 172 ابياتا ثلاثة (ب) كتب بها الى اخيه يوسف لما
كتب عليه.

5

يعقوب المنصور بن يوسف

ابن عبد المومن

555 - 595

أديب شاعر، وفي الحلل 121 - 122 تجد له وصية قصيرة؛ كما
تقرأ له في النفح (2) 99 ابياتا عشرة من شعره؛ كتب بها الى
العرب (م).

ابو الربيع سليمان بن عبد الله ابن عبد المومن

بعد 600

كاتب شاعر، وقد اثبت في النفع (2) 100 - 102 من نشره رسالة كتبها الى ملك السودان بغانة. ومن شعره قصيدة (ع) تشمل على عشرين بيتا يمدح فيها ابن عمه المنصور، ويصف انهزام العدو. وايابا ثلاثة (م) يستعطف بها المنصور وايابا ثلاثة اخرى في التغزل (ب) وقطعة ثلاثية (لا) يخاطب بها المنصور ايضا، وبيتين (ع) كتب بهما الى ابن عمه السيد ابي الحسن الآتي الذكر، وبيتين (ب) يلغز بهما في جارية له، كما اثبت له صالح بن شريف في كتابه الوافي زيادة على البيتين الاخيرين ابيا سبعة (ع) وبيتين (د) الكل في موضوع اللغز.

واثبت صاحب المعجب (199) ان كاتب ابي الربيع محمد بن عبد ربه الذي اسلفنا انه جمع (ديوانه) نحل ابا الربيع كثيرا من شعره ايام كتابته له، قال صاحب المعجب عرفت ذلك بعد مفارقتة - ابن عبد ربه؛ - اياه - ابا الربيع - لاني فقدت شعر السيد ابي الربيع واختلف علي كلامه، ورأيت بخطه اشعارا نازلة عن رتبة الشعر جدا، فعلمت ان ذلك الاول ليس من نسجه.

هكذا يحكم المراكشي على شعر السيد ابي الربيع، وعلى
عكسه نرى ابن سعيد في المعرب ينوه به ككاتب شاعر اديب ماهر
له شعر مدون حسبما ينقل هذا في النفح (2) 102.
واني وان كنت لا استبعد صحة رأي المراكشي لمعارفته لابي الربيع؛
ولما استند اليه في حكمه، فاني احتفظ برأيي النهائي في الموضوع
حتى يتسنى لنا الوقوف على ديوان السيد ابي الربيع (1).

7

أبو الحسن علي بن عمر ابن عبد المومن

من الادباء الامراء، وتجد في النفح (2) 102 ابياتا ثلاثة (ر)
قالها في يعقوب المنصور يمدحه ويستزيده، ويطلب منه ما يقضي به
ديونه، ويتيتن اثنين (ع) اجاب بهما عن البيتين الذين اسلفنا ان
ابا الربيع كتب اليه بهما.

8

السيد أبو محمد عبد الله صاحب فاس

من اهل هذه الكتيبة، وتقرأ له في النفح (2) 103 ابياتا اربعة
(ب) قالها في الفخر.

(1) من -ن الحظ ان يصر الله الكاتب السطور نسخة من ديوان السيد ابي الربيع
بعد ما قدم بعث الآداب للطبع، وفي النية كتابة بحث عن الديوان وصاحبه ان شاء الله.

بعض السادة من بني عبد المومن

انشد له في النفع (2) 103 بيتين اثنين (د) في التغزل.

عبد العزيز بن يوسف بن عبد المومن

ترجمه في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها، ووصفه بانه
كان ينظم الشعر ويجيده، واثبت له ابياتا اربعة (م) في موضوع
قول الشعر.

ادريس المامون بن يعقوب المنصور

629 - 581

عارف بالآداب، فصيح بليغ، خطيب كاتب شاعر، ويوجد
بالقرطاس 161 مثال من خطابته، كما اثبت في الحلل 125 قطعة
شعرية له، تشتمل على ابيات اربعة (ر) قالها في اهل الحراة والفساد
وقد اورد هذه القطعة في القرطاس 162 بزيادة بيت خامس عليها.

أبو حفص عمر المرتضى

665

له حظ في الادب، وقد اثبت له في الحلل 127: ابياتا اربعة من
شعره (د).

عبد الواحد بن ابي زيد بن ابي حفص بن عبد المومن

أديب شاعر بليغ، وقد اثبت له في الاعلام (3) 157 - 159
قصيدة طنانة (ن) يمدح بها ابا عبد الله بن رشيد البغدادى، الوارد
على مراکش، وهي تشتمل على اربعين بيتا (1).

☆ ☆ ☆

الادباء الآخرون

واذ ذكرنا الادباء الخلفاء والامراء في هذا العهد؛ تتبعهم بذكر
ادباء عصر الموحدین الآخرين:

(1) بعد ما حررت بحث (ادباء عصر الموحدین) وكثيرا مما بعده، وقم الي كتاب
(أمرأؤنا الشعراء) تأليف الاخ العلامة المؤرخ المطلع سيدي عبد الله كنون. أهده في ضمن
مجموعة من الكتب الصديق العلامة المؤرخ البجاجة سيدي محمد داود شكر الله عمله، وبالطبع
كان أول ما قرأت من الكتاب قسم امراء الدولة الموحدية؛ حيث وجدت المؤلف أثبت آثارا
ادبية أخرى مهمة لكل من السيد أبي الريم والمامون والمرضى. وتنبهنا لبحث ادباء عصر
الموحدين رايت ان اذيل بتلك الآثار على هذا البحث، وأبين ان كتاب (أمرأؤنا الشعراء)
انفرد بالآثار الادبية المألفة: فقد اثبت للسيد ابي الربيع قطعة رباعية (ن) في الطيف.
وقصيده (د) بها ثلاث عشرة بيتا في صفة الروض والحث على الشرب. وبيتين (ف) في وصف
فسقية، وإيائانا خمسة (ب) في التوبة والدعاء، كما اورد قصيدة ابي الربيع (ع) في مدح
المنصور من ثلاثة وعشرين بيتا مع تقديم وتأخير في بيتين منها عما في النسخ. وذكر شعره
في التغرل (ب) في تسعة آيات. والمامون اثبت من شعره صفحة لامعة من رسالة، ومثالا
من توقيعه. كذلك المرضى ذكر له قطعة سداسية (ل).

الطيب الاديب علي بن يقظان السبتي

كان حيا سنة 544 ذكره ابن القطفي في اخبار العلماء باخبار
لحماء (160) كطبيب شاعر اديب، واورد له ابياتا سبعة من قصيدة
(د) في الوزير الجواد جمال الدين الاصفهاني بالموصل.

الوزير الكاتب أبو جعفر احمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي

553 - 517

من ابلغ اهل زمانه كتابة وشعرا، ذكره في المعجب 128 - 129
والقرطاس 124 - 125. وفي النفح (3) 99-102 وفي غير ذلك، وقد
اثبت له في القرطاس والنفح فصولا من الرسالة النثرية الشعرية
التي يستعطف بها عبد المومن ويطلب عفوه،
كما اثبت له المصدر الثاني فصولا من الرسالة التي كتبها عن
ابي حفص عمر أئنتي الى الموحدين بمراكش؛ يخبرهم عن صورة
موقعة حربية انتصر فيها ابو حفص المذكور. وفي (مجموع رسائل
موحدية) تجد له ستة عشرة رسالة كتبها عن عبد المومن، سبع رسائل

1 - 22 . وسبع اخرى 26 - 71 . ورسالة 95 - 99 . ورسالة اخيرة
126 - 138 .

وقد وردت هذه الرسالة الاخيرة مرتين مبتورة وتامة
اول وآخر الكتاب المعنون - بكتاب اخبار المهدي - للبيدق 13 - 17
و 134 - 145 . وزيادة على الشعر الذي تضمنته الرسالة المشار لها
اولاً؛ فقد اثبت له في النسخ بيتين آخرين (ح) كتب بهما من
السجن الى عبد المومن .

16

الكاتب ابو عقيل عطية اخو ابي جعفر ابن عطية

553 - 520

اشار له في النسخ (3) 99 واثبت له في مجموع رسائل موحدية
ثلاث رسائل 22 - 26 و 71 - 93 .

17

شاعر من اهل سلا

كان حياً 555

اورده عرضاً ابن الابار في كتاب الحلة السيراء، ترجمه عبد الله
ابن خيار الجياني، واثبت له بيتين (ر) من الشعر يؤنب بهما الوزير
عبد السلام بن محمد الكومي، انظر كتاب اخبار المهدي للبيدق 147 - 148 .

الشريف الادريسي السبتي

562 - 449

كان يضيف الى معارفه الواسعة في الجغرافيا والفلك والطب
اطلاعا واسعا على الشعر الاندلسي، وقد عانى بدوره صناعة القريض.
ومن شعره الابيات التالية نثبتها برمتها اغرابتها:

ليت شعري اين قبري؟	ضاع في الغربة عمري
لم ادع للعين ما تشته	لاق في بحر وبحر
وخبرت الناس والار	ض لى خير وشر
لم اجد جارا ولا دا	را كما في طي صدري
فكأنى لم اسر ال	ابميت او بقفر
دعني اجل ما بدت لي	سفينة او مصيبة
لا بد يقطع سيري	امنية او منية

ومن قبل ان امشي على قدم المنى
سعى قلبي في المديح سعيًا على الرأس
من مقال عن الادريسي نشر بمجلة المستمع (3) 15.

ابو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمان بن بقى السلوي

563

أديب شاعر، وممن ترجمه ابن الابار في التكملة 2782 ووصفه بأنه
من اهل سلا، واغفل هذا المصدر الاستاذ الفاضل عبد القادر محداد؛ في

تعليقه على اسم هذا الشاعر؛ حيث اورد شعره صاحب زاد المسافر
وقد اورد له في الزاد 115 - 117 في الوجدانية والرجاء قصيدة (ل)
تتضمن على (11) بيتا؛ كما اثبت له قصيدة (لا) بها ابيات (16) وفيها
يتشوق الى بيت الله الحرام؛ ويتالم من تعذر الوصول عليه الى زيارة
الرسول ص.

20

محمد بن حسين عبد الله بن حبوس الفاسي

500 - 570

شاعر مفلق، فاق في ذلك اهل زمانه، حتى لقب بشاعر الخلافة
المهدية، وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانئ
الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة، والقعاقع الموهلة، واثير التعجير، الا
ان محمداً بن هانئ كان اجود منه طبعاً، واحلى مهيعاً، ذكره في المعجب
137 - 138 وفي زاد المسافر 1 - 6 وترجمه في التكملة 1055
وفي الذيل والتكملة حسبما نقل ترجمته في الاعلام (3) 26 - 31.
وقد اورد مثالا من نثره في المعجب، كما اورد في الذيل
والتكملة امثلة من شعره ابيات؛ عشرون من قصيدة (ر) يمدح بها
عبد المومن لما حل برباط الفتح، واورد اول هذه القصيدة بزيادة
بيت في زاد المسافر؛ فذكر منها تسعة ابيات، كما اورد له في
الذيل والتكملة قصيدة (د) في موضوع التوحيد والزهد والتمسك
بالسنة، تتضمن على ثلاثين بيتا، وقصيدة (ر) ابياتها اثنا عشر في

الوصايا والامثال وذم الزمان، وقصيدة اخرى من تسعة ابيات في الاعتبار (ل).

وزاد المسافر اورد له زيادة على ما ذكر عنه في المديح: بيتين من قصيدة (ج) وعشرة ابيات من اخرى (لا) وخمسة ابيات من قصيدة ثالثة (ر) ومن قصيدة رابعة تسعة ابيات (ق) يمدح بها عبد المومن ويصف فتحه لبجاية. وثمانية ابيات من قصيدة (ل) في الوزير ابن عطية. وفي موضوع الذم: اثبت له بيتين (ر) يهجو بها ابن عطية لما نكب، ومن قصيدة اخرى (ع) أبياتا تسعة يذم بها الشعر، كما ذكر له قصيدة (ص) ذات سبعة عشر بيتا فيما يطلب ان يعامل به الناس.

وينبغي ان يضاف لما ذكر بيتان اثنان من قصيدة ايضا اوردهما ابن حماد الضهاجي في: (اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم) ص (10) وهما في مدح عبد المومن؛ وذكر اختطاط المهدية، وداها وابرأها الثمانية (ر).

21

محمد بن القاضي عياض الشهير اليحصبي السبتي

575

من ادباء هذا العصر، ترجمه في التكملة 1056 وفي الديباج 289 والغالب انه الذي ذكره في زاد المسافر 95 - 96 وسماه ابا عبد الله

ابن عياض، وهو وان وصفه بانه قرطبي؛ فالظاهر ان هذا انما هو سبق
 قلم، وانه من باب قول زاد المسافر في ابن حبوس الآنف الذكر:
 انه من قطر بجاية، مع ان الرجل فاسي تحقيقا، وقد اثبت في زاد
 المسافر لابي عبد الله بن عياض عدة اشعار في التغزل قصيدة (ب)
 تشتمل على عشرة ابيات، وقطعتين (ء، ق) تشتمل كل منهما
 على ثلاثة ابيات، كما ذكر له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة
 وادبائها في ترجمة ابنه عياض: بيتين في التسلية (ح) وبيتا واحدا
 ارتجله في التغزل (ن).

22 عيسى بن عمران بن دافال التسولي الوردميشي

578-512

أديب لودعي، خطيب مصقع، بليغ شاعر مفلق، ترجمته
 في المعجب 160 - 161 وفي التكملة 1931 والصلة 94 والذيل
 والتكملة والقرطاس 172 والجذوة 283. وفي هذين المصدرين
 الاخيرين تقرأ له رسالة نثرية كتبها لابنه حيث كان يدرس بفاس.

23

محمد بن احمد بن عبد الرحمان ابن الصغير الانصاري الخزرجي المراكشي

527 حدود 590

ممن تعاطى الشعر على هذا العهد، وكان له حظ صالح من
 قرظه، واكثره في الزهد والحكم؛ وما نحا ذلك، ترجمه في الذيل

والتكملة، ونقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 64 - 66 واثبت له
قطعة خماسية (م) في الشكوى.

24

ابو بكر عتيق بن علي بن حسن بن
حفاظ الصنهاجي الحميدي المعروف
بالفصيح المكناسي الفاسي

595

من شعراء هذا العهد، وسلف لنا ان له ديوانا شعريا ترجمه
في التكملة 2433 والجذوة 278.

25

عبد الله بن محمد عيسى التادلي الفاسي

597 - 511

أديب ناظم ناثر، له رسائل واشعار جيدة، ترجمه في التكملة
1491 والجذوة 236، والنيل 137 - 138. وفي هذا المصدر الاخير ذكر
له بيتين (ك) يخاطب بهما ابن مضا.

كذلك نسب له في كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها؛ في
برجمة ابنه عياض بيتين اثنين في التسلية (ح)

شاعر من أهل فاس

ذكره عرضا في زاد المسافر 62 ونسب له هذين البيتين:
يعاف السمع شعرك يايزيد وخطك في بشاعته يزيد
اذا وجهت شعرك في مراد بخطك ليس يدرى ما تريد

ابو حفص عمر بن عبد الله السلمي

الاعماتى نزىل فاس

603 - 530

كاتب مجيد، خطيب مفوه، شاعر مبدع، غلب عليه الادب حتى عرف به وشهر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1831 والصلة 130 والجذوة 286 - 288 وازهار الرياض (2) 359 - 374. وذكره في زاد المسافر 101 - 102 والعبدري في رحلته (خ) والغرناطي في شرح المقصورة (1) 100 والمقري في النفع (2) 425 و 149 وفي هذا الرقم الاخير نسه في النفع الى قرطبة غلطا، وقد ذكر العبدري في رحلته نص حطبة من خطبه، واثبت له في الازهار قطعة نثرية شعرية في ذم الدنيا، كما اورد له هذا المصدر الاخير كثيرا من شعره. فاثبت له ابياتا 39 من قصيدة طنانة (م) في مدح يوسف الموحدى. وقد اورد في الجذوة الابيات الاربعة من اول هذه القصيدة ؛ كما روت له الازهار ابياتا اربعة (م) في الفخر، وبيتين من قصيدة (ر) يمدح بها يوسف ويهنئه ببيعته الثانية. وذكرت من غزلياته قطعة (م) بها ابيات خمسة. وهي مذكورة في النفع، وقطعة (ر) بها ابيات سبعة واخرى (ب) تشتمل على ستة ابيات مع ابيات ثلاثة في الزهد (ر) وخمسة في مدح العلم (ر) وقد اورد هذه القطعة الاخيرة في الجذوة ايضا؛ التي ذكرت له في التغزل ابياتا سبعة (ر) وبيتين اثنين (ف) واثنى عشر بيتا (م).

وقد اورد في زاد المسافر الابيات الثلاثة الاولى
 من هذه القصيدة، وفي النفع بيتين منها، كما اورد في الجذوة والنفع
 بيتين اثنين (ر) تساجل فيهما ابو حفص مع بعض اشياخ عصره، وانفرد
 زاد المسافر بستة ابيات من قصيدة (ب) في المديح، واخيرا نذكر
 ان شرح المقصورة اثبت له ابياتا ستة (م) في الاعتذار والتغزل
 وحذفت الصلة من هذه الابيات بيتا واحدا.

27

عقيل بن عطية السالف الذكر

608 - 549

أديب كاتب شاعر، ترجمه في التكملة وزوائدها 1946 والصلة 313
 والديباج 219 وذكره في النفع (3) 101 واثبت له بيتين من شعره (د)

28

ابو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي التادي

609

عالم بالآداب، نهاية في حفظ الاشعار القديمة والمحدثة، بليغ
 اللسان، شاعر مفلح، مداح هجاء، حاضر البادرة، وكان ايضا يلقب
 بشاعر الخلافة، وهو الذي اختير لمجالسة الاديب الشرقي عبد
 الرحمان بن منقذ، لما ورد المغرب سفيراً عن صلاح الدين الى يعقوب
 المنصور، وكان يقول آخر عمره: تعسا لطول العمر، الذي اخرني

لمعاشرة هؤلاء الاندال! وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل
الفتح: يا أبا العباس اننا نباهي بك اهل الاندلس. «مجلة الانوار» عدد
جمادى الاولى 1367 = مارس 1948.

ترجمه في القسم الاول المفقود من التكملة رقم 323 والوفيات
(2) 494. وذكره في زاد المسافر 7-9 وفي النفع (2) 388 والازهار
(2) 365. وكان لا يعرف من شعره الا الابيات التالية: بيتان على
اللام المفتوحة في يوسف بن عبد المومن، وبيتان في فاس، قافيتهما ياء
مفتوحة، وقطعة سداسية ميمية في الهجو، وبيتان على الرأ قالهما بتونس
وبيت على النون يمدح به خليفته، وبيتان على الضاد وردا في بستان
ابن أبي مريم؛ يجوز ان يكونا له. مجموع هذه الابيات ثلاثة عشر
أو خمسة عشر. انظر الملحق الثقافي عدد (9).

ولما طبع زاد المسافر ظهرت به أربعة عشر بيتا اخرى للجراوي، بيتان
من قصيدة (ن) في هجو الطابوني الذي صلب. بيتان من قصيدة اخرى
ن- في الهجو ايضا. بيتان ايضا (ف) في الموضوع، قطعة (ن) تشتمل على
ستة ابيات مما وقع له مع احد المبتدلين. بيتان (د) وقع بهما لشاعر
استجدها بقصيدة، كذلك ظهرت كمية معمة من شعره اوردها ابن
عذاري في احد اجزاء البيان المعرب، وهو مخطوط فريد توجد منه
نسخة عند الاستاذ كولان بالرباط.

وابن عذاري يورد شعر الجراوي بمناسبة
الحوادث التي يتعرض لها، وكله في المدح، واكثره يتعلق
بمعقوب المنصور، وهو يتكون من خمس قصائد، وأربع مقطوعات
وابيات، ومجموعه اربعون ومائة بيت، فاذا اضيف الى الابيات الثلاثة

عشر، والى اربعة عشر بيتا في زاد المسافر، يكون مجموع ما نعرف
الآن من شعر ابي العباس الجراوي سبعة وستين ومائة بيت (رسالة
المغرب) (1) - 8.

وينبغي ان يضاف لكل ما تقدم البيتان او الثلاثة ابيات
الواردة عرضا اثناء مقدمة الحماسة المتاخرة للمجراوي؛ ان لم تكن ضمن
الاشعار الآنف الذكر، وكذا ينبغي ان يضاف لذلك ثلاثة ابيات (ر)
في الهجو، وقد وردت في الازهار ضمن ترجمة ابي حفص بن عمر
الآنف الذكر.

عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي²⁹

625 - 581

أديب ناقد كاتب، وفي كتابه المعجب الذي هو اهم مرجع
لاخباره تقرأ له في غير ما صفحة قطعاً نثرية، يتجلى فيها اسلوبه
الفني، كما تجد له ابياتاً تظهر فيها شاعريته المجيدة على قلة ما اورد
من شعره في كتابه، حيث انه لم يذكر فيه الا بيتين (ب) في
التغزل 202 وابياتاً ثمانية من قصيدة (م) يمدح بها الامير ابراهيم
ابن يعقوب المنصور، ويذكر ولايته اشيلية 206 - 207.

ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي³⁰

ابن دحية الكلبي السبتي يعرف بابن الجليل

547 - 633

عارف بالشعر العربي، قارض له، كاتب مستعمل لحوشي اللغة
في رسائله ومخاطباته، ترجمه في الوفيات (1) 481 - 482. والتكملة

1832. والصلة 132 وعنوان الدراية 159 - 167 والبغية 360 والنفع
(1) 368 - 371 والشذرات (5) 160 - 161.

وقد اثبت له في العنوان من نشره رسالة قصيرة مقفلة على نحو
ما وصفنا، كتبها لوالي بجاية؛ يطلب منه اطلاق سراح خديم له، كما
اثبت من شعره قصيدتين اثنتين في مدح السلطان الكامل ابن
ايوب ملك مصر، الاولى (م) بها خمسة واربعون بيتا، والثانية (ع)
بها ستة واربعون بيتا، واقتطف في النفع من القصيدتين الاولى ثمانية
ابيات، والثانية ثمانية عشر بيتا.

31

ابو عمرو ميمون بن علي بن عبد الخالق الريفي الصنهاجي الخطابي

637

كان من أكبر اعاجيب الدهر في سرعة البديهة؛ ناظما او ناثرا
مع الاجادة التي لا تجارى، والتفنن في اساليب الكلام؛ معربه وهزله
على اختلاف اللغات، وكان في آخر عمره جانحا الى امتداح ملوك
عصره، فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع بمثله، ولا يطمع في لحاقه
سرعة ارتجال، وحسن افتنان، وسرعة امثال، هكذا تقول عنه عبارة
الذيل والتكملة المنقولة في ازهار الرياض لدى ترجمته التي
استغرقت منها (2) 379 - 392. كما استغرقت ترجمته من الجدوة
209 - 218.

وقد اثبت له كل من الازهار والجدوة قصيدته الطنانة (ي)
التي مدح بها الرسول (ص) وأشار الى جملة مفاخره ومعجزاته.

بها 145 بيتاً، كما ذكر له كثيراً من قصيدته (ر) التي يرثي فيها أبا محمد عبد الله بن وزير اشبيلية؛ وعظيمها أبي بكر حفيد الحافظ أبي بكر ابن الجذ، ويعزي والده الوزير. اثبت له في الازهار منها 45 بيتاً وفي الجذوة 68 بيتاً، وكذا اثبتا له بيتين اثنين من قصيدة (ل) يذم فيها المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن المنصور، واثبت له في الازهار قصيدة (ل) في الحنيف¹ إلى احبابه، تشتمل على 14 بيتاً، واقتصر في الجذوة على الابيات الاربعة الاولى منها.

وانفردت الازهار بابيات ثلاثة من قصيدة (ب) قالها لما قطع جند المامون اطناب القبة الحمراء التي ضربها المعتصم بن الناصر بن المنصور بظاهر مراکش. وابن عبد الملك (1) هو الآخر اثبت له في الذيل والتكملة (نسخة مكتبة الرباط) قصيدة (لا) في تهنة أبي العلاء بن منصور - المامون بعد - بولاية اشبيلية بعد قرطبة.

32

علي بن أحمد التجيبي المعروف بالحرالي المراكشي

637

أديب مبرز. له الشعر الفائق غزل وتصوفاً، ترجمه في التكملة 1921 وعنوان الدراية 85 - 97 والنفح (1) 411 - 412 والنيل 201 - 202 والشذرات (5) 189.

(1) تنسب هذا المصدر المذكور (رسالة المغرب. س (6) ع 4.

وقد اثبت له في العنوان مثالا من ادبه الصوفي، ومنه قطعة
(ن) بها ابيات (6) وقصيدة (م) بها (10) ابيات.

33

ابو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري

643

متحقق بالآداب كاتب شاعر، ترجمه في التكملة 2184 واثبت
له بيتين (ل) واورد له في الاعلام (3) 102 - 103 رسالة نثرية
مفتحة بقطعة شعرية؛ يطلب فيها من ابن العابد الفاسي الآتي الذكر
بعض قريضه.

34

ابو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الخرجي المكناسي

659

أديب وقته، وشاعر عصره، كما تحليه بهذا الذخيرة السنة 106
وهو مترجم ايضا في الجدوة 177 - 179. وقد اورد له هذا المصدر
الثاني من شعره قصيدة (ل) في التغزل، بها ابيات (13) وبيتين (م)
في الشيب، وثلاثة ابيات (ل) في وصف مصباح؛ وبيتين (ك) في وصف
نهر قذفت فيه مصاييح وثلاثة ابيات (ب) في وصف نهر وردته عطابة
طير، كما اثبت له في الجدوة ايضا (ص) 43 بيتا واحداً (ن) من

مقطوعة بها ابيات اربعة في وصف الثريا الكبرى بالقرويين، تساجل
في هذه القطعة مع الادباء؛ ابي القاسم الزياتي ومالك بن المرحل، ومحمد
بن خلف. وانشد له ابن الخطيب في نفاضة الجراب بيتيه الشهيرين
(١) في مدح بلده مكناس، وقد اثبتهما نقلا عن النفاضة ابي غازي
اواخر الروض الهتون.

35

ابو عبد الله محمد بن عيسى ابن عمر الفهري السبتي يعرف بابن المحلى

582 او 583 - 661

اديب بارع، كاتب بليغ، شاعر فصيح، مفوه لسن، ترجمه في
الذيل والتكملة حسبما نقل هذه الترجمة في الاعلام (3) 149 - 152
وفي البغية 84. واثبت له في الذيل والتكملة ثلاث قصائد في
التغزل على محو في بعضها، الاولى (ب) بها (14) بيتا، الثانية (ح) بها
(15) بيتا، الثالثة (ب) بها (21) بيتا.

36

ابو عبد الله محمد بن علي بن العابد الانصاري الفاسي

662

كاتب محسن، مبرز في حفظ الشعر ونظمه ونسبته الى قائله، ترجمه
في البغية 77 والجدوة 144 والذيل 254 والاعلام (3) 102 - 106 نقلا

عن الذيل والتكملة، وقد اثبت له هذا المرجع الاخير رسالة نثرية مفتوحة
 بقطعة شعرية، يجيب بها رسالة ابي القاسم عبد الكريم بن عمران
 التي اشرنا لها في ترجمته كما اثبت من شعره بيتين (ر) في
 اخوين وسيم وأحدب. وقطعة (ر) بها ثمانية ابيات في وسيم مشعر الثنية
 له خال بشاربه، وبيتين (ف) في شارب رعف، وقصيدة (ر) تشمل على
 وصف حمام ابياتها (15) وقد وقع المحوفي غير بيت منها كما اثبت
 له في الجدوة بيتين في التغزل (ج).

وقد منيت ترجمة هذا الاديب بشيء من الغلط والتصحيف في
 بعض مراجعها، ومن هذا ان صاحب الجدوة اخر وفاته عن تاريخها
 بقرن كامل؛ فجعلها سنة 762 عوض 662 وتبعه في هذا بابا في
 النيل، ولا شك ان هذا سبق قلم ليس الا، وكذلك البغية طوحت
 بنسبته من فاس الى فارس: حيث جاء فيها الفارسي بدل الفاسي
 وبديهي ان هذا تصحيف مطبعي لا غير.

ابو الحسن علي بن مروان الرباطي

من كتاب وشعراء هذا العهد، ذكره - عرضا - في النفح (1) 466
 نقلا عن ابن سعيد، واثبت له شيئا من النثر والشعر، فمن النثر
 رسالتان موجزتان خاطب بهما المؤرخ ابن الربيب، ومن الشعر اربع
 قطع، كل قطعة بها ثلاثة ابيات، الاولى (ق) يبرر بها ضنه بكتبه
 وبخله باعارتها. الثانية (ق) يتأسف فيها لحالة ولده. الثالثة (ر) في
 التغزل. الرابعة (ن) اوصى بها ان تكتب على قبره.

اولئك هم الادباء الذين وقفت على ما اشرت له من آثارهم
الادبية نثرا وشعرا، وينبغي ان نذيل عليهم بالادباء المغاربة الآخرين
الذين لم اعثر لهم على اثر يذكر، وانما وقفت على وصفهم بالشعر
او الكتابة؛ وهذا موضوع:

القسم الثاني

38

علي بن خلف بن غالب الانصاري القصري

568

اديب شاعر. ترجمه في التكملة 1870 و 2380 والصلصة 201
والجذوة 297.

39

محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الانصاري الطنجي

585

من اهل الادب والشعر، وله ترجمة في التكملة 1059.

40

محمد بن حسن بن عطية السبتي المعروف بابن الغازي

بضع 590

له حظ من قرض الشعر، كما هي عبارة التكملة 1060 في ترجمته.

ابو الصبر ايوب بن عبد الله بن
احمد الفهري السبتي

609

من شعراء هذا العهد، ترجمته في التكملة (ق) 536 والجدوة 100.

42

عياض بن محمد حفيد القاضي عياض
الشهير السبتي

630 - 561

فصيح لسن، شاعر مفوه، ترجمه في التكملة 1947 والصلة 322
والديباج 172.

43

ابو عمرو عثمان بن دحية السبتي
اخ ابي الخطاب

634 - 546

من ادباء هذا الجيل، لكنه كان مولعا بالتعكير في كلامه
ورسائله لهجا بذلك، ترجمه في الوفيات (1) 482 والتكملة 1837
والصلة 140. والبغية 322. والنفح (1) 366 والشذرات (5) 168.
ومن سوء حظ ابي عمرو ان لم يثبت ترجمته صاحب عنوان
الدراية، فيذكر بعض آثاره الادبية؛ كما ذكر ذلك في ترجمة اخيه
السالف الذكر ابي الخطاب.

احمد بن محمد بن احمد التميمي البكري السلوي الاصل المراكشي النشأة

641 - 581

وافر الحظ من الآداب، شاعر محسن. ترجمه في البغية 156-157.
والاعلام (1) 351 - 352 .

ابراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ مهدي المكناسي

666 - 600

اديب شاعر، وله ترجمة في البغية 190 .

ابو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي

يعرف بابن البقال وابن تاعظيت عند اهل اغمات . وبسليمان
آحضري عند الموحدين، من رجال الكتابة، كان يكتب الرسائل عن
اذن المهدي ابن تومرت، ذكره في المقتبس من كتاب الانساب 33.

ملول بن ابراهيم بن يحيى الصنهاجي

فصيح بديه بالالسن، يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك وينفذ في ذلك، وكان كاتباً مع المذكور قبله عن المهدي بن تومرت اورده في المصدر المذكور 39،

48

ابنه يعقوب بن ملول

احد كتبة الخليفة عبد المومن. المصدر 40.

ونختم سلسلة الادباء على هذا العهد بذكر الشاعرين الذين اسلفت انه لم تقم لدي الادلة الكافية على مغربيتهما الاقصوية؛ فلذلك ذكرتهما على حدة في هذا.

القسم الثالث

49

الشيخ الشاعر السبتي

جاء في آخر الفتوحات المكية باب الوحايا (4) 551 ما ياتي:
ولقد وفد علينا وزحن باشبيلية شيخ شاعر يعرف بالسبتي من قرطبة رحمه الله، ولم يكن للسبتي موضع ينزل فيه فكتب الى صاحب الديوان ابي عبد الله ابن كعب:

اتحفل بالفرزدق والكميت وفي قيد الحيا شعر السبتي
يروعنني بشعرهما اناس وجهلا روعوا حيا بميت
لئن اسكنتني بيتا رفيعا لتسكن من ثنائي الف بيت
فوقع له صاحب الديوان بيت ينزل فيه، واعتذر اليه ووصله بنفقة.

محمد بن محمد البربري

اثبت له ابن فضل في المسالك (خ) والقلقشندي في صبح الاعشى (5)
 162 بيتين من شعر له يمدح به الموحدين، ويصف دار الضيافة
 المعروفة بدار الكرامة بمراكش:

خير قوم دعوا الى خير دار هي للملك نظرة وكمامة
 عالم السبعة الاقاليم فيها وهم في فنائها كالقلامة



نماذج من أدب هذا العهد

I النشـر

1 الكتابة

(1) الديوانية:

من رسالة من انشاء الكاتب ابي عقيل بن عطية عن الخليفة عبد المومن ؛ الى طلبة تلمسان يعلمهم بفتح قسنطينة، ويخبرهم باذابة يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية الى التوحيد :

... وهذا كتابنا اليكم ؛ كتب الله لكم فيما خولكم النماء والزيادة، ومكن في تمكينكم واصلاح شؤونكم الانالة والافادة، وبسط في ارجائكم ومتعلقات رجائكم اليمن والسعادة، من حضرة بجاية - حرسها الله - عن احوال ترتب صلاحها على افضل وجوده، وفتوح تتابع افتتاحها في قريب المعمور وبعيده، وبشائر ينزه بشرها وسماحها عن الجري على معتاد الدأب المألوف ومعهوده، وآيات بينات اغنى تخيلها واتضحها عن كل برهان ووجوده، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها في المستولية محصى العادة ومعدوده؛ نسأل الله سبحانه وقد بهرت البواطن والظواهر، وعمي الابصار والباحث، تعظيم ما نشاهد ونعاين عوننا يعين وينهض، وعملا يتخلص بشكر آلائه الباهرة ويمحض، وقوة لا تنتكث بالعجز عن اداء حقوقه ولا تنتقض.

وقد تقدم اعلامكم - وصل الله سروركم، وضاعف شكوركم - بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد؛ التي يسر مرامها

بحوله واقتداره، ونور ظلامها باضواء هذا الامر السعيد وانواره، وصير
اباطحها وآكامها من مواطيء اوليائه وانصاره، وكيف كانت صورة
الحال في درجها، وتصرف الانتقال من محصبها الى عرجها، وان
أبا زكرياء يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر وجميع اخوته
وقرابتة وخوؤله حين اتاهم الزائد الذي لا يكذب اهلده، وانتحاهم
القائد المبيح وعز المتحى وسهله؛ لم يكن لهم بد عن التسولي عن
قرارهم، والتخلي عن اوطانهم واقطارهم؛ لامر قضى الله فيه لهذا الامر
المبارك بخير قضائه، وشأن طوى الخيرة درج تضمنه واقتضائه، فكان
مامهم الذي اعتقدوا منعته وحصانته، واعتمدوا ثقته عليهم وامانتته،
بلد قسنطينة - عمره الله - لكونه بحيث لا ينال بقدره مخلوق، واين
يستعلى بامتناعه على كل ملحوظ بعين المحاربة او مرموق، وكانت
جمل من عساكر الموحيدين حين احتلال الجملة المذكورة فيه،
واعتدادهم في عداد من يحويه ويؤويه، بجهة القلعة - حرسها الله -
على اثر فتحها الميسر، ونيل اجرها على الوجه المتخير، فانهض منهم
بعون الله الى تلك الجهة من رجي الخير في انهاضه، وحض على خدمة
هذا الامر واعراضه، فحين ألم الناهضون المذكورون - وفقهم الله -
بجهات قسنطينة - حرسها الله - فتح لهم الفتح الذي تقدم اليكم بيان
القول فيه واعرابه، واورد عليكم ابداع القدر في تقريره واغرابه،
وعلمتم كيف انهزمت له جموع الضلال واحزابه، وحل الموحدون
هناك - وفقهم الله - بساحة ذلك القطر وذراه، وغشيه منه ما غشيه
وغراه، وما ترك القطا به ان يقطم كراه.

وكان التخميم الملاق، والتدويم المراهق؛ والحق يتجلى، والنصر
يتولى من اظهر الطائفة العزيزة ما يتولى، الى ان صرف الله الالباب

القوم المذكورين الى قبلة الاصابة، واراھم ان النجاة في جانب هذه
 العصاة، والحياة في قرارها الذي هو مقر قرار اليمين والمثابة، فاتفق
 رأيهم على انفاذ جماعة منهم؛ فيهم اخو ابي زكرياء وشيوخ صنهاجة
 وقسنطينة معتمدين بهذه العروة الوثقى، مستسلمين للامر الذي لا
 يقابل بعناد ولا يلقى، سائلين من التامين والابقاء ما يدوم خيره
 للمحق السائل ويبقى، ووصلت الجماعة المذكورة الى هذه الحضرة
 المحروسة، يسعى املها بين يديها، ويعرف القصد عما لديها، وانتهت
 ما تحملته من المخاطبة، وامته لها وان ورائها من حسن العاقبة، فمن
 الله على جميعهم بتيسير مطلبهم، واجمال منقلبهم؛ وصدروا الى مرسلهم
 تتهلل اسرتهم، وتتجمل بحلل العافية والنعمة الصافية كرتهم، فاتوا
 قومهم على تطلع الى بشراهم، وتمتع بطيب ذكراهم، واعلموهم بالضع
 الذي عرفهم تعظيم صنع الله وادراهم، فرأوا اجمعين ان الله سبحانه سنى
 لهم بفضله غاية ما طلبوه، ورزقهم من حيث لم يحتسبوه؛ ووهبهم من
 ايواء الفضل وقبوله فوق ما استوهبوا، حين لم يكن لهم منجى الا
 الذي نرحوا عنه وغربوا، وفتحوا ابواب المدينة المذكورة عندتيقن
 الامر وتحققه، وتعرف سنة هذا الامر المبارك وعظيم خلقه؛ وخرجوا
 عن آخرهم فرحين بفضل الله ورحمته الواسعة، مستظلين بظلال هذه
 الدعوة المحيطة الجامعة، ودخل القطر من امناء الموحدين وغزاتهم
 - وفقهم الله - من امر بعمارته، والاستقرار في قرارته، واستقبل ابو
 زكرياء المذكور ومن معه - وفقهم الله - هذه الجهة - حرسها الله - على
 احسن حال، واكرم واقبال .

واتم الله نعمته بهذا الفتح المحيط، والصنع المبسوط، اتماما بلغ
 الأمل غاية مأموله، والسائل كافة مسؤوله، فذلك القطر هو الطرف

الاعلى، والرابط الاحق الاول، ورأس الجسد الذي استتبع بعضه بعضا واستتلى؛ وبه انعقدت روابط هذا الاقليم العظيم وقواعده. وفقدت ضرر من كان ينوي الضرر فواقده، ومعه متأتى جمع شمله وضمه، وامساك شانه كله وعزمه، وبه ختم كتابه وكرم الكتاب ختمه. والله نساله بشكر هذه النعم المتظاهرة عوننا ممدودا، وحولا بمعاهد المعونة الربانية معقودا، وقوة تلقى من حمدنا الى كل جديد منها جديدا؛ بمنه. مجموع رسائل موحدة 23 - 26

(2) الاجتماعية:

(أ) من الرسالة المعروفة برسالة الفصول . انشأها الكاتب ابو جعفر بن عطية عن اذن الخليفة عبد المومن الى اهل بجاية يوصيهم باقامة الحدود وحفظ الشرائع واطهار الحق بلزوم الواجبات: ...وابتديء باول مباني الاسلام فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو اساس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي لا يثبت عمل دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها؛ فلا سبب لمن لم يتمسك بسببه، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به، وهو اثبات الواحد ونفي ما سواه، بتقييدات في الشريعة لا يكفي معها اطلاق اللفظ دون تحقيق معناه؛ وذاك ان يعلم على وجهه وحده ليكون عن علم لا عن ضده، وعن يقين لا عن شك، وعن اخلاص لا عن شرك، وان يقوله مع العمل، ولا ينكل، ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي ويتكلمون به ان يقرؤوا التوحيد بذلك اللسان من اوله الى آخر القول في المعجزات، ويحفظوه ويفصوه، ويلزموا قراءته ويتعهدوه، ويومر طلبة الحضر ومن في معانهم بقراءة

العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبيين والتنبيه والتبصر، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة التي اولها: «اعلم ارشدنا الله واياك» وحفظها وتفهمها، واشمل في هذا الالتزام الرجال والنساء والاحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف اذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل ولا بالرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة، فقد تعثر في اذيال الضلالة، فان لم يبادر الى التخلص منها، والانفصال بالعلم عنها، فقد وجب عليه حكم الكتاب ولا عنت في اراقة دمه لاحالة. وآخذوا باقامة الصلاة التي هي الكتب الموقوف على المؤمنين، والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين، والناحية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين؛ ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة؛ فهو محو من ديوان المؤمنين؛ ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع من الوظائف والقوانين، وتاركها ميت في عداد الاحياء؛ الخشاشة تقضى عند انقضاء امد الامهال والاملاء، فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت، وادائها بحسب ما فرضت، وخذوا العوام ومن في الديار بحفظ ام القرآن وسورة معها؛ وما يتسر من القرآن لتتم صلاتهم ويكمل عملهم؛ ومن اضاع الصلاة واهملها ولم يبادر الى اداء ما فرض عليه منها فاجله للحين متاح. وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب. وخذوا بايتاء الزكاة، وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها او النزر اليسير منها. فالزكاة حق المال، والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها، ومن منع عقالا فما فوقه كمن منع الشرع كله.

وأمر بالنظر في الربوب وتمييزها، والهجوم على بائعها ومدمني شربها ومستعملها فإراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعتمد الى من عمل المسكر الحرام عامداً، وشربه مدمنا عليه ومعاهداً، ولم ترعه الحدود. ولم تقيد القيد، ولم يعظه الاعتبار، ولم ينفعه الاذكار، فيمحي أثره، ويحذف خبره، فالخرام الكبار، وجماع الاثم وكاشفة شمس العقل، والبلاغة على كل قبيح من الفعل، والفتحة كل مرتج من ابواب العصيان، وهي رجس من اعمال الشيطان.

وأمر بالكشف عن التلصص والخرابة، والتولج في مكان من الريب والغواية، والاجتماع على السير الجاهلية من الملاهي على فنونها وانواعها وضروبها واختلاف آلتها؛ وما يتبعها من المناكر الناشئة عن اصل الجهالة، والافعال المنافية للشريعة الصادرة على اهل الذراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضلين، ومن النساء المفسدات. المفتنات في طرق الغوايات. فاكشفوا عن هذه الاضناف واثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى والظنة باستصحاب حاله، وتماديه على الاحضار في محل باطله ومحاله، فيحكم كتاب الله - جل اسمه - عليه، وتطاع سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيه.

وليكشف عن الذين يغرمون الناس ما ليس قبلهم، وياكلون بالباطل اموالهم، وعن اهل العناد والتقاعس والاخلاد، والتشط الذين اذا دعوا الى الجهاد، ونودوا الى الصلاح والرشاد، صموا عن النداء وتلوموا في اجابة الدعاء، والقوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الاعتقاد، وعن القبائل الباقية على سير الجاهلية من الهرج فيما بينهم والقتل والفساد، والخبل والانقياد الى

سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق وضبط الامر، وعن اهل
النفاق والتدليس، الناطقين بما لا يعملون، والقائلين ما لا يفعلون
فاذا تعينوا على التحقيق، فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي امر به فيهم.
بمجموع رسائل موحدة 131 - 134. كتاب اخبار المهدي للبندق 139 - 142.
(ب) من رسالة السيد ابي الربيع الموحي الى ناحية سجلماسة؛

جوابا عن رسالة ملك غانة بالسودان ينكر عليه تعويق التجار.
...نحن نتجاوز بالاحسان، وان تخالفنا في الاديان، وننتفق على
السيرة المرضية، ونتألف على الرفق على الرعية. ومعلوم ان العدل
من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة، والجرور لا تعانیه الا
النفوس الشريرة الجاهلة، وقد بلغنا احتباس مساكن التجار ومنعهم
من التصرف فيما هم بصدد، وتردد الجلابنة الى البلد مفيد لسكانها،
ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا
من اهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب فعله. ولا ينبغي لنا ان
ننهى عن خلق وناتى مثله. نفح (2) 100.

(ج) ابو حفص الاغماتي يحذر من الدنيا واهلها، ويحض على علم
الكتاب والسنة :

هذه الدنيا - حفظك الله - كما قد علمته، فاعرض بحلمك عن
جهلها، وارغب بنفسك عن اهلها، واذكر قبائح انبائها، واصرم وصل
انبائها، لا ترتع في روضهم، ولا تكرر في حوضهم، وقل الله ثم ذرهم
في حوضهم، واذا مررت باللاغين بذكر محاسنها، اللاهين بحسب
ظاھرھا عن قبح باطنها، فاله عن لهوهم، ومر كريما بلغوهم؛ مر
المهتدي في سيره، واعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره،
فالسيادة والسعادة في نبذها، لا في اخذها، وفي تركها لا في دركها،
واليك عن وصلها اليك، وعليك بهجرها عليك، واتل قوله تعالى :

«ولا تمدن عينيك» وقوله تعالى: «ولا تعد عينك عنهم» واحرص ان تكون منهم؛ فزخرف الدنيا في نظر العين زين، وفي نظر العقل شين؛ فغمض عينك تبصر، ولا تمدها واقصر؛ جعلنا الله ممن نظر بقلبه، وابصر بلبه، فاولوا الالباب والفكر؛ المخصوصون بالذكر، والعلم ارفع المزايا، واوسع العطايا، هو غاية المنال والمدرک، من ناله اي شيء فاته. ومن فاته اي شيء ادرك؟!... ولا علم الا علم الكتاب والسنة، هما افضل العطايا والمنة، فمن علمهما ونظر فيهما وعمل بهما؛ نال غاية السعادة، وادرك منتهى السيادة؛ قال الله تعالى لنبيه الكريم: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم». هذه المزايا العالية، والعطايا الواسعة الباقية، لا ما نهت عنه الآية الثانية، جعلنا الله ممن ابصر رشده، وذكر مراده: ووجه اليه قصده، ورأى في اول امره آخره، وابتغى فيما اتاه الله الدار الآخرة؛ بمنه وفضله آمين.

الازهار (2) 359 - 360.

(3) السياسية :

(أ) من رسالة للمهدي ابن تومرت يذكر مثالب المرابطين وما انعم الله به على الموحدين: (1)

...واعلموا وفقكم الله ان المجسمين والمكاريين وكل من نسب الى العلم اشد في الصد عن سبيل الله من ابليس اللعين؛ فلا تلتفتوا

(1) ثبت هذا القسم من احدى رسائل ابن تومرت كمانودج للكتابة السياسية اول قيام دولة الموحدين - على ان عمدة ما ورد في هذا النوع من الكتابة عن المرابطين - يعملها ابن تومرت وحده من غير ان يشاركه في رايه.

الى ما يقولون؛ فانها كذب وبهتان، واقتراء على الله ورسوله، وما
نسبوا اليه من الخلاف لله والرسول؛ فذلك خب وغش للمسلمين
وخيانة لله ورسوله؛ يابى الله ورسوله ان يكون من تمسك بالحق
واتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأذاب الى الله - مخالف الله
ورسوله؛ بل المخالف لله ورسوله من اتبع الباطل وخطوات الشيطان.
فانتبهوا وفقكم الله لهذه الحيل؛ التي يحتالون بها على عيشتهم
ودنيائهم حتى حملهم ذلك الاقتراء على الله ورسوله حتى عكسوا
الحقائق وقلبوها؛ وحرفوا الكلام عن مواضعه، ونسبوا من دعى الى
التوبة والتوحيد واتباع السنة الى الخلاف؛ وسموه مخالفاً بغيهم، وسموا
من اتبع الباطل وخطوات الشيطان؛ من اتباع عادات الجاهل
والمداينة؛ واكل الحرام وارتكاب الآثام؛ والاصرار على الكبائر
والفجور؛ واكل الدنيا بالدين؛ واكل اموال الناس بالباطل؛ وسموا
هؤلاء كلهم مطيعين، وسموا اتباع الباطل وخطوات الشيطان طاعة
اقتراء على الله ورسوله؛ فلا تلتفتوا الى قلبيسهم؛ ولا تنظروا الى
تدليسهم فانه ظهرت اباطيلهم وتعاضدهم على اخماد الدين؛ وتعاونهم
على الاثم والعدوان؛ فويل لهم مما كسبت ايديهم؛ وويل لهم مما
يكسبون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ...

... واعلموا وفقكم الله ان الموحدين في الامن والامان، ونصر
من الله وعافية وفضل منه واحسان؛ تتابعت عليهم النعم، وترادفت
عليهم المنن؛ لله الحمد على ذلك؛ اشتغلوا بتعليم ما يلزمهم والاهتمام في
دينهم، والقيام بفرائضهم، والاستعداد للقاء ربهم. فالله يتم علينا وعليهم
ويوزعنا شكر انعمه، اذل الله لهم عدوهم، وقذف في قلوبهم الرعب
وزلزل اقدامهم وانتقم منهم بجورهم، واخذهم بسوء افعالهم، اخذهم الله

في كل ناحية، وقطع الله لهم كل حيلة، هم في خزي وخسران، ورعب
وخذلان، وذلك كله من حول الله وقوته لا مننا؛ ولا من افعالنا،
انما هو من وعد الله الذي لا يخليه لأوليائه؛ وخزي من حاد الله
ورسوله من اعدائه؛ ارسل عليهم جنودا لا قبل لهم بها؛ واظهر عورتهم
وذلتهم لأوليائه؛ وكل من استند اليهم من حزب الشيطان من
أوليائهم لا شك فيه ولا ريب ان من اعتصم بغير الله تعالى خل سعيه،
ومن اتكل على غيره خسر دنياه وآخرته؛ لا عاصم لمن اراد الله
هلاكه، ولا حيلة لمن اراد الله فتنته .

والكفرة اليوم قد تبين للناس ما هم عليه من تبديل الدين
وعكس الامور؛ وايثار الضلال على الهدى؛ وايثار العناد والطغيان
على العدل والاحسان؛ وايثار الاستنكاف والاستبكار على الاستسلام
للامر والانقياد للحكم؛ وايثار الفساد في الارض على الاصلاح فيها
وقطع ما امر الله به ان يوصل من حسن الزاد وحسن الاستعداد
للمعاد، وحملهم الغي والبغي على ان جعلوا الحق باطلا؛ والباطل حقا
والكفر ايمانا، والايمان كفرا، والهدي ضلالا، والضلال هدى، والعدل
جورا، والجور عدلا من يهد الله فلا مضل له؛ ومن يضل فلا هادي له
فقد كشف الله لعباده المؤمنين قلبيسهم؛ واظهر كيدهم الآن؛ لا خفاء
به، قد وضع سبيله، وكذلك الباطل؛ الا لمن سبقت عليه شقوته من
الله، فقد تبين الرشد من الغي؛ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ والله سميع عليم. ومن
يتخذ الشيطان وائيا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا. اعاذنا الله
من الزيغ والزلزل؛ وعصمنا من المحن والفتن. كتاب اخبار المهدي
للبيدق 4 و 6-7.

(ب) من رسالة للمامون يوبخ فيها طائفة من جنده :

تبا لهمتكم المنحطة، وشيتمكم الراضية بأدون خطة، احين ندبتم الى حماية اخوانكم، والذب عن عامة ايمانكم، نسقتم الاقوال وهي مكذوبة، ولفقتم الاعذار وهي بالباطل مشوبة، ولقد آن لكم ان تبدلوا حمل الخرخان الى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول؟!... وانما على الغايات جر الذيول. امراؤنا الشعراء (35).

(4) الادبية

(أ) الوزير الكاتب: ابو جعفر ابن عطية يستعطف الخليفة عبد المومن، من رسالة: قاله لو احاطت بي كل خطيئة، ولم تنفك نفسي عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن في الوجود، وانفت لآدم من السجود، وقلت ان الله تعالى لم يوح في الفلك لنوح، وبريت لقدار ثمود نبلا، وابرمت لخطب نار الخليل حبلا، وحططت عن يونس شجرة اليقطين، واوقدت مع هامان على الطين، وقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها، واقتريت على العذراء البتول ففقدتها، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدو، وذممت كل قرشي، وأكرمت لاجل وحشي كل حبشي وقلت ان بيعة السقيفة لا توجب امامة الخليفة، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه، واعتلقت من حصار الدار، وقتل اشمطها بشعبة وقلت تقادسوا رغبة في البيض والاصفر، وسفكوا الدماء على الشريد الاصفر، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا، ثم اتيت حضرة المعصوم لا ئذا، وبقبر الامام المهدي عائذا لقد آن لمقاتلي ان تسمع، وتغفر لي هذه الخطيئات اجمع، مع اني مقترف، وبالذنب معترف.

فعفواً أمير المؤمنين فمن لنا برد قلوب هدها الخفقان

النفخ (3) 100 . الاستقصا (1) 153 .

(ب) عبد الواحد المراكشي يصف قصيدة ابن عبدون - في رثاء بني المظفر ؛ ملوك بطليوس من الاندلس :

... وفيهم يقول الوزير الكاتب الابرع ؛ ذو الوزارتين ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ؛ من اهل مدينة يابرة ؛ قصيدته الغراء ، لا بل عقيلته العذراء ؛ التي ازرت على الشعر ، وزادت على السحر ، وفعلت في الالباب فعل الخمر ، فجلت عن ان تساما ، وانفت من ان تظاهى ، فقل لها النظير ، وكثر اليها المشير ، وتساوى في تفضيلها وتقديمها باقل وجريز ، فله هي من عقيلة خدر ، قربت بسهولتها حتى اطمعت ، وبعدت حتى عزت فامتنعت ، اوردتها في هذا المنصف وان كان فيها طول مخرج عن الحد الذي رسمته ؛ مخل بالتلخيص الذي شرطته لصحة مبانيها ، ورشاقة الفاظها ، وجودة معانيها ، سلك فيها ابو محمد رحمه الله طريقة لم يسبق اليها ، وورد شريعة لم يزاحم عليها ، فلذلك قل مثلها ، لا بل عدم ، وعز نظيرها فما توهم ولا علم المعجب 49 .

(ج) أبو الخطاب ابن دحية يرثي بغداد وخلفاءها العباسيين ويستعرض الشيء الكثير من الدول والاعيان ؛ الذين ذهبوا وماتوا ، وقد ختم بهذه المرثية الشريفة كتابه : النبراس في تاريخ بني العباس وقال بعد كلام :

... واخذت من طريق خوزستان ؛ الى طريق حلوان ، وقاسيت من الغربة اصناف الالوان ، ومررت على مدائن كسرى أنو شروان وزرت بها قبر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، الزاهد العابد ، المعمر سلمان ، واعملت منها السير والاعذاذ ، الى مدينة بغداد ، فنظرت اليها

معالم وربوعا؛ واقمت مرة عاما؛ ومرة اسبوعا واسبوعا، وانا ابدي في
ندائهم واعيد، والترب قد علا على منازلهم والصعيد، واسأل عن
الخلفاء الماضين وانشد، ولسال الحال يجاوبني وينشد:

ياسائل الدار عن اناس ليس لهم نحوها معاد
مرت كما مرت الليالي اين جديس واين عاد؟!

بل اين أبو البشر آدم الذي خلقه بيده الكبير المتعال؟! أين
الانبياء من ولده والارسال؛ اهل النبوة والرسالة؛ ولوحي من الله
ذي الجلالة. أين سيدهم محمد الذي فضله عليهم ذو العزة والجلال؛
وجعله شفيعهم مع امته والناس في شدائد الاهوال، اين القرون
الماضية والاجيال. اين التبابعة والاقبال. اين ملوك همدان. اين اولو
الابلق الفرد او غمدان. اين اولو التيجان والاكاليل اين الصيد
والبهاليل. بل اين النمارذة واكبرهم نمرود ابراهيم الخليل اين
الفراعنة ومن هو بالسحر عليم؛ الذين منهم فرعون موسى الكليم
اين ملك الهدنانية، هدد بن بدد الكردي؛ الذي لم يكن غدره
بمفيد له ولا مجدي؛ وقد اخبر الحق جل جلاله عنه انه كان ياخذ
كل سفينة غصبا، وزعم المؤرخون انه كان ايضا يملأ القلوب رعبا؛
ويسوم اصحابه قتلا وصلبا، مع الطمع في المال؛ وعدم النظر في عقبي
المال، اين الفرس وملوكها، وعدلها وعدولها. اين دار ابن دار بن
بهمان اين اسكندر بن فلبش اليوناني الذي غلبه وملك بلاده في
ذلك الزمان؛ واطاعه جميع ملوك الاقاليم، وقدر الله به امتحان الخلق
ذلك تقدير العزيز العليم اين كسرى وقيصر غلبهما من الموت
الاسد القصور بعد ان اخرجهما من بلادهما امير المؤمنين ابو حفص
عمر، لما ظهرت الملة الحنيفية كما ظهرت الشمس وبدر القمر.

اين اولاد جفنة وملوك غسان. اين ماديح زياد وحسان اين هرم
ابن سنان اين الملاعب بالسنان اين اولاد مضر بن نزار بن معد بن
عدنان. اين بنو عبد المدان اين ارباب العوام. اين قيس بن عاصم
اين العرب العرباء الامة الفاضلة؛ والجماعة المناضلة. اين اولو البأس
والحفاظ، وذو الحمية والاحفاظ؛ حيث الوفاء والعهد، والحباء والرغد،
الى علو الهمم والوفاء بالذمم، والعطاء الجزل، والضيغ والنزل، وهبة
الافال والبزل، وانها لا تدين عزا ولا تقاد؛ ولا تترام انفة ولا تقاد. اين
قريش المغرورة في الجاهلية بالحي اللقاح؛ والشعب الرقاج. اين
الماضون من ملوك بني امية؛ ذوو اللسن الذليق؛ والاوجه الطلق
والحمية. اين خلفاء بني العباس بن عبد المطلب؛ الذين شرفهم
بالاصالة وليس اليهم بالمنجلب؛ ذوو الشرف الشامخ، والفخر الباذخ،
والخلافة السنية الرضية، والمملكة العامة المرضية.

بلغتنا والله وفاتهم، ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم، قبض ملك
الموت ارواحهم قبضا، ولم يترك لهم حراكا ولا نبضا، ومزق الدود
لحومهم قددا، ووجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك احدا؛ الا ما
كان من اجساد الانبياء عليهم افضل الصلاة والتسليم، فان الله تعالى
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء وقد تكلمت على هذا
الحديث، واثبت انه من الصحيح لا السقيم، وخرجت طرقة في كتابي
العلم المشهور بعون من العزيز الرحيم.

فما ابعد المرء عن رشده وما اقصاه؟ كم وعظه الدهر وكم وصاه،
يخلط الحقيقة بالمحال، والعاطل بالحال، ولا توبة حتى يشيب الغراب
ويالف الدم التراب، فيالهفي لبعث الدار، وانقراض الجدار، وانت هامة
ليل أو نهار، وقاعد من عمرك على شفا جرف هار. تقرأ العلم وتدعه؛

ولا تفهمه ولا تعيه، فهو عليك لا لك، فاولى لك ثم اولى لك، اما آن
للليل الغي ان تنجلي احلاكه، ولنظم البغي ان تنتثر اسلاكه؛ وان
يستفزع المجاذبي جناه؛ ويأسف على ما اقترفه وجناه، وان يلبس عهاده
بتا، ويطلق الدنيا بتا، ويفر منها فرار الاسد، ويتيقن انه لا بد من
مفارقة الروح الجسد.

نبهنا الله تعالى من سنات غفلاتنا، وحسن ما ساء من صنائعنا
الذميمة وسلاتنا، وجعل التقوى احسن عددنا واثق آلتنا. اللهم اليك
المآب، وببيدك المتاب، قد واقعنا الخطايا، وركبنا الاحرام رواحل
ومطايا، فتب علينا اجمعين، وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
الطائعين، وصلي الله على سيدنا ولد آدم محمد شفيعنا يوم القيامة،
وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود والكرامة، وعلى آله
الطاهرين، واصحابه اهل الرضوان المنتخبين، وسلام الله عليه وعليهم
الى يوم الدين. النفح (3) 61 - 63.

(5) الاخوانية:

(أ) رسالة ابي الحسن علي بن مروان الرباطي . وقصتها انه
ذكر لابن الربيب المؤرخ ان عند ابي الحسن نسخة جليدة من
تاريخ غريب، فارسل اليه في استعارتها فكتب اليه :

يا أخي سدد الله آراءك. وجعل عقلك امامك لا وراءك؛ ما يلزمني
من كونك مضيعا ان اكون كذلك؛ والنسخة التي رمت اعارتها هي
مؤنسي اذا أوحشني الناس؛ وكاتم سري اذا خاذلوني، فما اعيرها الا

بشيء أعلم أنك تتأذى بفقده إذا فقد جزء من النسخة، وأنا الذي أقول:

انس أخى الفضل كتاب أنيق أو صاحب يعنى بود وثيق
فإن تعره دون رهف به تخسره أو تخسر وداد الصديق
وربما تخسر هذا وذا فاسمع رعاك الله نصح الشفيق

نفح (1) 466.

(ب) كتب أبو القاسم عبد الكريم بن عمران القصري إلى أبي عبد الله محمد بن علي بن العابد الفاسي يستقرضه بعض قريضه بعد أن شافهه بذلك ووعد به فمطل:

.. أيها الشاعر المفلق، قولة منصف لا متملق، بقيت وللعصر بك
اختيال، ولزهر الآداب من خمائل شمائلك انشبال، ومهما ذكر القريض
بتصريح أو بتعريض، فالناس فيه على براعتك عيال، اقتضى الود الذي
لهم نزل نتعاطاه تعاطي الجريال والاعتدال⁽¹⁾
في مجرة برودها سابغة الأذيال؛ إن اهز عطف
انطباعكم عنصر طباعكم السيال؛

واتقاضي منكم ديناً ما أحمل للموم
صرف الليالي، فبعثت بهذه الرقعة على ما ترون بها من
جذب سجع في مصوح هشيم ها مراد ولا
لمتطاع في تصفح مرسومها ظمي فلعجب بخواطرها
ش لمواطرها رقص الال تشير بمعطل جيدها قلائد
النظم ومحيدها إشارة من راقها لديه لآلاء اللآل فكيف بها إذا

(1) يابض بالأصل: وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

ففتح لها الباب، وكرعت في فم ذلك العباب، واشتملت من مصون
ذخائره⁽¹⁾ الباب فهناك تبرد الاوام وتنشئ بفرادى من

فرائد البديع وتوام، ولا تزال تصرح بالثناء عليكم مترنمة كورقاً
في فروع الايك مهيمنة، وفي دوح سراوتكم ان شاء الله تجد الظلال
وترد الزلال، وتحل حيث حل من وسنى المقل الخيال، فتصدق عليها
واوف المكيال، والله يهنيكم ما منحكم من محاسن رايقة وخلال، وبيقين
في آيات السحر الحلال، وسلام الله عليكم ما انحسر قناع الغيم عن
جبين هلال، ولبي المحرمون باهلال، ورحمة الله وبركاته.⁽²⁾
الاعلام (3) 102 - 103.

(ج) وقد اجاب ابن العابد كاتب هذه الرسالة ابا القاسم القصري
بما ياتي :

ايها البحر الوهوب لفرادى الجواهر والتوام، والخبر الملعوب
باطراف الكلام، وقيت عين الكمال، وبقيت محروس الجمال؛ تتألق
لمن باراك في ارتياد البراعة؛ وتسبق من جارك بجياد اليراعة
وتتبختر من ملابس السعادة في موشى برودها، وتظفر من اوانس
الآمال المنقادة بشهي برودها. وطلتني رقعتك التي جلوت في اسطارها
الكواعب، وعلوت باظهارها الكواكب، واظهرت في نظمها ونثرها
السحر لمرقاده، وذكرت بمستاف عنبرها الشحر على نادي ببلاده
فقلت هذه غاية لا ابليغ مداها، وآية يتحدى بها من اهداها، فتوقفت
عن الاجابة توقف الحسير، وانصرفت الى الاذعان

(1) ياض بالاصل؛

(2) من سوء الحظ ان محي المطركثيراً من هذه الرسالة وجوابها في نسخة الذيل
والتي احتفظت بالرسالتين. وبالرغم من ذلك ثبتهما على علانتهما لما في الباقي من دلالة
على تفوق صاحبهما في ميدان الكتابة.

وانشدت الحاطر وارجاه داحب ابعده حول
 فاني لاغتراره الا ان يساجل عبابك بهذه الصبابة ويعاجل
 يرزق سواه من عدم الاصابة،
 ومجسك اسبل على هذه الهنات
 من قابل تلك الحلل المسهمات في اسمال معاوزه، والله يبيقيكم
 تنظمون عقودها، والمآثر تحبرون برودها، والسلام عليكم ما اء
 انايب وانسدلت من الظلام جلايب،
 وهطلت من سماء بلاغتك شآيب، ورحمة الله وبركاته.

الاعلام (3) 103 - 104 .

(1) التوقيعات:

وكانت تصدر عن كثير من خلفاء الموحدين وبعض امرائهم
 توقيعات عريقة في الاجادة والصنعة؛ على ما يقدم اليهم من القصص
 او الشكاوي، لا سيما يعقوب المنصور؛ فقد كانت مضرب الامثال في
 هذا الباب، وهذه امثلة من توقيعاتهم:

الآن وقد عصيت من قبل...

كتب ابو جعفر ابن عطية الى عبد المومن بقصيدته الآتية
 يستعطفه لما نكبه، فوقع عبد المومن على القصيدة: الآن وقد عصيت
 من قبل وكنت من المفسدين. نفح (3) 101 .
 ظهر الفساد في البر والبحر.

وطلب يعقوب المنصور يوماً من قاضيه ان يختار له رجلين

(1) يباض بالاصل، وكذا الآتي بعده في هذه الصفحة.

لغرضين؛ من تعليم ولد وحفظ امر، فعرفه برجلين قال في احدهما:
وهو بحر في علمه، وقال في الآخر: وهو بر في دينه، ولما احضرهما
المنصور واختبرهما؛ قصرا بين يديه. واكذبا الدعوى، فوقع على رقعة
القاضي: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ظهر الفساد في البر والبحر.
شرح رقم الحلل 58. نفج (2) 100

ما لنا ولدفن الجبابة ..

وامر المنصور القيم على اخيه عمر؛ وعمه سليمان بقتلهما.. ودفنهما
فقتلهما القيم المذكور صبورا ودفنهما، وكتب للمنصور يعلمه بذلك
ويقول: بنيت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسنهما.
فكتب اليه المنصور: ما لنا ولدفن الجبابة. انما هما رجلان من
المسلمين، فادفنهما كيف يدفن عامة المسلمين. المعجب 183.

نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل

واتى قوم الى المنصور ايضا بفيل من بلاد السودان هدية؛ فامر
لهم بطة ولم يقبله منهم، وقال: نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل.

النفج (2) 100

الجواب ما ترى لا ما تسمع...

كتب اذفونش الاسبان ليعقوب المنصور كتابه الشهير
يستدعيه فيه للقتال، وبعد ما قرأ المنصور هذا الكتاب؛ دعى بولده
وولي عهده محمد الناصر فدفعه اليه وامره ان يجيب عنه فقراه هذا
الاخير؛ ثم مزقه وقلبه فكتب على ظهر قطعة منه: قال الله العظيم:
ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم
غارون. الجواب ما ترى لا ما تسمع، وانشد بيت المتنبي ممتثلا:

ولا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرم-رم
القرطاس 140.

.. فاحذر فانك على شفا جرف هار.

وقع ابو الربيع سليمان امير ناحية سجلماسة الآذف الذكر
الى عامل كثرت الشكاوي منه: قد كثرت فيك الاقوال، واغضائي
عنك رجاء ان تتيقظ فتنتطح الحال، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار
عليك تنبيه الى شر الاختيار؛ وعدم الاختبار، فاحذر فانك على شفا
جرف هار. النفح (2) 100 - 101.

يخرج -رج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل..
شكت امرأة الى المامون بن المنصور جنديا نزل دارها وآذاها
فوقع على رقعتها: يخرج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل.
امراؤنا الشعراء (35).

(2) الخطابة

(1) السياسية:

لما مرض المهدي مرض موته استدعى قبل موته بأيام يسيرة
- اهل الجماعة واهل الخمسين - فلما حضروا بين يديه قام - وكان
متكئا - فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، وصلى على سيدنا محمد نبيه
صلى الله عليه وسلم، ثم انشأ يترضي عن الخلفاء الراشدين رضوان
الله عليهم، ويذكر ما كانوا عليه من الثبات في دينهم، والعزيمة
في امرهم؛ وان احدهم كان لا تاخذه في الله لومة لائم، وذكر من

حد عمر رضي الله عنه ابنه في الخمر، وتصميمه على الحق في اشباه
لهذه الفصول، ثم قال:

فانقرضت هذه العصابة نضر الله وجوهها، وشكر لها سعيها، وجزاها
خيـرا عن امة نبيها، وخبطت الناس فتنة تركت الحليم حيرانا
والعالم متجاهلا مداهنا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم؛ بل قصدوا به الملوك
واجتلبوا به الدنيا وامالوا وجوه الناس اليهم في اشباه. لهذا القول
الى هلم جـرا، ثم ان الله سبحانه - وله الحمد - من عليكم ايتهـا
الطائفة بتأييده، وخصكم من بين اهل هذا العصر بحقيقة توحيدـه
وقيض لكم من الفاكم ضلـالا لا تهتدون، وعميا لا تبصرون، لا تعرفون
معروفا، ولا تنكـرون منكرا، قد فشـت فيكم البدع واستهوتكم
الاباطيل وزين لكم الشيطان اضاليل، وترهاتـنـزه لسانـي عن النطق
بها، وأربأ بلفظي عن ذكرها. فهذاكم الله به بعد الضلالة، وبصركم
بعد العمى وجمعكم بعد الفرقة، واعزكم بعد الذلة ورفع عنكم سلطان
هؤلاء المارقين، وسيورثكم ارضهم وديارهم، ذلك بما كسبته ايديهم
واضمرت قلوبهم، وما ربك بظلام للعبيد. فجددوا لله سبحانه خالص
نياتكم، واروه من الشكر قولا وفعلـا ما يزكي به سعيكم، ويتقبل
اعمالكم لينشر امركم، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة وشتات
الآراء وكونوا يدا واحدة على عدوكم، فانكم ان فعلتم ذلك هابكم
الناس واسرعوا الى طاعتكم؛ وكثر اتباعكم واطهر الله الحق على
ايديكم، والا تفعلوا شملكم الذل، وعمكم الصغار؛ واحتقرتكم العامة
فتخطفتكم الخاصة، وعليكم في جميع اموركم بمزج الرأفة بالغلظة
واللين بالعنف، واعلموا مع هذا انه لا يصلح امر آخر هذه الامة الا على
الذي صلح عليه امر اولها، وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه اميرا

عليكم؛ هذا بعد ان بلوناه في جميع احواله من ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريرته وعلايته؛ فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه، متبصراً في امره. واني لارجو ان لا يخلف الظن فيه. وهذا المشار اليه هو عبد المومن، فاسمعوا له واطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لربه، فان بدل او نكص على عقبه او ارتاب في امره، ففي الموحدين اعزهم الله بركة وخير كثير. والامر امر الله يقلده من شاء من عباده.

المعجب 125 - 127

(2) الاجتماعية:

من خطبة لابي حفص الاعماني يحذر فيها من بعض اصناف الفلسفة والفلاسفة، ويحذّر على التمسك بالكتاب والسنة: ...فاياكم والقدماء - الفلاسفة - وما احدثوا، فانهم عن عقولهم حدثوا اتوا من الافتراء بكل اعجوبة، وقلوبهم عن الاسرار محجوبة. الانبياء ونورهم، لا الاغنياء وغرورهم، عنهم يتلقى؛ وبهم يدرك السؤل، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول، الدين عند الله الاسلام، والعلم كتاب الله وسنة محمد عليه السلام، ما ضر من وقف عندهما ما جهل بعدهما، خير نبي في خير امة؛ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، دلهم من قرب عليه، واختصر لهم الطريق اليه، فما ضر تلك النفوس الكريمة؛ والقلوب السليمة، والالباب العظيمة؛ ما روي عنها من العلوم القديمة، نقاهم من الاوضار والادناس، وقال كنتم خير امة اخرجت للناس، كتابهم اعظم كتاب انزل، ونبيهم اكرم نبي ارسل، السيد الامام، لبنة التمام، خير البرية على الاطلاق، بعث ليتمم مكارم الاخلاق. أنزل الكتاب اليه، مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمننا عليه، هو الشفاء والرحمة، وفيه العلم كله والحكمة، معجز في وصفه، عزيز في وصفه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، آياته باهرة قائمة، ومعجزاته باقية دائمة، اذ هي للنبوّة والرسالة خاتمة، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ما ذا اقول وقد بهر العقول، حسبي حسبي: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي...

رحلة العبدري (خ).

(3) الوصية

(أ) لما دنت وفاة يعقوب المنصور؛ جمع بينه والموحدين ووصاهم بوصايا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله، واوصيكم بالايّام واليتيمة فقيل له: وما الايّام واليتيمة؟ فقال: الايّام أهل جزيرة الاندلس وهي اليتيمة، فايّاكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الاسوار، وحماية الثغور، وتربية اجنادها، وتوفير رعيّتها، ولتعلموا اعزكم الله انه ليس في نفوسنا شيء اعظم من همها، ولو مد الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها؛ حتى نعيدها دار اسلام. ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى وحسن نظركم فيها. فانظروا للمسلمين واجروا الشرائع على منهاجها. حلل 121 - 122.

(ب) أوصى أبو موسى عيسى بن عمران التسولي الوردميّشي ابنه لما كان يدرس بفاس بما يأتي:

...وقد اجمعت الامة على ان الراحة لا تنال بالراحة. وان العلم لا ينال براحة الجسم. فادرس ترأس، واحفظ تحفظ، واقرأ ترقى، ومهما ركنت الى الدعة، كنت في اهل الضعة، وما رأيت الناس مجتمعين

على حمده فاجتلبه، وما رأيتهم مجتمعين على ذمه فاجتنبه، والاعدل
الاقسط، ان تسلك السبيل الاوسط.

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل
القرطاس 172. الجذوة 283.

(الحكمة)

ويمكن ان نجد الحكمة المنشورة على هذا العهد فيما رواه ابن
العربي الحاتمي قال: سمعت محمدًا بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد
الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس العدل - اظن - في سنة اربع
وتسعين وخمسمائة يقول: تكلم اربعة ملوك بأربع كلمات؛ كأنما
رميت عن قوس واحدة. قال كسرى: انا على رد ما لم اقل اقوى
مني على رد ما قلت. وقال ملك الهند: اذا تكلمت بكلمة ملكتني
وان كنت املكها. وقال قيصر ملك الروم: لا اندم على ما لم اقل
وقد ندمت على ما قلت. وقال ملك الصين: عاقبة ما قد جرى به القول
أشد من الندم على ترك القول. الفتوحات (4) 549.



المديح:

ابن خبازة يمدح الرسول (ص) ويذكر جملة من مفاخره ومعجزاته:
 حقيق علينا ان نجيب المعاليما
 ونجمع اشتات الاعاريض حسبة
 ونقتاد للاشعار كل كتيبة
 فالسن ارباب البيان صوارم
 لنطلع من امداح احمد انجما
 كواكب ايمان تنير فيهتدي
 سهوت بمدح الخلق دهري فهذه
 فلا مدح الا للذي بمدحه
 الى ان قال :

وكم آية خصت سراقه اذ مشى
 فشاهد آثارا من الخسف كادان
 ولما دعا بالهاشمي اجاره
 واصحبه منه ظهيرا مكرما
 واخبره ان سوف يفتح امره
 ويجعل في كفيه من بعد فتحها
 فأنجزها الفاروق في حين فتحها
 وآيته في خيمتي أم معبد
 وفي الذئب اذا اقعى واخبر مفصحا
 وفي الضب لما ان دعاه اجابه

على اثر المختار للغار قافيا
 يكون لقارون السفاه مؤاخيا
 فابصره في الحين من ذاك ناجيا
 بخط ابي بكر يخيف الدواهيا
 مدائن كسرى والبلاد الاقاصيا
 سواره مما يحرز الدين ساميا
 له عدة بالصدق فيها مباهايا
 وفي الشاة اذ لم تبقي تصحب راعيا
 عن المصطفى والذئب ما زال عاويا
 وقال له : لبيك لبيك داعيا

وآيته اذ فارق الجذع فضله
وان انشقاق البدر اعظم آية
وفي الجمل الآتي بحضرة صحبه
وقصته في المحل لما دعا لهم
وسال به وادي قناة لاجله
وفي قصة الزوراء للخلق آية
دعا بنائاً ليس ينفع ماؤه
ففاض زمير الماء بين بنائه
وركوته يوم الحديدية التي
واشياءه الجم الغفير بقبضة
واخباره بالشيء من قبل كونه
فاخبر ذا النورين ان ستصيبه
واخبر عمارة بأف حياته
وقال لدى السبط : اشقى الوري الذي
يصادف نور الشيب ابيض ناصعا
ونص على السبط الشهيد بكر بلا
وفي الحسن الزاكي ابان بانه
وقال لقوم : ان آخركم بها
وقال : اذا ما مات كسرى فما ترى
وأخبر عن موت النجاشي حينه
وقال على قرب الحمام لبنته :
وآيته جلت عن العدد كثرة
وأعظمها الوحي الذي خصه به

فحن اليه الجذع في الحال شاكيا
ترد على من كان للدين زاريا
ليشكو تكليف المشقة راغيا
فأبصرت سحبا كالجمال هواميا
ثلاثين يوما لم يزل متواليا
وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا
لقلته بالري من كان صاديا
وكان وضوءاً للكتيبة كافيا
افاض بها الله البنان سواقيا
من التمر حتى شاهدوا التمر باقيا
فيأتي على النص الذي قال حاكيا
على الامر بلوى تعقب الاجروافيا
سيقطعها بالقتل من كان باغيا
سيخضبها من هامة الرأس عاصيا
فيسقيه صوب الحنف احمر قانيا
فقام له الدين الحنيفي ناعيا
سيصلح بين الناس للاجر ناويا
مما تا سيصلى جاحم الجمر حاميا
سميا له اخرى الليالي مساميا
وبينهما موج من البحر طافيا
تموتين بعدي فافرحي بملقائيا
فما تبلغ الاقوال منها تناهيا
فبلغ عنه آمرا فيه ناهيا

فكلهم ألفاه بالعجز وانيا
 مرور الليالي جدة وتعاليا
 وحكم القضاء مثبتا فيه نافيا
 يرى ماضيا او ما يرى بعد آتيا
 وتمم بالغايات منها المباديا
 ولا ريء يوما للمصحاء تاليا
 عليه مدى الايام منا وغاديا
 الجذوة 210 و 214 - 215 . أزهار الرياض (2) 384 و 389 - 392.

تحدى به اهل البيات باسره
 وجاء به وحيا صريحا يزيده
 تضمن احكام الوجود باسرها
 وأخبر عما كان او هو كائن
 ووافق اخبار النبيئين كلهم
 وما كتبت يمناه قط صحيفة
 عليه سلام الله لا زال رائحا
 الجذوة 210 و 214 - 215 . أزهار الرياض (2) 384 و 389 - 392.

أبو حفص الاغماتي يمدح الخليفة يوسف بن عبد المومن :
 تغزو بها سبعة وهي الاقاليم
 عليك من نصرها نص وتقديم
 كل الوري حاكم بالله محكوم
 جواد ممالك والمنصور مخدوم
 بوعد ربك هيهات التناجيم
 فينا وثم لها زلفى وتكريم
 هل في البسيطة ظلام ومظلوم ؟
 فانت فيهن اكمال وتتميم
 وحبل من فارق الاجماع مصروم

أبو حفص الاغماتي يمدح الخليفة يوسف بن عبد المومن :
 الله حسبك والسبع الحواميم
 سبع المثاني التي لله قمت بها
 وانت بالسور السبع الطوال على
 والدهر سبعته وسبعة جعلت
 وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
 تسمو بنفس على السبع الشداد سميت
 أنوار عدلك في الآفاق داعية
 أعلى بك الله اعلاماً هديت بها
 عليك اهل الهدى والحق متفق
 ومنها :

ووجهه بجمال النور موسوم
 وظهرها لعهود الله ملشوم
 طابت أرومته والنفس والخيم
 غنى وعز وارشاد وتعليم

فؤاده بضياء العلم منشرح
 وكفه بطنها بالخير منهر
 العلم قيمته ؛ والحكم شيمته
 لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته

سحب العلوم عليهم من سماحته
 العين من نظر ، والاذن من خبر
 يغضي اذاعة وحلما عالما وله
 تشتد فيمن عصى او خان وطأته
 ارادة فوق ادراك العقول لها
 حتى اذا ما بدا منها النجاح بدت
 انظر خواتمها تفهم مبادئها
 والخط سماء علاها عبرة وكفى
 ان الخليفة سر الله ظاهرة
 فسلموا واخلعوا الآراء واتبعوا
 الشرق والغرب من عرب ومن عجم
 والبحر والبر من سهل ومن جبل
 ومنها أيضاً :

وكل جد مفاد من علائك من
 للمسلمين أمير المؤمنين حمى
 الدهر في أنفه من حكمه برة
 العلم والدين والدنيا وساكنها
 جزاء سعيك عند الله مدخر
 عطف على رامداحي وان عجزت
 ما علقوا لو رأوا هذا (قفا) و(ألا
 اذا لقال لراويه عليقة :

تهمي ففي بحرهما هم شرع هيم
 لا تشبعان وباغي العلم منهوم
 في موضع الحق اقدم وتصميم
 وفي الثفاف لذات الزيف تقويم
 فحسبها منه ايماء وتسليم
 كالشمس ما دونها في الجو تغيم
 بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهوم
 من يسترق سمعها بالشهب مرجوم
 آياته وهو عند الله معلوم
 حكم الامام فما في الدين تحكيم
 في كفه عودهم بالقبض معجوم
 جميعها بزماسم الراي مخطوم

نسيمه نفس العليا مشموم
 يحله من صروف الدهر تحریم
 بها الزمان على الابرار مخزوم
 في سلك رأيك ياوسطاه منظوم
 هذا كتابك في الابرار مرقوم
 ان الجمال على العلات مرحوم
 هبى) ولو جاءهم جحر وكلثوم
 «هل ما عمت وما استودعت مكتوم؟»

ياسامعين اماميخ الامام ألا
خذ كأس لفظي دهاقاً من مدائح
ندعو له بدلا من مدحه لقصو
عز الامام فلا تضرب به مثلاً
اعطى الورى فضل ما اعطاه خالقه
صل بالصلاة عليه صدق مدحته

فاجثوا على الركر الاعظام ارقه⁽¹⁾
فيها الحقائق لا لغو وتأثيهم
ر المدح عنه وفيه العذر معلوم
من ذا يقاس به ؟ والمثل معدوم
عليه من ربه بشرى وتسليم
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم

أزهار الرياض (2) 362 - 364 . الجذوة 286

عبد الواحد المراكشي يمدح الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور :
لکم على هذا الورى التقديم
الله أعلاکم وأعلى أمره
أحييتم المنصور فهو كأنه
ومحابر ومنابر ومحارب
الى ان يقول في ذكر ولايته اشبيلية :

فكانما حمص جمالا سارة
وأرى طليطلة كهاجر أثرها
ويقول فيها :

يذر الصايب صغيره وكبيره
ويحرق الاعداء فيما أضرمت
فيها جذاذا والعلوج جثوم
ويجوب نار الحرب وهي جحيم

المعجب 206 - 207 .

أبو الخطاب ابن دحية في سلطان مصر الملك الثامن من قصيدة :

(1) لما قال ابو حفص هذا البيت قام جمع من في المجلس وكان فيهم الشاعر ابو
العباس الجراوي فاحتاج الى مشايعتهم لذلك ؛ وتقل عليه لضخامته فجعل وهو يحاول القيام
يسب القاضي با حفص عمر ويشير الى انه انتصف منه . الازهار (2) 364 .

بأسيافه في الارض هدت كنائس
كتائبه منصوره بكتائب
يهم بمقراه جلال وهمه
فلا تطمعن فيه العدى بل جدهم
ليهنك ياعز الملوكة بشائر
تدال بها ارض العدى بالعمى هدى
وتفتح قسطنطينة وقلعها

وشيد للاسلام فيها جوامع
من الملا الاعلى وجبريل وازع
وتغنى بمغناه نفوس نوازع
ففي غير امر الله بطمع طامع
توالى بها في المشركين وقائع
يكسر ناقوس وتبنى صوامع
يتاح لها امر من الله قالع
عنوان الدراية 165 - 166 .

الامير عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد المومن يمدح
الواعظ ابن رشيد البغدادي لما ورد مراکش من قصيدة :

بحر ولكنه عذب جواهره
يبدي الجلي من الخفي منطقه
معنى رقيق ولفظ زانه زجل
تجمعت فيه اشتات محاسنها
اذا بدا صاعدا ادراج منبره
وان تكلم غار العين من حسد
طورا يعلمنا طورا يخوفنا
يا واعظا بهرت حسنا مواعظه
ذكرت غافلنا علمت جاهلنا

تصوب من وعظك الاجفان واكفة
أيدت بالصدق في قول وفي عمل
كما تؤيد في نظم العروض وقد
كم من شروء أخي غي الى رشد

كما يصوب لصوت
فللدموع اذا اسمعت طوفان
دعا الرسول بروح القدس
قادته يا ابن رشيد منك ارسان

(1) يابض بالاصل ، وكذا الآتي بعده في هذه الورقة .

رأى ولولاك لم تبصر بصيرته
فأنت أنت جمال الدين لا كذب
لله قيوم بهذا لقبوك وقد
وكيف يبصر وجه الرشد عميان؟
لا جحد في ذلك ان الجحد كفران
تحروا الصدق حيوا حيث ما كانوا
الاعلام (3) 158 - 159 .

الافتخار

الامير عبد الله الموحي من ابيات :

الست ابن من تخشى الليالي انتقامهم
يخطون بالخطي في حومة الوغى
كتابا باطراف العوالي ونقسه
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا
وترجو ندام غايات السحائب
سطور المنايا في نحور المقانِب
دم القلب مشكولا بنفخ الترائب
اقاموا كتابا من نفوس الكتائب
النفخ (2) 103 .

الجراوي مع احد المتبذلين :

يا سيدي جائتك رقعة شاعر
لو ادرك النعمان في ايامه
او كان يوما في بني حمدان لم
لاكنه قد ادركته حرفة
فعدا ميززة⁽¹⁾ كل مصفوع القفا
فاذا نظرت الى قفاه حسبتـه
شهدت له الشعراء بالاحسان
لراى له فضلا على الذبياني
تبهج باحمدها بنو حمدان
ادبية مزجته بالعبدان
صفر اليدين ممزق الاردان
نبئت عليه شقائق النعمان
زاد المسافر 8 .

(1) ميززة من الزرز كلمة عربية بمعنى الصفع كما في القاموس وغيره . وهي من الالفاظ العربية التي كانت شائعة بالاندلس والمغرب مستعملة في مدلولها العربي حسبما يذكر هذا عن الاندلس مرتضى في شرح القاموس (4) 42 . وعن المغرب ألونشيشي في المعيار (2) 398

الرشاء

ابن خبازة يرثي ابا محمد عبد الله نجل وزير اشبيلية وعظيمها
احمد حفيد؛ الحافظ ابي بكر ابن الجد ويعزي والده الوزير:

ارجة الصعق يوم النفخ في الصور
ام هدت الأرض اظهاراً لما زجرت
ام الكواكب في آفاقها انتشرت
ما للنهار تعرى من ثياب سنى
قد كان للمصبح طرف زانه بلق
فما الملم الذي غشى بدهمته
اصح لتسمع من انبائها نبأ
وانظر فان بني عدنان ما حشروا
وافى مع العيد لا عادت مضاضته
واعتام دارا لها في السبق جمهرة
رمى قريشا فاصى سهم حادثه
فخانها الجد في ابن الجد حين قضى
لله والمجد ما ابقاه من اثر
نواره عند ما راقت بدوحتها
جار الذبول عليها بعد ما ملأت
وسيق بأس لكسر الخطب اغمده
قضى فوافق شهر الصوم مرتحلا
واختاره خاطب الخطب الملم به
فسار للحين مسرورا وخلفنا

ام دكة الطود يوم الصعق في الطور
به الخليفة من ايقاع محذور
وباتت الشمس في طي وتكوير
واشبه الليل في اثواب ديجور
فقسم الخلق بين الدجن والنور
اديمه عنبرا من بعد كافور
يطوي من الانس فيها كل منشور
الا لرز عظيم القدر مشهور
فشاب سلساله الا صفى بتقدير
من المفخر ازرت بالجماهير
ابناءً فهر بتفريق المقادير
واثر الخطب فيها اي تاثير
اخرى الليالي بطيب الذكر مأثور
اهوت الى الترب من بين النواوير
معاطس الدهر من طيب وتعطير
صرف الحوادث فيها بعد تكسير
ووافق الشهر في فضل وتطهير
للصهر كفتاً فامضى العقد للخور
للحزن فاعجب لحزون بمسرور

نادته انجشة الاحزان يوم حدا
 فالوجد والدمع من حزن قداقتسما
 فالقلب بالغيط في تصعيد مستقر
 وسائق الخطب يشدو الحاملين به
 وللملائك في آفاقها زجل
 اثنى المصاب على شيخ الجزيرة في
 ذاق الرزايا على مقدار منصبه
 لم يصمه الدهر في الابناء من حنق
 وانما بادر الاعلان منتقيا
 ان كان فرق شمل الانس عنه فكم
 يا دهر حملته وقع الخطوب ولم
 فلم تجر ما عليه حير ذي حرق
 اردت بالصبر منه ان تقيم لنا
 يا عامر الترب كم خلفت من كبد
 لو كنت تحمى وتقدي للعلا بتدرت
 أسد تنادي بعقبان الخيول الى
 مشمرين الى ورد الكريهة ما
 بنو الكرام اووا الرايات قاد بهم
 ساقتهم خيرة الاعلان فانتدبوا
 بعزم كل معدي يسايره
 حفوا بباطل يزري لحقهم
 وانما الموت حكم ليس يدخله
 يقضي على الاسد في الآجام حاكمه
 (1) ياض بالاصل .

اطعنا قلبي رفقا بالقوارير
 قلبي وجفني بمنظوم ومنثور
 والجفن بالفيض في تصويب ممطور
 يسوقهم سوق حادي العير للغير
 قد شيعته بتلهيل وتكبير
 عقد وحل وتقديم وتاخير
 والابتلاء على قدر المقادير
 ولا بنه لتدنيب وتجدير
 يصونها صون تعظيم وتكبير
 اولاه للجمع من جمع وتوفير
 تزل تنفذ عنه كل مأمور
 في النائبات ولا احجام مذعور
 برهات تقديمه للخير والخير
 ومن فؤاد بتأوي الحزن معمور
 آلاها بالغنى او بالقناطر
 تمزيق لحم الاعادي بالقناطر
 نالوا العلا الذي نالوا بتقصير
 الى (1) كل منصور
 لنصرة الدين كالاسد المهاجير
 فتح الجزيرة بين السرح والكور
 فأبطلوه بأبطال صغار
 نسخ لخلق وعدل دون تجوير
 وفي الكناس على البيض العافير

ويمتص الشعب في شم الجبال كما
اعظم بآياته من آية عظمت
فسلم الامر فالأقدار قد نفذت
ما افقر ذو الفقر عن جهل ولا كسل
ولا الحماة بنقص في المزاج ولا
فكم صحيح قضى فيها بلا مرض
ومنهـا :

فاسمع بقلبك فالاشياء ناطقة
مقدمات الليالي طالما فضحت
جمع السلامة معدوم الوجود بها
وعامل الموت قد احصى مهندسه
والارض طرس وهذا الخلق احرفه
والدهر يعرب بالافعال يظهرها
وانما الخلق اسماء تعاورها
وكلمهم في مدى الاعمار تحسبهم
والموت مثل عروضي يقطع من
يا من يؤمل ان يبقى وقد نفذت
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به
لا تخدعك الليالي ان فتنتها
كم بادرت بعبوس الخطب من ملك
سائل بكسرى مليك الفرس هل تركت
وانزل بصنعا في قصر ابهذي يزن
واعبر على حيرة النعمان معتبرا

في الوكر يغنام افراخ العصافير
فليس تدرك في جال بتفسير
وكل شيء بتقدير وتدبير
ولا غني المرء عن كيس وتشمير
ضعف الطبيعة عن اسباب تدبير
وكم مريض اقامته لتعمير

والسن الحال تغني كل نحرير
نتائج الغدر منها كل مغرور
وكم بها للردى من جمع تكسير
منازل العمر عدا دون تكسير
والحرف ما بين محو ومبتور
طورا ويعجم منها كل مسطور
اعرابه بين مرفوع ومجرور
كحالها بين ممدود ومقصور
ابياتهم كل موزون ومكسور
ايدي المقادير من ابرام تقدير
آمال نفسك عن دنياك من زور
كادت فكادت ترينا كل محذور
قد بات بالبشر وضاح الاسارير
له المنايا جناحا غير مكسور
تلمم بقصر على الاغيار مقصور
تعبير باطلال نعمى ذات تغيير

واين من كان سجن الجن في يده
واين مخترق الدنيا بعزمته
بادوا فليس بها باد يحس به
هو القضاء ابا بكر اصبته
والله يحرس دنياكم ويدفع عن
سامي معاليك انواع المحاذير
يطوي البلاد بها طي الطوامير
منهم وافناهم ريب الدهارير
فاصر وسلم له تسليم مأجور
جذوة الاقتباس 215 - 218 . ازهار الرياض (2) 380 - 382 .

الاستطعاف والاعتذار :

الوزير ابو جعفر ابن عطية يستعطف عبد المومن :
(أ)

عظفا علينا امير المؤمنين فقد
قد اغرقتنا ذنوب كلها لجج
وصادفتنا سهام كلها غرض
هيهات للمخطب ان تسطوا حوادثه
من جاء عندكم يسعى على ثقة
فالثوب يطهر عند الغسل من درن
انتم بذلتهم حياة الخلق كلهم
ونحن من بعض من احيت مكارمكم
وصبية كفراخ الورق من صغر
قد اوجدتهم اياد منك سابقة

(ب)

انوح على نفسي ام انتظر الصفحا
فها انا في ليل من السخط حائر
فقد آن ان تنسى الذنوب وان تمحي
ولا اهتدي حتى ارى للرضا صبحا
القرطاس 124 . النفح (3) 100 - 101 .

الامير الحسن بن عبد المومن ؛ وقد عتب عليه اخوه الخليفة يوسف
فكتب اليه بهذه الابيات :

اذا نحن اذنبننا فمفوك نطلب وان نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانيك قد عودتنا منك رحمة وانت لنا في كل حالاتنا الاب
ولم نتعود قبل حالة ذلة ولا حذرا مما يقول المحبيب
القرطاس 172 .

ابو حفص السلمي؛ لما اهديت اليه جارية لم تعرف انه كان قد
تسرى امها فصرفها الى مهديها؛ وكتب معها يعتذر :

يا مهدي الرشاش الذي احاطه تركت فؤادي نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى في شمسها لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلبي صرفت اليك وانما صيد الغزالة لم يبيح للمحرم
ان الغزالة قد علمنا قبلها سر المهابة وليتنا لم نعلم
ينا ويح عنتره الذي قد شفه ما شفني فشدا ولم يتكلم
يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
الصلة 130 . شرح المقصورة (1) 100 - 101 .

الهجاء والذم:

الجرأوي (أ) فيمن اسمه خلوف :

زعمو يا خلوف انك خلف صدقوا: فيك من خلوف الوف
ولهذا دعوك بالجمع فردا جمع خلف بلا خلاف خلوف
زاد المسافر 8 .

(ب) في ابي حفص الاعماتي :

نبغت عمرة بنت ابن عمر هذه فلتعجبوا أم العبر

قل لها عني اذا لاقيتها
 هبك كالخنساء في اشعارها
 قوله تترك في الصخر أثر
 او كليلي هل تجارين الذكر؟!
 ازهار الرياض (2) 364 - 365 .

(ج) في قبيلته بني غفجوم :

يا بن السبيل اذا نزلت بتادلا
 ارض اغار بها العدو فلن ترى
 قوم طوا ذكر السماحة بينهم
 لا يملكون اذا استبيح حريمهم
 لاحظ في اموالهم ونوالهم
 لا تنزل على بني غفجوم
 الا مجاوبة الصدى لليوم
 لكنهم نشروا لواء اللوم
 الا الصياح بدعوة المظلوم
 للسائل العافي ولا المحروم
 ازهار الرياض (2) 365 . النفج (1) 574 ،

ابن حبوس يذم الشعر من قصيدة :

يا غراب الشعر لا طر
 واذا استيقظ شههم
 هبك لا تقنص عزا
 رمت ان ترقى سريعا
 ربما اصطاد بغاث
 ولقد غال حبيبها
 بسط الايدي حتى
 واستماح الشيخ دي الكبرة والطفل الرضيعا
 واعد الشعر لالمعلم سيوفها ودروعها

زاد المسافر 4 .

العتب والتأنيب :

الجرأوي : استجداه شاعر بقصيدة فوق له في اسفلها :

يا من يجدي لمن يجدي اسرفت والله في التعدي
انا اجدي الانام طرا وانت تبغي النوال عندي
زاد المسافر 8 .

الشاعر السلوي . وقد قصد - حبة جماعة من اهل سلا - الوزير عبد السلام ابن محمد الكومي ؛ فقعد عن برهم ولم يقض حاجتهم فكتب اليه :
يا من رأى خيبة الراجين ثكرمه ونيل ما املوا عجزا وتقصيرا
مهلا فانك خام في يد زمـن وقد اعدله كـمدا وتقصيرا

الوصف :

ابن حبوس يصف الرياض :

ان رنت الريح الخفوق ازائها ترك القضيب قوامه وتميلا
شرب النشاط سلافة حتى انتنى واوانها حرمت عليه تأولا
زاد المسافر 2 .

السيد ابو الربيع (أ) يصف الروض ايضا :

تنبه ترى ديمة تمطر ووجه الصباح لنا يسفر
وكالند لاكن كافوره بدا فيه واكتتم العنبر
على حين فل الدجى مدبر وللصبح في اثره عسكر
وبين الغمام ومطوره من الروض كالحرب او اكثر
اذا التاح من برق ذا ابيض تاطر من غصن ذا اسمر
والمطر في جيد غض النقا لآل من الماء او جوهر

نجداد ولاكنه اخضر
يفت من السكر او ينشر
ولاكنه للحيا يشكر
امراؤنا الشعراء 30 .

وفي عاتق الروض من سيفه
كان الرذاذ على زهره
وما عبق الروض طيبا لنا

(ب) في وصف فسقية :

بالماء سيلا خفيفا دمعته يكف
لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف
المصدر 31 .

انظر اليها وقد سالت جوانبها
كانها مقلتي يوم الوداع وقد

ابن عبدوس (أ) في مصباح :

بهيم الرجا من سناه نحول
ومن حولها الدهن ماء يجول
وان ظمئت اخذت في الذبول
الجدوة 178 .

تلاألم مصباحنا فاكسى
كان الذبالة نواره
اذا رويت نعمت نضرة

(ب) يصف نهرا قذفت فيه مصابيح :

فيه مصابيح ذادت عنه احلاكا
على قواعد قد حاكين افلاكا
المصدر 178 .

انظر الى النهر يحكي الافق اذ قذفت
جالت به سرج شبهتها شهباً

(ج) في نهر وردته عصابة طير :

كانه الطل في انسيابه
مقحومات على حبابه
وتلقت الحب من حبابه
المصدر 178 .

اما ترى النهر في انصبابه
قد انتحته ظمأ طير
تنفع من مائه أواما

(د) يصف فاس ومكناس ويفاضل بينهما :

ان تفتخر فاس بما في طيها وبما فيها في زيها حسنا
يكفيك من مكناسة ارجاؤها والاطيبان هواؤها والسماء
الروض الهتون .

ابن العابد الفاسي (أ) في حمام :

وحين ضم الليل اذياله وانتشرت الدوية الفجر
قمنا لبیت حرج مظلم قسم بين البرد والحر
تخال من ضمته احشاؤه كأنما ادرج في قبر
تلوح في اقبائه انجم نقيضة للانجم الزهر
تبدو نهارا فاذا ما بدا جنح الدجى غارت ولم تسر
يا طيبه ليلا ويا حسنه صبحا لقد حاز اسنى العمر
الاعلام (3) 105 - 106 .

(ب) في اخوين وسيم واحدب :

في ابني محمد ان نظرت عجائب اخوان ظبي احور وحوار
فمن الجمال بوجه ذاك مآثر ومن الجمال بظهر ذا آثار
المصدر (3) 104 .

الغزل :

السيد أبو الربيع :

اقول لركب ادلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى ازور ركايبها
واملا عيني من محاسن وجهها واشكو اليها ان اطالت غيابها
فان هي جادت بالوصال وانعمت والا فحسبي ان رايت قبابها
وقفت بها اشكو واسكب عبرة على غير بين ما علمت انسكابها

فأومت برخص من بنان مخضب
وقالت: أيبكي البين من قد اراده
ولما تنأى دارها وتباعدت
كتبت اليها اشتكي الم النوى
وكنت أرى ان الجواب تعلل
النفح (2) 102 - امراؤنا الشعراء 29 .

ابو حفص الاغماتي :

مها القفر لادمية المرمـر
بنفسي يعافير تلك الخيام
ملاعب يصبو اليها الحكيم
وفيها الطباء بنات الاسود
فخيس الهزبر كناس الغزال
تخالسها نظرا تحتـــــــــــــــــه
وباللحظ يقدح زند الهوى
الازهار (2) 366 .

ابن خبازة :

هب النسيم ضحى ففاح المنـدل
اسرى عليلا فاستحث الى الصبا
يهوى العذير وساكنيه ومن له
ما شام برقا بالفضا الا انبرى
والبرق في نقع السحائب سيفه
فكان ذاك البرق واش قد مشى
وانا الفداء بجيرة نزلوا الحمى

وتارجت منه الصبا والشمـأل
صبا بانفاس الصبا يتعلل
لو كان يدنو منه ذاك المنـزل
شوقا على جمر الغضى يتملـل
سيف الكمي اذا يكر ويحمل
بنميمـة والرعد لاح يعنـدل
وحى القلوب هو الحمى والمنزل

وتحملوا يوم الفراق وانما
قبسوا ومن قلب المعذب موقد
ما ضرهم اذ عرضوا لو عرضوا
حملوا الجمال على الجمال كأنما
ابدت لنا حلي الطلي وتبسمت
ومن العجائب ان اهيم بجنة
ويهان مرسل ناظر في حبها

ابن المحلى السبتي :

ابوح بما القاه فهو مباح
اذا باح من قبلي ولم يلق بعض ما
أأحبنا لا تحسبوا الصبر بعدكم
وان فئت اجسادنا وقلوبنا
سمحت لكم بالنفس كي اربح الرضا
فؤادي منقاد اليكم مذلل
وهل من سبيل ان اطير اليكم
تغير وقتي بعدكم فكانما
واوحشتم فالكل في الاذن نايع
وما تفضل الايام اخرى بذاتها
خرست عن الشكوى اليكم مهابة
تمتع لحظي سنة في جمالك
وياعجبا انني اسير وانني
اذا هز ارباب السماع تواجد
(1) ياض بالاصل.

بقلوبنا يوم الفراق تحملوا
وردوا ومن جفن المعنى منهل
للول او ذكروا العهود فاقبلوا
افلاكها منها الالهة تكمل
زهرا فراق مقلد ومقبل
حلت بقلبي وهو نار تشعل
ومن التناصف ان يعز المرسل
الازهار (2) 383 .

فقبلي ارباب المحبة باح
لقيت فاني ما علي جناح
سخيا ولا ان الدموع شحاح
قتلك العهود السافات صحاح
على ثقة ان السماح رباح
فمالي اذا لج العذول جماح
وقد حص بي ريش وقص جناح
صباحي مساء والمساء صباح
لدي وآفاق الوجو (1)
واكن أيام الملاح ملاح
والسن حالي بالغرام فصاح
فان لاحظ الاغيار فهو سفاح
اناشدكم ان لا يتاح سراح
فحظي منه زفرة وصياح

فهاأنا عند الباب منوا او اطرذوا فمالى عنه كيف كان براح

الاعلام (3) 150 - 151

ابن العابد الفاسي في شارب رعى :

ومفهف للبدر حسن جبينه وليانع الاغصان مائس عطفه
لما اراق دمي ولاح بسخده اجراه قصد إهانتى من انفه

الاعلام (3) 105 .

الاجتماع :

ابن حبوس (أ) الوصايا والامثال وذم الزمان :

رد الطرف حتى توافي النميرا فرب عسر اتاح اليسيرا
وارسل قلو صك طورا شمالا وطورا جنوبا وطورا دجورا
وشن على غازيات البلاد من النص والرمل جيشا مغيرا
وفر ماء وجهك حتى تجم واطف السموم بها والهجير
وطرحين انت قوي الجنا ح لا عذر عندك ان لا تطيرا
ولا تقعن وانت السليم حيث تظاهي المهيض الكسيرا
فام الترحيل تدعى وليدا وام الاقامة تدعى نزورا
وذو العجز يرضع ثديا حدودا وذو العزم يرضع ثديا درورا
يعز على النبل اني غدوت اكنى اديبا واسمى فقيرا
واني ثبت لكف الزمان يعرق عظمى عرقا ميرا
وما ذاك أنى هيابة اخاف الرحيل واشنا المسيرا
ولكن بحكم زمان عدا يحط الجياد ويسمي الحميرا

الاعلام (3) 30 .

(ب) مذهبه في معاملة الناس :

اعد لنا بحيك عصا	واقض ما ضغيك حصا
وشعشع للورى شرقا	مع الساعات او غصصا
وكن وردا خبثنة	يراوغ منهم قنصا
وعامل بالخدعة من	لقيت وبادر الفرصا
وغمض عينك النجلا	حتى تنعت الحوصا
وهز لمعشر سيفا	وهز لآخرين عصا
وكاشر من يدب لك	الضر او احرص كما حرصا
ولا تعتب عليه فلو	ظفرت به لما خلصا
وسؤظنا بكل أخ	يقاسمك الثنا حصا
ولا تحفل بامعة	يخال الشجمة البرصا
ولا تحرص قرب قتي	مضاع عند ما حرصا
وحرص الطائر الواقع	صيرجوه قفصا
لقد رخص الغلاء	وامهون الاعلاق ما رخصا
وقد ذهب الوفاء فلا	يقول مغالط نقصا
فلا تانزم مكان الظل ان	وافيته قلصا
وغن لذا الزمان اذا	انتشى وازمر اذا رقصا
ومن شهد الخطوب وعما	ش مثلي يشرح القصصا

زاد المسافر 4-5 .

(ج) موقفه ازاء الفلاسفة : من قصيدة :

الدين دين الله لا يعبأ بمبـ	تدع ولم يحفل بضلة ملحد
قالوا : بنور العقل يدرك ما ورا	الغيب . قلت : قدي من الدعوى قد
بالشرع يدرك كل شيء غائب	والعقل ينكر كل ما لم يشهد

من لم يحط علما بغاية نفسه
ولقد نرى الفلك المحيط وعلم ما
سعد المجرة بالكواكب دائر
من خص بالسفلي جرم البدر ام
ما شاق الطود المنيف وان علا
وجواز عكس الامر في ذا واضح
ذاك اختصاص ليس يعلم كنهه
خض عليك ابا فلان انها
سالت علينا للشكوك جداول
وتبعقت بالكفر فينا السن
اعدونا في ربنا احبابنا
كشف القناع فلا هواد تريتنا
ستنالهم منا الغداة قـوارع
وتصوب فيهم سحبنا بصواعق
من كان يضربهم بسيف واحد
ولعمر غيرهم وتلك الية
قالوا: الفلاسف قلت: تلك عصابة
خدعت بالفاظ تروق لطافة
ذو علمهم لو كان شاهد علمنا
لعره من حسن هنالك لؤلؤ
اسفي ولو اني نصرت عليهم
يلغى كتاب الله بين ظهورهم
يا قاتل الله الجهالة انها

وهي القريبة من له بالابعد
في ضمنه اعى على المترصد
في زعمهم وقسيمها لم يسعد
من خص بالعلوي جرم الفرقد
الا بمنزلة الحضيض الاوهد
للعقل فازدد من يقينك ترشد
من ليس يوصف بالبقا السرمد
نوب تطالعنا تسروح وتقتد
بعد اليقين بها ولما تنفذ
لا تفقد التضييل من لم تفقد
جرحوا القلوب واقبلوا في العود
حتى تغادرهم وراء المسقد
ان لم تغلهم غولها فكان قد
تلك التي جلبت منية اربد
فانا أضرب (1)

ان الحمام لجمعهم بالمرصد
جاءت من الدعو
فاذا طلبت حقيقة لم توجد
وراي جهابذة الكلام
واقام بين تحير وتبلد
للثمت في المهجات كل مهند
وجميع مسنون النبي محمد
ورق لاغصان الشباب الاملد
الاعلام (3) 28 - 29.

(1) ياض بالاصل، وكذا الآتي بعده بهذه الورقة

أبو حفص الاغماتي (أ) يبين مزية الشرع على العقل :

هذا كلام للهدى جامع	فاضع اليه ايها السامع
الشرع للعقل هدى من يصل	بينهما برهانه قاطع
الشرع للعقل بلا مزية	كالشمس للعين سنى طالع
الشرع متبوع به يهتدي	من ضل والعقل هو التابع
لا يهتدي العاقل في قصده	الا بما سن له الشارع
هذا كتاب الله يهدي الورى	لكل علم نوره ساطع
معرفة الله وآياته	ومنهج الرسل وما الرابع
والعلم والحكمة في طيه	اجمع وهو المعجز الساطع
وهو من الله فما فوقه	هاد الى الله ولا شافع
تحت لواء الشرع يمضي الحجا	والشرع وال ماله خالع
	رحلة العبدري (خ).

(ب) يذكر هذه الحياة الدنيا :

يا راكضا في طلاب دنيا	ليس لمن تصرع انتعاش
تنح يا عرصة لرام	اسهمه بالردى تراش
تحش نار اهوى لظاها	بمن له حولها انحياش
اعذر منك الفراش الا	علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين	عنها ولا يستقر جاش
من لك بالري من شراب	يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعاع	طاشت بالبابهم فطاشوا
واظماً لتروى وكن كقوم	ماتوا بها عفة فعاشوا
لم يردوها فهم روا	وواردوها هم العطاش
كان آمالنا طباء	ونحن من حيرة خراش

لا تآمنن بهـا انبساطا
كان آجالنا صقور
به لاعمارنا انكماش
ونحن ما تحتها خشاش
الازهار (2) 360 - 361 .

السياسة:

ابن حبوس (أ) في فتح بجاية :
من القوم بالقرب تصغى الى
جروا والمنايا الى غاية
بايديهم النار مشبوبة
يقودهم ملكك اروع
تخيره الله من آدم
الى الناصرية سرفا معا
الى برزة في ذرى ارعن
يعوذون منا بمولاهم
واكسبه خوفه خفة
حديثهم اذن المشرق
فلم يسبقوها ولم تسبق
فهما تصب باطلا تحرق
تفرد بالسودد المطلق
فما زال منحدرا يرتقي
ولما تفتنا ولم تلحق
تجل عن السور والخذق
ومولاهم عاد بالزورق
فلو خاض في البحر لم يغرق
زاد المسافرين (6) .

(ب) يذم الوزير ابن عطية لما نكب :

اندلسي ليس من بربر
لا تسلم البربر ما شيدت
يختلس الملك من البربر
بالمملك القيسي من مفخر
المصدر 3 - 4 .

الجرابي (أ) يذكر انتصار المنصور في غزوة الاراك وهزيمة
الادفونش وجنده :

هو الفتح اعيب وصفه النظم والنثرا
وانجد في الدنيا وغار حديثه
تميز بالا حجال والغرر التي
لقد اورد الادفونش شيعته الردى
حكى فعل ابليس باصحابه الالى
اطارته شدة تولى امامها
رأى الموت للابطال. وله ينتقي (1)
وقد اوردته الموت طعنة ثائر
ولم يبق من افنى الزمان حماه
الوف غدت ماهولة بهم الفلا
ودارت رحي الهيجا عليهم فاصبحوا
يطير باشلاء لهم كل قشعم
فكيف رأى المغتر عقبي اغتراره
وكان يرى اقطار اذلس له
فسلاه يوم الاربعاء عن المنى
اذا عزلته الروم كانت نجاته
فتعسا له ما دام حيا ولا منى
ييمن الامام الطاج المصلح الرضى
فلا زال بالنصر الالاهي يقتضيه

وعمت جميع المسلمين به البشرى
فراقت به حسنا وطابت به نشرها
اقل سناها يبهز الشمس والبدر
وساقهم جهلا الى البطشة الكبرى
تبرا منهم حين اوردهم بدر
شديدا وانسته التعاظم والكفرا
فطار الى اقصى مطارعه ذعرا
وان لم يفارق من شقاوته العمرا
وجرعه من فقد انصاره صبرا
وامست خلا منهم دورهم قفرا
هشما طحينا في مهب الصبا قدرا
فما شئت من نسر غدا بطنه قفرا
وكيف رأى الغدار في غيه الغدرا
متى يرم لم يخطي باسهمه قطرا
فما يرتجى مما تملكه شبرا
وقد احترقت جمر المنايا به عذرا
وكسرا له ما دام حيا ولا جبرا
مضى سيفه الاسلام فاستأصل الكفرا
بشائر يحصى قبل احصائها القطرا
رسالة المغرب : س (1) ع (8).

(ب) فيمن عصى دعوة المهدي من قصيدة :

وهل هو الامن اناس تهافتوا فراشا على اسيا فكم وهي نيران
(1) كذا بالاصل.

عصوا دعوة المهدي وهو سيفنة فاغرقهم طغيانهم وهو طوفان
زاد المسافر (8) .

(ج) من قصيدة في الطابوني الذي صلب :

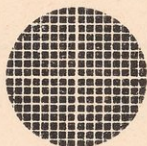
اني لاعجب من خساسة عقله نسي الذنوب فخانه الغفران
وغدا على مشروعة رهن الردى فالجو قبر والهوى اكفان
المصدر (7) .

ابن خبازة (أ) في المهدي ابن تومرت لما تبرأ منه المامون بن
المنصور ...

وجد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نسج مثالها
فاسر حسوا في ارتعاً يبتغي بمحاله نسجا على منوالها
الازهار (2) 379 - 380 . الجدوة 210 .

(ب) حكي ان المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحي ضرب
بظاهر مراكش قبة حمراء فبادر اليها العرب والنصارى من عسكر
عمه المامون ؛ فقطعوا اطنابها فسقطت . فقال في ذلك ابن خبازة
من قصيدة :

انظر الي القبة الحمراء ساقطة لما رأت مضر الحمراء عن كشب
من كان اولى بها ان كنت ذا بصر العجم او معدن العليا من العرب
وانما سجدت لما سمت وغدت فوق الضلال وكانت اعجب العجب
الازهار (2) 383 .



الفنون

نهضتها

(1) الصناعات

الفرع الصوتي

صناعة الموسيقى .

الفرع الرسمي

فن العمارة :

صناعة الغراسة . صناعة الفلاحة . صناعة البناء . صناعة جر المياه .
صناعة السفن . صناعة السلاح . صناعة الورق . صناعة الصفر . صناعة
السكة . صناعة استغلال المناجم . الصناعات الميكانيكية .

فن التصوير :

صناعة التصوير . صناعة الطرز .

فن النقش :

صناعة التزويق . صناعة الخطاطة . صناعة الوراقة .

(2) تذييل

المكتبة المغربية لهذا العهد

عمارتها . اهتمام الموحدين باقتناء الكتب . اقتراحهم تأليف الكتب .
اهداؤ الدفاتر والذخائر لمكاتبهم . مقام خطة المحافظة على الكتب .
تأسيس المكاتب العامة . المكاتب .

الذخائر والآثار في هذا العصر

نهضة الفنون

ان الفنون ارتقت في كثير من مظاهرها على هذا العصر؛ وقطعت باحات من التقدم والازدهار؛ في دائرة طابع الدولة الثلاثي من العظمة والدين والتجديد؛ كما سنرى هذا في تضاعيف الحديث عن اصناف الفنون في هذا العصر؛ تصريحا في بعضها؛ وتلويحا في اخرى . وفيما يلي شرح لتلك المظاهر الفنية التي تتجلى بوفرة في شيء غير قليل من الصناعات .

الصناعات

نهض مجموع الصناعات لهذا العهد؛ وبالاخص ابان عظمة الدولة نهضة فائقة، وذلك بما توافر حينئذ من اصنافها؛ وبما كانت عليه من الجودة والاتقان، وبما ظهرت به من الابداع والاختراع . ومن مظاهرووفرة الصناعات اذذاك: ما ذكره ابن ابي زرع في الانيس 26 . والجزنائي في زهرة الآس 33: انه كان بفاس وحدها لعهد المنصور وابنه الناصر من معامل الصناعات ما ياتي: داران للسكة؛ واحدة في كل عدوة . و (3064) معملا لنسج الثياب . و (47) من ديار عمل الصابون . و (86) من ديار الدبغ . و (116) دارا للصبغة . و (12) معملا لتسبيك الحديد والنحاس . و (11) مصنعا للزجاج . و (135) من كوش الجير . و (400) حجر لعمل الكاغد . و (188) دارا لعمل الفخار . وكانت هذه خارج مدينة فاس .

ومما يدل ايضا على وفرة الصناعات حينئذ؛ ما نقله في النفح (1) 286: انه لما اراد عبد المومن تفخيم مصحف عثمان الآتي الذكر؛

حشر له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم
القرية والقصة - وفي نقل الاستقفا (1) 151 وسائر بلاد المغرب
والاندلس - فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ، ومهرة كل طائفة من
المهندسين ، والصواعين ، والنظامين ، والحلائين ، والنقاشين ، والمرصعين
والنجارين والزواقين ، والرسمين ، والمجلدين ، وعرفاء البنائين ، ولم
يبق من يوصف ببراعة او ينسب الى الحديق في صناعة الا احضر .
وان هذا الكلام - زيادة على انه يدل على وفرة الصناع والصناعات
بالمغرب حينئذ - يفيد ايضا اهتمام الموحدين بجلب الصناع للمغرب
من خارجه ؛ ليتعاونوا مع الصناع المغاربة في بعض المناسبات . وانظر
النفع (2) 124 . ومن الشواهد على اتقان الصناعات الاتقان الفائق
ما كانت عليه ابينتهم - مثلاً - من التفنن العظيم ، والتأنق الفائق
حسبما يعلم من مشاهدة ما بقي قائماً منها ، ووصف ما حفظ وصفه ، وقد
قال بعض : ان اتقان البناء من شواهد التقدم والرقي ، ولا ينتج
الابنية الفخمة الشامخة الا حضارة ضخمة ، وشعوب لها شان في فنون
الهندسة والعمارة ، ونزعة الى حسن الذوق .

اما ابداعات الموحدين وابتكاراتهم الميكانيكية فسنفرد لها
فصلاً على حدة فيما بعد .

وبعد هذه المقدمة افصل الحديث عما وقفت عليه من مظاهر
النهضة لبعض صنوف الصناعة بما فيها من الف-رع الصوتي ؛ فالف-رع
الرسمي باقسامه الثلاثة: فن العمارة ، وفن التصوير ، وفن النقش ، ثم
اذيل على الموضوع بملحقات له .

صناعة الموسيقى

لقد اثر اثرا كبيرا في ضيق نطاق نهضة الموسيقى لهذا العهد
النشأة التي نشأت عليها دولة الموحدين ؛ من التدين والتقف
ومقاومة المناكر؛ بما فيها من آلات الموهو التي كان المهدي ابن
تومرت يامر اصحابه بتكسيورها؛ مثل ما فعل في فاس؛ كما اشار لهذا
في القرطاس 109 . وبسطه في كتاب اخبار المهدي ابن تومرت 65.
كان ذلك عاملا قويا في تحديد النهضة الموسيقية في هذه
الدولة، وبالاخص في اوائلها. ومن ابرز الشواهد على هذا ان الجيش
الموحدي نفسه لم تكن به موسيقى تذكر؛ حسبما يشير لهذا قول
ابن طفيل - كما في المعجب 157 - لو نفقت عليهم الموسيقى
لانفقتها عندهم ، فان نفاق الموسيقى او كان لظهر قبل كل شيء
في جيشهم الذي لم يكن به منها سوى طبول كثيرة . اما الطرب
الشعبي فكان يعتمد على اغاني مغربية؛ ينشدها بعض المغنين في
المحافل والاسواق؛ مثل ابي علي حسن بن عمر الفهري السبتي الذي
كان قوالا يحترف بهذه المهنة . الاعلام (3) 149 .

كما كان هناك نوع آخر من الطرب عرفه المغرب في هذا
العهد - فيما يظهر - وهو غناء العرب الداخلين للمغرب حينئذ
باشعارهم وملاحمهم . يضاف الى هذا وذاك : ذوعان منحطان من
الطرب كان يقوم باحدهما السودان كما في الروض الهتون وبالأخر
البربر؛ كما في رسالة الشقندي . نفح (2) 151 .

على انه يظهر بعد اوائل هذا العصر اخذ الطرب يشيع ويترقي
وصار يستمع له بعض الامراء مثل ابي الحسن علي بن عمر بن عبد

المومن . نفح (2) 102 . كذلك وجد الطرب الاندلسي حينئذ بالمغرب حسبما يوخذ من رسالة الشقندي . نفح (2) 151 . وبخاصة نوع من الغناء يعرف بالسماع شاع اواخر هذا العهد ، وتولع به حتى الخلفاء ؛ مثل المرتضى من اواخرهم . الاستقصا (1) 208 . وكذا ورد ذكر السماع في شعر ابن المحلى السبتي لما قال :
 اذا هز ارباب السماع تواجد فحظي منه زفرة وصياح
 الاعلام (3) 151 .

أدوات الموسيقى

تلخص مما ذكر ان المغرب حينئذ عرف اصنافا من الموسيقى ما بين مغربية واندلسية وغيرها ، ونذكر هنا من ادوات تلك الاصناف ما وقفت عليه ، ومن الموسف ان المصدر المهم عن هذه الآلات - وهو رسالة الشقندي بنقل النفح (1) 151 - كتبت عن هذا الموضوع كعادتها على اساس الحط من قيمة المغرب ؛ فلم تذكر من ادوات الطرب بالمغرب سوى الدف ، (واثوال) (واليرا) (وابو قرون)
 اما آلات الموسيقى الاندلسية ؛ فذكرت منها ما يأتي : الخيال ، والكريخ ، والعود ، والروطة ، والرباب ، والقانون ، والمونس ، والكثيرة ، والعمار ، والزلامي ، والشجرة ، والنورة - وفيها مزمارات ؛ الواحد غليظ الصوت ، والآخر رقيقه ، والبوق .

ولا شك ان اشهر ادوات الطرب حينئذ هي الطبول الموحدية - ان صح ان فيها طربا - وكانت في نهاية الكبر ، وغاية الضخامة يخيل لسامعها اذا ضربت ان الارض من تحته تهتز ، ويحس بقلبه يكاد يتصدع من شدة دويها . وكان يصحب جيشهم منها عدد كثير

وفي غزوة عبد المومن لأفريقية، كان في جنده أكثر من مائتي
طبل؛ حسبما اثبت كل هذا في المعجب 150. وكان بين هذه
الطبول واحد هو أكبرها اذا ضرب فيه ثلاث ضربات علم انه طبل
الرحيل، يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع، في يوم لا
ريح فيه. وكان مستدير الشكل دوره خمسة عشر ذراعاً، منشأ من
خشب اخضر اللون مذهب. الحلل 115.

صناعة الغراسة

صناعة الفلاحة

اهتم الموحدون بالغراسات اهتماماً فائقاً، وعاصمتهم مراكش
كانت متفوقة في هذا الميدان الى حد بعيد. يقول عنها صاحب
الاستبصار: انها أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين واعناباً وفواكه
وجميع الثمرات... وأكثر شجرها الزيتون، وسلف عن مستشفى
مراكش ان يعقوب امر ان يغرس به من جميع الاشجار، والمشمومات
والماكولات.

ومن البساتين الشهيرة بمراكش: (1) بستان المسرة انشاه
عبد المومن خارج مراكش، وغرس به كل فاكهة تشتهيها الانفس
طوله ثلاثة اميال، وعرضه قريب منه. الحلل 109 - 110. و (2) بستان
الصالحة، من انشاء عبد المومن كذلك، وهو بستان كبير من جملة
بساتين: (اجدال) بمراكش، ولا زال مشهوراً بهذا الاسم الى الآن، قاله
في الاستقصا (1) 108. و (3) البحائر؛ التي انشاهها يوسف وهي تفوق
في غراساتها ما غرسه عبد المومن حسبما يوخد من الاستبصار.

و (4) البحيرة التي أحدثها المنصور بمراكش الجديدة؛ طولها اثنا عشر ميلا فيها العمائر الجليلة؛ والمطانع العظيمة، والبركة التي لم يعمل مثلها... طولها ثلاثمائة وثمانون باعا، على جانبيها الواحد: اربعمائة شجرة من النارج؛ وبين كل اثنتين اما ليمونة، واما ريحانة. مسالك الابصار (خ).

ولم تكن بساتين مراكش هي الوحيدة بالمغرب؛ فقد كانت بساتين اخرى غرسها الموحدون اول ايامهم: (5) بمكناس و (6) فاس. و (7) المقرمدة. و (8) تازا. واكثر غراسات الزيتون، كما في الروض الهتون الذي وصف بحيرتي فاس ومكناس: بان بهما - زيادة على الزيتون - انواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد؛ مما كان له غلة جليلة، وفيهما ارض بيضا للخضر والكتان تكثرى بمال جسيم. وكما وصف هذا المصدر ما ذكر؛ كذلك وصف مسالك الابصار بركة بحيرة فاس نقلا عن ابن منقذ في رسالته المغربية؛ الذي قال: زرعت كل جانب منها مائتين وستة عشر ذراعا بالمرفق، ويكون دور البركة ثمانمائة ذراع واربعة وستون ذراعا، كذلك كانت قرية (بليوذش) بضاحية سبتة ذات (9) جنات وبساتين واشجار، وفواكه كثيرة؛ قصب سكر واخرج؛ يتجهز به الى ما جاور سبتة من البلاد؛ لكثرة الفواكه بها. نزهة المشتاق.

ويفهم من بعض هذه النصوص ان الغراسة لهذا العهد كانت على جانب من الجودة الناشئة عن النظام، وهذا يؤيده الاثمان الباهظة التي كانت تباع بها منتوجات تلك الغراسات، وقد استعرضت ما وقفت عليه من تلك الاثمان في مقدمات الكتاب ص 18 فليرجع اليه. هذا ولا ادع الحديث عن الغراسة دون ان اشير الى ان الفلاحة هي الاخرى كانت متقدمة حينئذ؛ وعولجت بالاساليب الفنية.

صناعة البناء

أكثر الموحدون من تشييد البنايات الضخمة؛ ورفع الهياكل الخالدة، الأمر الذي جعل الأستاذ سديو يحكم عليهم بأن حب تشييد المباني اظهر صفاتهم. تاريخ العرب العام 343.

وكان لهم ذوق خاص في البناء؛ تجلى فيما بقي من آثارهم متوجا بالعجائب الثلاثة: منائر اشبيلية، والكتبيين، وحسان.

ويعقوب منهم كان مهتما بالبناء الى حد كبير، وفي طول ايامه لم يخل من قصر يستجده. او مدينة يعمرها. المعجب 194.

ولقد كانت مبانيهم مطبوعة بطابع ناطق بعظمتها، وهذه بعض شهادات المؤرخين في هذا الصدد: يقول في النفح (1) 97 عن منارة جامع اشبيلية: انه ليس في بلاد الاسلام اعظم منها. ويقرر صالح بن شريف في كتابه روض الانس (خ) ان مسجد مراكش - الذي ابتناه المنصور - ليس بعد جامع قرطبة مثله. ويلاحظ بعض الباحثين ان مسجد اشبيلية - الذي أسسه المنصور - فاق مسجد قرطبة في اتساع الارجاء، وفخامة البنيان. ويشهد صاحب الاستبصار (خ): ان قيسارية مراكش الجديدة ليس في بلاد الاسلام اعظم منها. وثبت المراكشي في المعجب 176 ان مسجد حسان ليس في مساجد المغرب اكبر منه. كما يذكر ص 240 ان القصور التي بناها الموحدون بمراكش لم يكن مثلها لملك ممن تقدمهم من الملوك. ويصف ابن سعيد مراكش ويقول انها بغداد المغرب، وهي اعظم ما في بر العدو واکثر مصانعها ومبانيها الجليلة انما ظهرت في مدة بني عبد المومن. النفح (2) 124.

كما يقرر ابن سعيد نفسه انه لم يشاهد في البلاد التي طاف بها - وهي المغرب وافريقية وما جاورها، والبلاد المصرية والشامية - لم ير ما يشبه الاندلس في حسن المباني والتشييد والتصنيع الا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المومن .. المصدر (1) 97 .

كذلك كانت بعض مبانيهم تحمل مسحة التجديد؛ فقد بنيت مدينة الرباط على هيئة الاسكندرية في الاتساع، وحسن التقسيم واتقان البناء وتحسينه وتحسينه . وفيات الاعيان (2) 431 . وشيدت صومعتها العالية على هيئة منار الاسكندرية . المعجب 176 . كما كانت مسجد هذه المدينة يشبه مسجد مدينة (بلخ) - في عظم سواريه . رحلة ابن بطوطة (1) 246 .

كذلك كانوا يراعون في بعض مبانيهم تخليد ذكريات غزوات الاسلام العظيمة، فقد بنى يعقوب بعد انتصار المسلمين في وقعة الارك منارة اشبيلية . الاستقصا (1) 180 . وانظر تاريخ العرب العام 343 . كما بنى بعد استنقاذ مدينة شلب حصن الفرج العظيم على النهر الكبير نهر اشبيلية، وشيد به قصورا وقبابا، ولما رجع من غزوة الارك جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الاعظم؛ واذن فدخل عليه الناس على طبقاتهم ومراتبهم وانشده الشعراء . المعجب 193-194 .

المصانع والمباني

وبعد ما تقدم اذكر ان مباني الموحدين كثرت بصفة خاصة بمراكش درجة اولى، وبالرباط درجة بعدها . كما شيدوا مباني عديدة في كثير من مدن المغرب وبعض جهات الاندلس، وفوق ما

ذكر من ذلك - في هذا المبحث وقبله - اذكر هنا طائفة من
مصانعهم ومبانيهم في غير مدينة بالمغرب والاندلس، ثم اعقب على
ذلك بنص فريد منقول من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (خ)
وهو يصف بعض مصانع مراكش القديمة؛ كما يصور تصويرا دقيقا
مدينة تا مراكش او مراكش الجديدة التي ابتناها يعقوب المنصور.
وهذه طائفة من مصانعهم ومبانيهم :

قصر ابي بكر ابن زهر بمراكش

شيده للمذكور يعقوب المنصور، واراد ان يجعله صورة طبق
قصر ابن زهر باشبيلية؛ فارسل المهندسين الى هذه المدينة وامرهم ان
يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته؛ ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش
ففعّلوا ما امرهم به في اقرب مدة... أنظر النسخ (1) 439-440.
وهذه القصة تضرب رقما قياسيا كبيرا لرقى صناعة البناء حينئذ؛
وتشهد بما كان للمغرب اذ ذاك من التقدم في هذا الميدان.

قصر السيد أبي الربيع بمراكش

وهو قصر جليل؛ حسبما يؤخذ من قطعة للسيد ابي الربيع يصف
بها هذا القصر او الدار. وها هو نصها :

رعاك الله يا دار الكرام	وجادك بالحيا صوب الغمام
ومتع فيك أعواما طوالا	على نعم وخير مستدام
ارى مراكش الحسناء تزهى	- وحق لها - على دار السلام

كأن الارض شخص وهي وجه وقت بوجهها وضع ابتسام
تقول لاهلها لما أتوها قدمتم فادخلوني بالسلام
أقيموا آمين بخير حال فعندي للعلى أسنى مقام
ديوان السيد ابي الربيع (خ).

قبة السيد أبي حفص بمر اكش

انشد فيها السيد ابو الربيع الابيات التالية :

أيما قبة العليا حل بك السعد وحل بك التوفيق واليمن والمجد
وقرت بما زهواه فيك عيوننا وانجز في لقيا ابي حفص الوعد
وحالفه فيك السرور مخيما اذا ما اتى وفد قفا اثره وفد
ولا زال والاقدار تخدم أمره على وفقه والدهر في ملكه عبد
ديوان السيد ابي الربيع المذكور .

قصور الرباط

ورد عنها في الاستبطار ما معناه : ان في الرباط من المباني
الملوكية الرفيعة، والمنازة البديعة، وقباب الجلاوس للسادات،
والقصور العليا ما جعلها من متنزهات الدنيا .

مقدمة الفتح 124 .

دار العادل بالرباط

من آثار السلطان ابي عبد الله محمد المعروف بالعدل بن
يعقوب المنصور . وانشد في حقها صاحب الجدوة :
يا عادلي دع عنك عدل العادل واخلع عذارك في الحبيب الواصل

وإذا ذكرت عشية لمحاسن فاذكر عشاياتنا بدار العادل
المصدر 124 - 125 .

قصر ابي العباس بن القاسم بسلا

من أخبار هذا القصر: انه لما شاده صاحبه وصفته الشعراء، وهنته
به، ودعت له، وكان بالحضرة حينئذ الوزير ابو عامر بن الحمارة
ولم يكن أعد شيئاً؛ ففكر قليلاً ثم قال:

يا أوحده الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في المحل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل ولا كدارك في الآخرة لذي عمل
النفح (2) 351 .

قصر عبد المومن بالاندلس

انشد فيه ابو جعفر بن سعيد؛ وقد مر به بعد ما رحل عنه عبد
المومن :

قصر الخليفة لا اخليت من كرم وان خلوت من الاعداد والعدد
جزنا عليه فلم تنقص مهابته والغيل يخلو وتبقى هيبة الاسد
المصدر (2) 300 .

قصر السيد ابي يحيى بن يوسف خارج قرطبة

وهو مبني على متن النهر الاعظم، تحمله اقواس. وقيل للسيد
ابي يحيى : كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل

قرطبة؟! فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر؛
لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية؛ فاحسبت ان يبقى لي في
بلادهم اثر اذكر به على رغمهم . وانشد لنفسه في هذا القصر؛
ناهض بن ادريس شاعر وادي آش :

الا حبذا القصر الذي ارتفعت به على الماء من تحت الحواجب اقواس
هو المضع الاعلى الذي انف الثرى ورفعته عن لثمه المجد والناس
فاركب متن النهر عزا ورفعته وفي موضع الاقدام لا يوجد الراس
فلا زال معمور الجنب وبابه يغص وحلت افقه الدهر اعراس
المصدر (1) 218 .

قصر السيد بغرناطة

وهو قصر كبير ، بناه السيد اسحاق بن يوسف على نهر شنيل
خارج غرناطة ، وبنى امامه الرابطة .

الحلل 126 .

قصر السيد بمالقة

بناه المامون بن المنصور؛ حين كان واليا على مالقة؛ وبرأيه
واختراعه كان جميع بنائمه .

المصدر 124 .

حمام وخان جليلان باحدى جهات الاندلس

بانيهما السيد ابو زكرياء ، وكانا آيتين في براعة الصنعة
والتائق والاتقان؛ حسبما يوضح مما تصفهما به الابيات التالية:

قد كنت أحسب ان الحسن مسكنه
حتى بصرت به والسحر يقسمه
تنافسا في بديع الصنع فارتقيا
فذايته بتاج فوق مفرقه
وذا عليه رواق لم يلم به
.....
مأً يسبح بمصقول الرخام كما
حدا به السير فانقادت ابايته
ان اكثر الناس مما ابصروا عجا
فلمست اعجب من بنى تكفه

في ثغر أشنب او في جفن وسان
على السواء لدى الحمام والحنان
هضب التائق في مرقة اتقان
كانه هرمز في ملك ساسان
كسرى فحط ولم يلمح بايوان
..... (1)
سحت على الخدد معامقة العاني
من بعدكم حلف حنث وايمان
حتى لظنوا به من صنعة الجان
من الخليفة سعد انجد البان

من قصيدة في مدح السيد ابي
زكريا، صاحبها الاديب
الكبير محمد بن محمد بن
عيسى ابن زفون الاندلسي.
ت 627. وقد وردت في
ترجمته من كتاب: بعض
اخبار فقهاء مالقة وادبائها (خ).

مباني الموحدين بمراكش القديمة والجديدة

وهذا كلام المسالك عن مصانع مراكش القديمة، وخطط المدينة
الجديدة؛ قال في صدد الحديث عن مراكش: وحكى لي غير
(1) البياض مكان يت لا تستقيم قراؤه.

واحد عن سعة دورها، وضخامة عمائرها، وما فيها من قصور بني عبد المومن واولادهم واجنادهم؛ حتى يقال انه اذا كان الرجل في صدر الدار ونادى رفيقه وهو في صدرها الآخر باعلى صوته لا يكاد يسمعه لاتساعها، ودورها سبعة اميال، وهي بسيطة يمتد فيها البصر بناها امير المسلمين يوسف بن تاشفين... ثم ابن يوسف العشري وهو ابن يعقوب⁽¹⁾ ابن عبد المومن؛ كبرها وفخمها، ومصرها وضخمها وجلب اليها المياه والغراس، ومنارة جامعها المعروف بالكتبيين طولها مائة وعشرة اذرع من الحجر...

قال ابن سعيد: وحضرة مراکش مما سكنت بها وعرفتھا ظاهرا وباطنا، ولا ارى العبارة تفى بما تحتوي عليه، ويكفي ابن كل (قصر) من قصورها مستقل بالديار والبساتين والحمام والاصطبلات والمياه وغير ذلك، حتى يغلق الرئيس منهم بابه على جميع خوله واقاربه وما يحتاج؛ ولا يخرج له امر الى خارج داره، ولا يشتري شيئا من السوق لمأكل، ولا يقري اولاده في مكتب خارج، ويخرج هو من بابه راكبا؛ لا تقع عليه العين راجلا، وفيها قصور عظيمة، وبها قصر الخلافة، بناه المنصور يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن؛ وهو وسط المدينة (التي) اختطها خارج مراکش خاصة به وبخواصه، وتعرف بتامراکش. قال ابن سعيد: ولا ادري كيف أصل الى غاية في الوصف؛ اصف به ترتيب هذه المدينة المحدثه، فانها من عجائب همت السلاطين؛ ذات اسوار ضخمة وابواب عالية؛ وبها قصر الخلافة؛ وبه ديار عظيمة، منها دار البلور، ودار الريحان ودار⁽²⁾ وكل دار منها لا يخلو من المياه والبساتين العجيبة

(1) سبق قلم. والمراد يعقوب بن يوسف.

(2) مواضع البياض في هذه النبتة لم تبين كتابتها في نسختي المنقول عنها.

والمناظر المرتفعة؛ المشرفة على بسائط مراکش، ولها ثلاثة ابواب مختصة بها؛ باب البستان، وكان لا يراه الا خواص بني عبد المومن يفضي الى مكان يعرف بالبحيرة... والباب الثاني باب وهو في داخل مدينة مراکش، ينصرف منه الى ما يحتاج اليه بالمدينة، والباب الثالث باب الرياض، امامه رحبة عظيمة تحمل طراد الخيل... وبها قبة الخلافة الى جانب الباب؛ كان يخرج اليها خليفتهم بكرة كل نهار؛ ويكون بها الخدمة، وفي رحبة القصر دار الكرامة والاضيف، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل، به خزائن الكتب... ومنها دار مخصوصة للوزارة المحلاة بوزير الجند، وتفضي هذه الرحبة الى باب السادة، وهو يفضي الى خارج مراکش، كان مخصوصا ببني عبد المومن؛ اليه ينتهون على خيلهم، وعليه ينزلون، وهناك مقابر اكابرهم وجنائز الاعيان في نهاية حسن المباني والغراس. وفي الرحبة باب السقائف، وهو باب كبير يخرج منه الى سقائف اهل الجماعة، وهي ذرية العشرة اصحاب: مهديهم ابن تومرت وسقائف اهل خمسين، وسقائف الطلبة؛ وهم اهل العلم والقرآن وسقائف الحفاظ، وهم المقدمون على الاعمال لحفظها، وسقائف اهل الدار، وهم غلمان الخلافة، ثم يخرج من هذه الرحبة الى سقائف القبائل واعيان الغز والجموع، ثم يفضي الى رحبة عظيمة فيها سقائف خفيسة وجدميوة، والقبائل: هسكورة، وضهاجة، وهؤلاء هم قبائل الموحدين، وبها موضع صاحب الشرطة، وبازائها الجامع المبني في تامراكشت؛ على صحنه شباك من الصفر الاندلسي، وهو في غاية الزخرفة والاتقان، ولا يبرح المنبر مستورا في بيت المقصورة، وهو

والمقصورة مستوران الى يوم الجمعة قرب الصلاة ترفع ستورها، والنهر الذي جلبه المنصور يخترق قصوره، ثم يمر على السقائف والمرجات المقدمة الذكر، ثم يحرق بالجامع، ثم يمر بين الاسواق قدر ميل الى ان يخرج على باب الصالحة من ابواب مراكش، وفي هذه الرحلة المقدمة الذكر باب كان منه دخول الموحدين، وامامه فضا عظيم؛ يسع وقوف الخلائق وتصرفها، وباب لا يدخل هذا النوع الا منه لاحتمال ان مدخل المدينة وبها الصهريج الكبير، والصهريج في مصطلح اهل المغرب البركة، وهي بركة عظيمة عليها سور وباب يصب منها النهر الثاني الداخل الى مراكش، وفيها توزع بقياس معلوم على قصور الناس، ثم ينحدر بقية الماء في نهر يشق المدينة من جهة اخرى في وسط الاسواق وما بعد، وفيها بركة تصب فيها المياه، وفي هذه الرحلة باب الشريعة امام مطلى العيدين، وبينهما فسيح عظيم به سوق الخيل، والسلطان به قصر مطل عليه، ويليه باب نفيس يخرج منه الى بلد نفيس؛ المفضلة المياه والاعناب، وقدامه بركة اقنا؛ يتعلم فيها الصبيان العوم، ويليه باب مخزن السلطان كان به، والى جانبه قصر امة العزيز، وقصر ابن جامع؛ لا يعلم كم غرم على كل واحد منهما؛ حتى قال ابن سعيد في المغرب عن قصر ابن جامع وهو احد وزراء بني عبد المومن : انه كان في داره ساحة يلعب فيها خمسمائة جارية على خيل الخشب وتتطاعن، ويلي ذلك باب يفضي الى المقابر، وباب دكااة، وهو مفض الى المتنزهات، ويليه باب الرخا، ويليه باب تاغورت، ويليه باب فاس؛ وهو مفض الى فضا يفضي الى نهر كبير لا يخاض الا في زمان الصيف، وعليه بساتين جليلة ومتنزهات

ويليه باب الدباغين ، ويليه باب
وامامه منازل المجذومين
ويليه باب الصالحة ، وخارجه
مقابر وبساتين ...

الى هنا انتهت هذه النبذة الفريدة التي تنشر كاملة لأول مرة
(فيما اظن) وهي مليئة بالشواهد عما كان لبعض عظماء الموحدين ؛
وبخاصة يعسوبهم يعقوب المنصور؛ من الاهتمام بالبنيان والتشييد .
وبعد هذا نختم هذا البحث ببيان ان مواد البناء لهذا العهد
كانت في منتهى الجودة، وكانت تعتمد في كثير من المباني على
الاحجار الصلبة، كما كانوا يستعملون الطائفة في مبان اخرى
حسبما هو مشاهد فيما بقي ماثلا من آثارهم حتى الآن .

صناعة جر المياه

وهي من ملحقات البناء وقد بلغت اذ ذاك شأوا بعيدا، يدل لهذا
ما جروا من مياه على مسافات بعيدة، وما شيدوا لها من هياكل عالية،
ومن اجل اننا لم نقف على تفاصيل اعتنائهم بهذه الصناعة؛ نذكر
جملة مما وقفت عليه من آثارهم الناشئة عن براعتهم في هذا الشأن
حتى يمكن ان نستدل بتلك الآثار على ازدهار هذه الصناعة .
وأول ما يذكر من آثارهم في هذا الصدد ان يعقوب المنصور
هو الذي قام ببناء الاقواس الممدودة عليها قنوات المياه الموجودة
بالمدين المغربية، بناها بامرہ المسيحيون الذين اتى بهم قواد المنصور
عند غزوه لجزيرة الاندلس . مقدمة الفتح 129 .

ومن آثارهم الاخرى في هذا الميدان جرهم المياه لكثير من المدن

والجهات بالمغرب، ومن المدن التي جهزوها بالماء مدينة الرباط؛ جلبه لها عام 545 الخليفة عبد المومن، واتى به من عين غبولة في مادة ممدودة من نحو عشرين ميلا. المصدر 42 و139-140. ومدينة مكناس اجروا لها الماء من عين تاكثا على بعد ستة اميال. الروض الهتوف. وآسفي ادخل لها الماء يعقوب المنصور، ورفع اليه ساقية عظيمة غاية في الاتقان من الوادي الاخضر بتساوت، ولا تزال تحفظ اسم السانية اليعقوبية، ويوجد اثرها في بلاد الرحمان الى ارض ذكالة الحمراء. أنظر آسفي : وما اليه 172. وسلا جره عبد المومن لها من الرباط بواسطة قنطرة مائية. تاريخ الاندلس (2) 254. ومراكش اجروا فيها مياه كثيرة لم تكن فيها قبلهم. المعجب 240.

كذلك جلب الناصر الماء للجامع الاندلس من عين خارج باب الحديد من فاس. الانيس 45-46. زهرة الآس 82. وجلب عبد المومن لبستانه الذي غرسه خارج مراكش الماء من اغمات، واستبط عيوننا كثيرة. الحلل 110.

ذلك ما امكن ذكره من آثار الموحدين في هذه الناحية، ومن غير شك انهم ما تاتى لهم ذلك الا بواسطة صناع ماهرين؛ الامر الذي يدل على مدى رقي هذه الصناعة حينئذ.

صناعة السفن

وهذه الصناعة كانت مزدهرة بالمغرب الى حد كبير، بل ان المغرب حينئذ تفوق فيها تفوقا يربو به من قبله ومن بعده. جاء في المقدمة 222 انه لما استعجلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما

عهد... وانتهت اساطيل المسلمين حينئذ في الكثرة والاستجادة ، الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه . ومن الشواهد الاخرى على ذلك التفوق - ولكن على المعاصرين فقط - ان صلاح الدين الايوبي ملك الشرق العظيم ؛ تقدم لملك المغرب يعقوب ، يطلب منه ان يمدّه بالاساطيل . المصدر 222 . وأدفونس الاسبان ، هو الآخر كتب للمنصور يطلب منه ان يرسل اليه اساطيله ، ليعبر عليها الى المغرب . القرطاس 140 . الاستقصا (1) 176 . كذلك أثبت يوسف اشباخ (2) 247 : انه في عهد يوسف نشبت عدة مواقع بحرية بين الموحيدين والقطلونيين على مقربة من طرطوشة ، واحرز أمير البحر الموحيدي كثيرا من ضروب التفوق . كما انه في حصار المهديّة - التي كان يحتلها النورمانيون اصحاب صقلية - قدم من صقلية اسطول نصراني من مائتي سفينة ؛ ليحاول انقاذ المدينة ، فهاجمه أمير البحر الموحيدي عبد الله بن ميمون ، وكان لديه اسطول كبير من السفن الاندلسية ، والمغربية ، ونشبت بين المسلمين والنصارى معركة بحرية كبيرة ، لم تغن فيها براعة النورمانيين في البحر شيئا ، واحرز المسلمون عليهم نصرا باهرا ، وأحرقوا وأغرقوا جانبا من سفنهم ، واستولوا على جانب آخر منها . هذا كله كلام يوسف اشباخ .

مصانع السفن

وكانت لتلك الاساطيل مصانع متوافرة ؛ منبثة على طول مراسي المملكة الموحدية ، وكانت الواحدة من هذه المصانع تعرف بدار الصناعة ، وقد امتدت من مرسى سلا الى المهديّة ، وطنجة ، وسبتة ،

وبادس، والريف، الى بلاد تونس، ووهران، وهنين - عنابة - الى
الاندلس. وكانت هذه المصانع تنشأها الاساطيل البحرية، والمراكب
الجهادية القرطاس 127. الاستقصا (2) 11. كما كانت هناك مصانع
اخرى لانشاء سفن النقل، ومنها دار الصناعة بقصر مصمودة التي
كانت تنشأها المراكب والحرايق: التي يسافر عليها الى بلاد
الاندلس. نزهة المشتاق. ومنها ايضا دار الصناعة بالموضع المعروف
بالحبالات من ارض بني عبودة: التي بقرب ملتقى وادي فاس، كان
الغالب عليها ان تنشأها القوارب والسفن الصغار. انظر: زهرة
الأس 27 والجذوة 23.

انواع القطع البحرية

وهذا ما وقفت عليه من انواع القطع البحرية لهذا العهد:
(1) المراكب. (2) الشواني. (3) الطرائد. (4) المسطحات.
(5) الحرايق. (6) الزوارق. انظر: القرطاس 140. نزهة المشتاق.

صناعة السلاح

وكما كان المغرب متفوقا في صناعة السفن، كذلك كان
متقدما جدا في صناعة السلاح، وكانت معاملته توجد في جميع
جهات الموحدين، وكانت هذه المعامل تنتج يوميا مقدارا عظيما
من السلاح؛ حسبما يوضح كل هذا مما جاء في القرطاس 127
وغيره: ان عبد المومن امر سنة 557 بضرب السهام في جميع عمله
فكان يضرب له منه كل يوم عشرة قناطير او نحوها، فجمع من
ذلك ما لا يحصى. وانظر تاريخ الاندلس (2) 248.

صناعة الورق

وهذه الصناعة هي الاخرى بلغت شأوا كبيرا لهذا العهد، وكانت لها معامل كثيرة تنتج ورقا جيدا، ومن مدن المغرب التي كانت مشتهرة في هذا الشأن مدينة سبتة، ومدينة فاس، وهذه الثانية بلغت فيها معامل انتاج الورق حسبما مر بنا: (400) عمل، وذلك ايام المنصور والناصر $580 - 610 = 1184 - 1213$.

ومما يستحب ان يلفت اليه النظر، انه بينما كان المغرب في هذا التاريخ بلغت فيه نهضة صناعة الورق ذلك المبلغ؛ كانت بلاد اوربا كلها - باستثناء اسبانيا - ليس بها اذ ذاك ولا معمل واحد للورق، وانما دخلت اليها هذه الصناعة بعد هذا الوقت بزمان، وللتدليل على هذا ننقل كلاما نفيسا للعلامة (اسكورو) في كتابه الكاغد وفيه يقول:

وأُنشِيَ أول معمل باسبانيا (الاندلس) في مدينة شاطبة حوالي سنة 1150 م في ولاية بلنسية، ويرجع عهده بايطاليا الى اواخر القرن الثالث عشر، وفي سنة 1390 اُنشِيَ معمل للكاغد بمدينة لورمبيرغ بالمانيا، واما بفرنسا فاقدم المصانع قد اُنشِيَ في منتصف القرن الرابع عشر باحواز (طروي) وضواحي (ايسون). اما باذكلترا فأول المصانع يرجع الى عهد الملكة: اليزابيث سنة 1588.

من مقال نشره الاستاذ عثمان

الكعك في مجلة «المباحث» التونسية

عدد 25 من السلسلة الجديدة.

ولا شك انه بمقابلة هذه الارقام مع الارقام الاخرى التي كانت

فيها معامل فاس وحدها تبلغ (400) يظهر مدى تفوق المغرب؛ وسبقه لكل بلاد أوروبا النصرانية في هذه الناحية .

صناعة الصفر

وكانت لها اذ ذاك نهضة فائقة ، ومما بقي لنا من آثارها قطعتان نفستان ؛ ناطقتان بما وصلت اليه هذه الصناعة اذ ذاك من الرقي ، واول هاتين القطعتين الثريا الكبرى بجامع القرويين العامر . قال في زهرة الآس 59 : وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن ، اما الثانية فهي الثريا الكبرى بجامع مكناس الاعظم؛ كتب في دائرتها السفلى صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله ، لجامع مكناس شرفه الله بذكره ، وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة ، عام اربعة وستمائة .

صناعة السكة

وكان بها لهذا العهد اعتناء كبير ، وكانت عاصمتها فاس؛ التي كان فيها بمدينتي القرويين والاندلس دارا سكة ، فنقلها الناصر الى دار اعددها بقصبة فاس؛ حين بناها سنة ستمائة ، واعد بها مودعا للاموال المندفعة بها ولطوايع سكتها ، واتقن ثقافها على كل حال واتمه ، وغالب ما كان يسبك به الذهب ، واما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن ، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها . الدوحة المشتبكة (خ) .

ولاجل ان نلم ببعض المعلومات عن مسكوكات هذه الصناعة؛ التي كانت تقوم على اساس الدينار والدرهم؛ اذكر ان ما وقفت

عليه مما ورد عرضاً في مصادر متعددة؛ يفيد ان دار السكة لم تكن تضرب عملة متحدة الوزن طوال هذا العصر ، وانها ضربت عملات اختلفت بتعاقب غير واحد من ملوك الموحدين . ومن هذه العمل عملة عبد المومن التي كانت تنسب اليه فيقال : الدينار المومني والدرهم المومني؛ اخذاً مما سنقبتسه عن رحلة ابن جبير والمعجب . ومنها عملة يوسف بن عبد المومن . قال ابن خلكان في ترجمته (2) 491 : والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه ، كما ان يعقوب المنصور ادخل تغييرات على نظام العملة؛ فاحدث ديناراً ضخماً؛ اشار له ابن عذاري في الجزء المخطوط من تاريخه الذي نقلت عنه بواسطة في بحث الآداب . كذلك ضرب دراهم جديدة؛ ذكرها في المعجب 190 . وكانت العملة الموحدية الى ايام المامون مربعة الشكل؛ حسبما امر بها المهدي ابن تومرت؛ الذي سن تربيع السكة لأول مرة كما في الدوحة المشتبكة .

وعندي - ضمن مجموعة النقود القديمة - قطعتان مختلفتا الوزن من هذه العملة الموحدية المربعة ، وقد كتب داخل دائرتيها المربعة من احد الوجهين في ثلاثة سطور : لا اله الا الله ، الامر كله لله ، لا قوة الا بالله . وفي الوجه الآخر في سطور ثلاثة ايضاً : الله ربنا ، محمد رسولنا ، المهدي امامنا . ولما غير المامون تقاليد الموحدين وعاداتهم كان منها ابطال تربيع السكة؛ وجعلها مدورة ومحو اسم المهدي منها؛ كما بالقرطاس 161 وغيره .

وبعد هذا فهل يمكننا ان نعرف مقادير هذه العمل الموحدية ونقف على وزنها؟ انني لم اعثر على نص يكشف عن هذه الناحية كشفاً تاماً، وكل ما وقفت عليه عبارات وردت عفواً تفيد - في

الجملة - مقدار عملتي عبد المومن ويعقوب، وهذا ما وقفت عليه على ما في بعضه من الاجمال : يذكر في المعجب 148 عن الدرهم المومني انه نصف درهم النصاب ، ويؤخذ من رحلة ابن جبير صحائف 25,19,12 : ان الدينار المومني يعادل نصف الدينار المصري في ذلك التاريخ؛ ايام صلاح الدين الايوبي .

ويثبت ابن القطان في مقالته : انه وجد زنة الدينار يعقوبي - نسبة الى يعقوب المنصور - من حب الشعير الوسط (اربعا وثمانين حبة) وان الدينار يزن ثلاثة دراهم مربعة موحدية. الدوحة المشبكة (خ) .

ذلك ما استطعت ان اقف عليه الآن مما يتعلق بمسكوكات دار السكة ومقاديرها ، اثبتته هنا كنواة لدراسة هذا الموضوع دراسة ضافية .

صناعة استغلال المناجم

وكان لهم اعتناء بهذه الصناعة ، ويوسف منهم عناية خاصة باستغلال مناجم الذهب والفضة في افريقية والاندلس . تاريخ الاندلس (2) 254 . وظاهر ان هذا ناشيء عن معرفتهم اذ ذاك لبعض المعادن ويدل لهذا ايضا بل ويدل على وفرة المناجم حينئذ : ان المراكشي ذكر آخر المعجب 242,241,232 عددا مما كان معروفا اذ ذاك بالمغرب والاندلس من معادن الذهب ، والفضة ، والحديد ، والكبريت والرصاص ، والزئبق ، وغير ذلك بكل دقة وضبط .

ومن غير شك ان الموحدين اكتشفوا بدورهم لأول مرة بعض تلك المعادن ، ومن هذا معدن حصن (زگندر) بالسوس فانه اكتشف

على عهدهم حسبما يؤخذ هذا من قول الانيس 135 لدى حديثه عن هذا المعدن انه ظهر هناك . ومن الأدلة الاخرى على اعتنائهم باستغلال المعادن ما جاء في الانيس 135 حوادث عام 578 انه في هذه السنة خرج يوسف من مراكش لبناء حصن (زگندر) وبناءه على المعدن الذي ظهر هناك . فانظر بنيان يوسف على هذا المعدن وخروجه بنفسه من عاصمة للوقوف على بناءه .

ويذكر المراكشي في المعجب 241 عن هذا المعدن انه كان يسكن بحصنه العمال الذين يشتغلون في استخراج خيراته... وانه لم يزل يعرف السفار من التجار وغيرهم يقصدونه .

ولا شك ان من المعادن التي كانت معروفة حينئذ معتنى بها معدن (عوام) فقد بلغ من اعتنائهم به الى ان سموا جهته به ، ونصبوا فيها قاضيا على حدة ، يدل لهذا ما ذكره في التكملة رقم 868 في ترجمة ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السرقسطي ؛ المتوفى سنة 598 : انه ولي قضاء معدن (عوام) بمقربة من فاس . وبعد هذا اختتم هذا البحث بكلام المعجب عن المعادن التي كانت معروفة لهذا العهد بالمغرب والاندلس؛ قال :

قد تقدم ذكر معدن (1)الكبريت السذي بين برقة وطرابلس وانه بالقرب من حصن يدعى (طلميثة) . وفيما بين سبتة ووهران موضع قريب من ساحل البحر يسمى (تمسامان) فيه معدن (2)حديد . وفيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الاعظم بمقدار يوم او اكثر قليلا موضع يدعى (إيسنتار) فيه معدن (3)حديد ايضا ، وليس هذا الموضع على طريق السفار ، انما يقصده من اراد حمل الحديد منه ، وبالقرب من مكناسة الزيتون على ثلاث مراحل منها حصن

يدعى (وركناس) فيه معدن (4) فضة، وقد ذكرنا معدن (5) (زجندر) الذي بسوس، غير ان فضته ليست هناك، اعني فضة معدن زجندر .
وبسوس ايضا معدنان (6 - 7) للنحاس، ومعدن (8) توتيا وهي التوتيا التي يصبغ بها النحاس الاحمر فيصير اصفر، فهذه جملة ما بالعدوة من المعادن ولجزيرة الاندلس معادن ايضا فمنها معدن (9) فضة ببلاد الروم وفي الجهة المغربية بموضع يدعى (سنترة) وعلى اربع مراحل من مدينة قرطبة؛ موضع يسمى (شلون) فيه معدن (10) زئبق منه يفترق الزئبق على جميع المغرب .

وفي اعمال المرية، وعلى يوم ونصف منها بموضع يعرف (بدلاية) فيه معدن (11) رصاص . وفي اعمال المرية ايضا على يوم ونصف منها موضع يسمى (بكارش) فيه معدن (12) حديد ايضا . ومن بين دانية وشاطبة موضع يسمى (اوربة) على نصف يوم من دانية فيه معدن (13) حديد فهذه جملة ما بالاندلس من المعادن . هذا كلام المعجب، وينبغي ان يضاف لمعادن العدو معدن (14) عوام الآنف الذكر، حيث تصير جملة المعادن التي كانت معروفه اذ ذاك بالمغرب والاندلس اربعة عشر معدنا .

الصناعات الميكانيكية

وزيادة على تلك الصناعات الوفيرة الراقية؛ كذلك نهضت الصناعات الميكانيكية، وظهرت في كثير من المظاهر، وفوق ما مر بنا في مبحث عامي الهندسة والتنجيم من مقصورة مراكش وساعتها الميكانيكيتين، وفوق مظاهر اخرى لها في بعض الصناعات السالفة؛ فوق ذلك كله ظهرت صناعات ميكانيكية اخرى وتمثلت

في تركيب بعض اوعية مصحف عثمان ، ووضع بعض القنـاطير
المديدة ، وصنع بعض الاعتدة الحربية ، مثل الدبابات ، والمجانيق ،
والبارود ، وفيما يلي استعراض لهذه المصنوعات الميكانيكية :

أوعية مصحف عثمان

سنذكر عن هذا المصحف الكريم انه صنعت له اغشية بعضها
من السندس ، وبعضها من الذهب والفضة ، واتخذ المغشاء محمل بديع
واتخذ للمحمل كرسي ، ثم اتخذ للجميع تابوت يصاب فيه ؛ كما
سنبسط هذا في مبحث التزييق .

ونريد ان نثبت هنا ان كلا من صواب الذهب والفضة
والمحمل ادخل في تركيبها شيء غير قليل من الصنعة الميكانيكية
حسبما يؤخذ من المصدر الآتي ، اما التابوت فقد كان قطعة فنية
ناطقة بما كان لهذه المهنة حينئذ من الرقي العظيم ، وفيما يلي
وصف لهذه الناحية في تابوت المصحف الكريم ؛ بقلم شاهد عيان
هو الامام الكبير ؛ ابو بكر ابن طفيل في رسالته في هذا الصدد ، قال :
وله - تابوت المصحف - في احد غواربه باب ركبت عليه
دفتان ؛ قد احكم ارتجاجهما ، ويسر بعد الابهام انفراجهما ، ولانفتاح هذا
الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه ، وتركب المحمل عليه ما
دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت التنبيهات القدسية ، وانتظمت
العجائب المعنوية والحسية ، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ، وذلك
ان باسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف
يدخل فيه ، فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه ، واديرت به اليد انفتح الباب

بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسي من ذاته بما عليه الى اقصى غايته .

وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة ، مقترنة بحركة ياتي بها من مؤخر الكرسي زحفا الى مقدمه ، فاذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد ، وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف اي شيء آخر ، فاذا ادير المفتاح الى خلف الجهة التي ادير اليها اولا انفتح اولا الباب ، واخذ الكرسي في الدخول ، والمحمل في التاخر عن مقدم الكرسي الى مؤخره فاذا عاد كل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائه ، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح ، كالذي كان في حال خروجه وصحة هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي ، وهي مما يدق وصفها ، ويصعب ذكرها .
النفح (1) 288 .

قنطرة بين الرباط وسلا

اقتضب المراكشي وصفها آخر كتابه : المعجب 240 وتبسط في وصفها صاحب الاستبصار (خ) . وذكر انها مركبة على ثلاث وعشرين معدية⁽¹⁾ ؛ مدت عليها اوصال الخشب ، وعلبت عليها الالواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر ، تجوز عليها العساكر والمسافرون .. ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر ، فتعوم عليه المراكب وترسي دونها الاجفان الكبار .

(1) كذا بالاصل .

قنطرة نهر الوادي الكبير باشبيلية

ذكرها المؤرخ يوسف اشباخ في تاريخ الاندلس (2) 254
وقال : ان يوسف هو الذي انشاها من السفن ، واذها تثبت فيها
السفن معا بالسلاسل .

آلات حربية أو

دبابات موحدية

وبالاسم الاول وردت في (مجموع رسائل موحدية) ووصفها
ص 105-107 بانها لما صنعت من الاخشاب العظيمة الاجرام وكملت ،
قدمت الى الاعداء ، وانتهت الى حفيرهم ، واستعلت على اسوارهم .
كما ذكر عنها ص 205 انها لما تمت وشحنت بضروب الاسلحة
وسترت بانواع الخيش الواقية ، قربت الى الاعداء لردم حفيرهم .
وظاهر ان هذه الاوصاف تنطبق على الدبابات ذات الابراج
التي كان المسلمون يستعملونها في حروبهم ، واستعملها قبلهم كثير
من الامم .

ويذكر المصدر 105 انهم صنعوا من تلك الدبابات عددا في
اقرب وقت ، وهذا يدل على البراعة في الصناعة . كما يذكر 107-
206,108 انها كانت تعجل القضاء على الاعداء ، وهذا يدل على جودة
تلك المصنوعات .

وقد استعمل هذه الدبابات كل من عبد المومن ويعقوب المنصور في فتح مدينة قفطة من افريقية ، وكانت تحمل اسم : (البرج المبارك) كما بالمصدر المذكور 205 .

المجانيق

كذلك استعمل عبد المومن ويعقوب المجانيق في الفتحين المذكورين ؛ اخذا من المرجع المشار له 205,204,105 .
وقد كانت هذه المجانيق - كما يصفها المرجع المذكور - تبلغ في نكاية الاعداء المبالغ ، وتحل بهم القواصم والدوامع ، وتنهك اسوارهم ، وتهدم ديارهم ، وتعفي آثارهم .

البارود

اما هل عرف الموحدون البارود ؟ فامر يشك في صحته ، ويؤيد الاستاذ يوسف اشباح في تاريخ الاندلس (2) معرفتهم لهذا السلاح الجديد ص (58): بان خلفاء عبد المومن من الموحدين ؛ هم الذين نقلوا استعمال البارود في القرن الثالث عشر من افريقية الى اسبانيا ، كما يؤكد ذلك ص 246-247 بانه لم يمض قليل على زمن الموحدين اعني اواخر القرن الثالث عشر ، واول القرن الرابع عشر - حتى شاع بين مسلمي افريقية استعمال الآلات القاصفة ؛ التي تقذف الكرات الملتهبة ، ووصف هذه الآلات لا يدع مجالا للشك في ان هذه الكرات كانت تقذف بواسطة البارود .

صناعة التصوير

وبصفة خاصة ظهر اثر طابع الدولة الديني في التصوير ، فلم يستعملوه ويعتنوا به الا في دائرة الحاجة الدينية، او العلمية، والا في ميدان اللهو المباح .

وابرز الامثلة للتصوير في هذا العهد ما سلف لنا ص 251 عن دار الوزير ابن جامع بمراكش الجديدة من انه كان بها ساحة تلعب فيها خمسمائة جارية على (خيل الخشب) وتتطاعن .

ومن الامثلة الاخرى ما مر بنا انهم صوروا حول احدى نوافذ صومعة حسان بالرباط جهة البحر (سيفين عظيمين) مطتين ، رأسهما الى السماء ؛ ارهابا للعدو المهاجم ، ورمزا الى التهيؤ له والاستعداد . ومما يلحق بهذا ان ابن رشد الثاني قدم لاحد خلفاء الموحدين كتابه في الحيوان ؛ الذي يحتوي على (صور جميع الحيوانات) . كتاب الفنون الجميلة 195 .

هذا الا انهم كانوا يصورون التصميمات لبعض المباني ، ومن ذلك ان حسان - الذي اُضيف له فيما يظهر جامع حسان - عمل الشكل الهندسي لاستخراج القبلة للمنصور بمراكش . مقدمة سوق المهر (خ) . واخيرا لا ننسى ان نذكر القاري في هذا الصدد بالكرة والخريطة الادريسييتين ؛ وقد مرتا في مبحث الجغرافيا .

صناعة الطرز

كذلك فن الطرز تآثر إبان عظمة الدولة بذلك الطابع ، لذلك لم يستعملوه الا في بعض الرايات . اخذا من تاريخ الاندلس (2) 87 .

والا في بعض السطور . اخذا من تاريخ التمدن الاسلامي (1) 167 .
الذي رسم صورة لستارة موحدية ، على انهم آخر دولتهم التفتوا لهذه
الناحية واسسوا دار الطراز الخاصة بهم ؛ على ما يؤخذ من
المقدمة 232 .

صناعة التزويق

وكان الموحدون اول نشأتهم معادين لهذا النوع من الفنون ،
حتى ان فقهاء واشياخ فاس اضطروا ان يستروا النقش والزخرف
الواقعين فوق محراب جامع القرويين ؛ لما علموا بزيارة عبد المومن
له ، وخافوا من انتقاده عليهم كما في القرطاس 35 . هكذا كان
موقفهم - اول الامر - ضد هذا اللون من الزينة ، ولكن لم يكند
يستتب الامر لعبد المومن ثم لخلفائه من بعده حتى اصبحوا من
انصار التزويق والزخرفة ، واكبر مظهر ظهر فيه هذا الصنف من
الفن هو المباني والكتب .

اما المباني فلا زالت منها لحد الآن لجة شاهدة بالاثـر فيما
بقي قائما من المباني التي زخرفوها ، ناطقة بذوق الموحدين في
هذه الزخرفة ؛ التي تجمع الى رقة الاندلس فخامة الشرق ، وتنطق
باللطف والقوة .

واما الكتب فان تزويق بعضها مثل المطاحف - صحائف واغشية -
بلغ جانبا كبيرا من اعتناء القوم ، وممن حافظ عليه التاريخ من
اسماء المزوقين في الكتب لهذا العهد : ابو الحسن يحيى بن محمد
الغليسي القرطبي ، ثم الفاسي مستوطنها ، المعروف بابن الاشيلي .
ترجمه في التكملة 2767 والصلة 358 . ووصفه الاول بانه كان

بارع الخط ، مذهبا صناعا . وعبارة الثاني : كان من اهل الخط والتذهيب .

وهذه بعض الامثلة لزخرفة الكتب حينئذ :

زخرفة أوعية مصحف عثمان

يصف ابن طفيل في رسالة المصحف الكريم هذه الزخرفة التي امر بها عبد المومن بما يلي :

مما صنع للمصحف العظيم من الاصونة الغريبة ، والاحفظة العجيبة انه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ؛ ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه ، لا يشبه بعضها بعضا ، قد اجري فيه من الوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الاول مثال ، ولا عمر قبله . بشبهه خاطر ولا بال ...

ونظم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ، ونفيس الدر ، وعظيم الزمرد ، ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في افراده ، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده ، وتظن العز الاقعى والملك الانفس في ادخاره واعداده ، وتسمى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم لشذوذه في صنعه واتحاده ، فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلالئه واتقاده ، واشبهه الروض المزخرف غب سما اقلعت عن امداده ، واتى هذا الصوان الموصوف رائق المنظر ، آخذا بمجامع القلب والبصر ، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور ، يدهش العقول بها ، ويحير الالباب روا ، ويكاد يعيش الناظر تالقا وضيا ...

وتلطف في تميم هذا الغرض المعتمد، وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر، ذي حلية عظيمة خفيفة؛ تلازمه في المغيب والمحضر . . . وصنع له محل غريب الصنعة؛ بديع الشكل والصبغة.
 مغشى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع؛ في قطع من الابنوس والخشب الرفيع، لم يعمل قط في زمن من الازمان ولا انتهت قط الى ايسره تواقد الاذهان، مدار بصنعة قد اجريت في صفائح الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال، ويشاركه في اكثر الاحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب، ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب، وضع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على انوارها، والصدور على محفوظ امكارها، مكعب الشكل، سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التتميم في اوصاله والتكميل، جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل. النفع (1)
 287-288 .

زينة راحلة المصحف

وكان خلفاء الموحدين يحملون هذا المصحف الكريم بين ايديهم انى توجهوا على ناقة حمراء، عليها من الحلبي النفيس وثيراب الديباج الفاخرة ما يعدل اموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الاخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه ويساره عصيان عليهما لواء اخضران، وموضع الاسنة منهما ذهب شبه تفاحتين .

المعجب 166 .

حلية مصحف ابن تومرت وراحلته

ويكون خلف تلك الناقة في مواكبهم بغل محلى ايضا، عليه مصحف آخر، يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم، محلى بفضة مموهة بالذهب. المصدر 166.

تذهيب موطا ابن تومرت

ويحفظ حتى الآن في مكتبة القرويين بفاس هذا الموطا، وهو مكتوب في رق غزال مذهب جميعه.

صناعة الخطاطة

انواع الخط

كان الخط الشائع لهذا العهد هو الاندلسي، اخذا من المقدمة 367. وكان الى جانب هذا الخط العام يوجد نوعان من الخط الخاص؛ احدهما يكتب به في السكة والطاراز وما اليهما، وكان آخذا من الخط الاندلسي والخط الشرقي؛ حسبما هو مشاهد على المعروف من ذلك الصنف، والآخر خط العلامة الموحدية: - الحمد لله وحده - وكانوا يكتبونها بيدهم بخط الثلث في راس المنشور كما يذكر هذا المؤرخ ابن الوكيل في اختصار نفح الطيب؛ ورقة 164 نسخة كاتب السطور، وهناك نوع رابع من الخط وهو شكل

امضاء الموثقين . وهل كان موجودا لهذا العصر ؟ هذا سؤال اضعه
بين يد القاري الكريم .

نهضة الخطاطة

والآن وقد ذكرنا انواع الخطوط اذكر ان مهنة الخطاطة
حينئذ بلغت غايتها من الجودة والاتقان، بما كان لغير واحد من
ملوك الموحدين من الاهتمام بهذا الشأن .

ولا شك ان في طليعة هؤلاء الملوك يوسف بن عبد المومن
الذي انشا دار صناعة الانشاء بسبته . حلل 120 . ويغلب على الظن
ان هذه الدار كانت معهدا لتعليم الخط الى جانب الانشاء، وبعد
يوسف لا ننسى ان نذكر ان عبد المومن جعل من بنييه قدوة
حسنة في الاهتمام بالخط؛ فنشاهم ثلاثة عشر كلهم حفاظ (خطاطون).
المصدر 114 .

وقد كان بعض هؤلاء الابناء يمتدحون بجودة الخط؛ مثل السيد
عمر بن عبد المومن؛ مدحه الشاعر الاندلسي الكبير ابن مجير
ووصف خطه بهذين البيتين :

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا نكر على السحب ان ينبثق ازهارا
خط هو السحر لا كنا ننزهه ونجعل القلام النفث سحارا

زاد المسافر 9 - 10 .

وأخيرا نذكر ان عمر المرتضى من اواخرهم كان له حظ
وافر من براعة الخط . حلل 126 . ومن منتهى خاقه مصحف قرآني
كريم في عشر مجلدات سلم بالحديث عنها فيما بعد .

الخطاطون

ولقد كان من اثر ذلك الاهتمام بالخطاطة ان نشأ حينئذ خطاطون بارعون ؛ نذكر منهم اسماء النخبة الآتية : (1) عبد الله بن محمد بن عيسى التادلي الفاسي ت 597 . التكملة 1491 . الجدوة 236 . و (2) ابا حفص عمر بن عبد الله السلمي الاغماتي؛ نزيل فاس حدود 530-603 . التكملة 1831 . الجدوة 286 . و (3) عبد الرحمن ابن يوسف الازدي الزهراني؛ المعروف بابن الملاجوم الفاسي 535-605 . التكملة 1652 . الجدوة 254 . و (4) عقيل بن عطية القضاعي المراكشي 549-608 . زوائد التكملة 1946 . و (5) ابا الخطاب عمر ابن الحسن بن علي ابن دحية الكلبي السبتي؛ يعرف بابن الجميل 547-633 . التكملة 1832 . و (6) محمد بن يحيى بن طاف؛ المعروف بابن المواق المراكشي ، ثم الفاسي 583-642 . الاعلام (3) 141 . و (7) ابا القاسم عبد الكريم بن عمران القصري، ت 643 . المصدر (3) 103 . و (8) محمد بن احمد بن عمر السلمي الفاسي . المصدر (3) 144 ، 196 . ونختم اسماء الخطاطين حينئذ بـ (9) ابي الحكم بن غلنده . وهو وان كان اندلسي الاصل؛ فانه استوطن آخر عمره بمراكش وتوفى ودفن بها ، وقد امتاز في خطاطته باذنه كان يكتب بخطين اندلسيين . طبقات الاطباء (2) 79 .

النساخون

كذلك احترف غير واحد من الخطاطين بمهنة النسخة وهذه زمرة كريمة منهم :

(10) عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي
المكناسي ثم الفاسي

595

من السابقين الاولين في هذه الصناعة، كتب بخطه علما كثيرا.
التكملة 2433. الجذوة 278.

(11) محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق
التغمري السبتي

كان حيا 596

كتب بخطه كثيرا، وكان صاحب اتقان وضبط. التكملة 1061، 2133.

(12) محمد بن جرير المعروف بابن
تأحيست الفاسي

608

كان له خط حسن؛ ينسخ المطاحف بيده؛ ويدفعها لمن يراه أهلا لها
ابتغاء الثواب. الذخيرة السنية 41-42-القرطاس 175. الجذوة 137-138.

(13) محمد بن ابي عمران موسى بن
المعلم الفاسي

611

ممن اشتغل بهذه المهنة، وكان يتعيش منها. القرطاس 44.43.

(14) احمد بن يوسف بن فرتوت السامي
الفاسي

660

كتب بخطه كثيرا. الجذوة 56-57.

(15) محمد بن علي بن العابد الانصاري

الفاسي

662

نساخ بارع مواظب، نسخ بيده كبار الدواوين، ولم يفتر قط من قراءة او درس او نسخ او مطالعة ليله ونهاره. البغية 77. الجدوة 144. النيل 254.

صناعة الوراقة

وهي من توابع الخطاطة، وتزيد عليها بانها تشمل حتى تجليد الكتب وسائر الامور الكتبية، وكانت ناهضة لهذا العهد، ومن مشاهير اهلها: (16) ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الرحمن ابن الصقر الانصاري الخزرجي المراكشي؛ ت حدود 637. كان جيد الخط سريع الكتابة؛ تعيش دهرًا طويلًا بالوراقة؛ وكتب بخطه الكثير واثقته. الاعلام (3) 65. و (17) عيسى بن واصل المراكشي؛ ت حدود 637. كان بارع الخط، جيد الوراقة، كتب بخطه دواوين عدة في فنون شتى. الصلة 96. و (18) محمد بن احمد السبائي؛ المعروف بابن الطراوة المراكشي؛ ت 659. بارع الخط، اتيق الوراقة. الاعلام (3) 148-149.

تذييل

ان الحديث عن الخطاطة والوراقة يحفزنا ان نذيل بالكتابة عن نهضة المكتبة المغربية؛ وما كان يوجد بداخلها؛ وحتى في غيرها من الذخائر والآثار.

I المكتبة المغربية لهذا العهد

عمارتها

تضخمت المكتبة المغربية لهذا العهد ، وامتلات بنفيس الدفاتر والذخائر، وصارت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الاندلسية ابان ازدهارها ، ومن الشواهد على عظمة المكتبة المغربية حينئذ ان قسم الفلسفة من مكتبة يوسف اجتمع فيه قريب مما اجتمع للحكم بالاندلس . المعجب 155 . وكان بمدينة مراکش وحدها من دكاكين الكتبيين مائتا دكان لبائعي الكتب المخطوطة؛ كانت بجوار جامع الكتبيين، متصلة باسفل منارته العالية. (كتاب المغرب للاستاذ ريكار) . ومكتبة واحدة، هي مكتبة بعض بني الملجوم بفاس بيعت اوراق كتبها التي هي غير مجلدة بل متفرقة ب 6000 دينار . النفع (1) 574 .

اهتمام الموحدين باقتناء الكتب

وقد جاءت تلك الكثرة الفائقة من العناية الكبرى التي كانت للمغاربة، وفي مقدمتهم الخلفاء الموحدون؛ الذين كانوا مضرب الامثال في الاهتمام باقتناء الكتب وتملكها ، وان هؤلاء بلغ بهم الاعتناء والاهتمام بهذه الناحية الى حد ان كانوا ينتزعون ملكية المكاتب ممن يخشى ضياعها عنده؛ لاجل صيانتها في مكتبتهم؛ ويعوضون اصحابها عنها التعويضات السنية . ومن امثلة هذا ما رواه المراكشي في المعجب 155-156 عن ابي محمد عبد الملك الشدوني قال :

كنت في زمن شببتي استعير كتب هذه الصناعة - يعني صناعة الاحكام - من رجل كان عندنا بمدينة اشبيلية اسمه يوسف يكنى ابا الحجاج؛ يعرف بالمراني - بتخفيف الراء - كانت عنده جملة كبيرة منها. وقعت الى ابيه في ايام الفتنة بالاندلس، فكان يعيرني اياها في غرائر، احمل غرارة واجي بغرارة من كثرتها عنده؛ فاخبرني في بعض الايام انه عدم تلك الكتب بجملتها، فسألته عن السبب الموجب لذلك، فاسر الي ان خبرها انهي الى امير المومنين - يوسف - فارسل الى داري وانا في الديوان لا علم عندي بذلك، وكان الذي ارسل كافورا الخصي مع جماعة من العبيد، وامره ان لا يروع احدا من اهل الدار، وان لا ياخذ سوى الكتب... وولوه بعد اخذهم لهذه الكتب منه ولاية ضخمة ما كان يحدث بها نفسه.

ولعل هذه القصة تكفينا لبيان مقدار اهتمام القوم بالكتب ومدى شغفهم بتحصيلها.

يوم كنا ولا تسل كيف كنا نتهاذى من العلى ما نشاء

اقتراحهم تأليف الكتب

وان همة الموحدين في هذا الميدان لم تقف عند حد اقتناء الكتب الموجودة؛ بل كانوا يقترحون تأليف الكتب من جديد لفائدة المكتبة العربية؛ فشروح ابن رشد الثاني على كتب ارسطو انما كانت بهمة يوسف حسبما مر بنا في مبحث الفلسفة - نقلا عن المعجب 159 - كما ان شرحه الآخر على الفية ابن سينا كان باقتراح السيد ابي الربيع بن ابي محمد بن عبد المومن؛ كما بوخذ من طالعة الشرح المذكور.

اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم

وعرف الناس منهم ذلك الاهتمام باقتناء الكتب فتقدموا لمكاتبهم باهداء الكتب؛ فعل هذا ابن رشد المذكور، وقدم لخزانة احد الخلفاء الموحدين كتابه في الحيوان. (الفنون الجميلة 195). وبعض الائمة الذي رفع لخزانة المرتضى الموحدي تاليفا يتضمن التوشيح. (ازهار الرياض (2) 230).

بل ان الاهداء لمكاتبهم كان حتى من عظماء الملوك خارج مملكتهم، ومن هذا ان السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي اهدى مكتبة الخليفة يعقوب مصنفين كريمين منسوبين. (الاستقصا (1) 174).

مقام خطة المحافظة على الكتب

ومما يندرج في هذا الباب اعتناؤهم بخطة المحافظة على الكتب وكانوا يعتبرونها من الخطط الجميلة؛ التي لا يعين لها الا اعلية اهل العلم واكابرهم، كما يقول هذا في الديباج 49.

وممن تولوا في هذا العهد: ابو العباس ابن الصقر صاحب المكتبة الآتية الذكر، جاء في ترجمته من المصدر المذكور 49: وتولى احكام مراکش والصلاة بمسجدها، ثم احكام بلنسية؛ فكان بها قاضيا، ولما صار الامر الى ابي يعقوب بن عبد المومن الزمه خدمة الخزانة العلمية. فانظر نقله من القضاء الى المكتبة، وناهيك بذلك دليلا على علو الوظيفة عند القوم.

تأسيس المكاتب العامة

ولم يقف اعتناؤهم بالكتب عند حد اقتنائها وما يتبع هذا الاقتناء؛ وانهم فوق ذلك اهتموا بتسبيلها ووقفها على العموم. ويقال: ان اول ما وقع وقف الكتب بالمغرب كان في هذا العهد. ولتحقيق هذا الموضوع انقل كلاما في هذا الصدد اثبتته في كتابي : (سالف المكتبة المغربية) تحت عنوان : اول مكتبة عامة بالمغرب . وهذا نصه : يقولون ان ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان في اواخر العهد الموحيدي، وان الذي اسس اول مكتبة عمومية بالمغرب هو ابو الحسن الشاري . المولود والمتوفى 579-649 . فانه اوقف بسبنة خزانة مدرسته الشهيرة، وهي اول خزانة وقفت بالمغرب على اهل العلم كما يقول ذلك محمد بن القاسم السبتي في كتابه اختصار الاخبار(1):

وانا مع احتفاظنا بهذا النص نستبعد ان يتاخر تأسيس المكاتب العامة بالمغرب الى هذا العهد الاخير من الدولة الموحدية من غير ان يكون على الاقل في اولها؛ ومن غير ان يكون لعبد المومن وابنائهم اثر في هذا الميدان لما علم من اهتمامهم بهذا الشأن، واشتهر من ابتنائهم (بيت الطلبة) وتأسيسهم الكثير من المدارس بالمغرب وغير المغرب، وكل هذه المؤسسات لا تستغني عن كتب ومكاتب تكون بجانبها مباحة للعموم، فالظاهر ان ابتداء تأسيس المكاتب العامة بالمغرب كان قبل هذا العهد اوائل العصر الموحيدي على الاقل؛ وانه اسست اذ ذاك مكاتب عامة؛ اهملها التاريخ فيما اهمل، فقاتل الله الاهمال.

هذا ما اثبتته اولا مع بعض حذف يسير ثم وقع الي قسم كبير من كتاب : (المسالك والممالك) لابن فضل العمري فاكتشفت به خزانة عامة أسسها يعقوب المنصور بمراكش قبل ان يؤسس الشاري المكتبة العامة بسبتة .

فبعد ما ذكر ابن فضل ان يعقوب المنصور بنى قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش خاصة به وبخواصه . بعد هذا قال : وفي رحبة القصر - قصر الخلافة - دار الكرامة والاضيف وفي هذه الرحبة المدرسة ، وهي مكان جليل به (خزائن الكتب) . هذا كلام ابن فضل وكيفما فسرنا عموم هذه الخزائن ، وكيفما ذهبنا في فهمه فانه يفيدنا ان الخزانة الشارية ليست اول مكتبة عامة بالمغرب وانها مسبوقة لا سابقة . وبعد هذا فاني لا اقصد ان هذه الخزائن - التي أسسها يعقوب - هي اول خزانة عامة بالمغرب ، واني اعود فأؤكد انني لا زلت استبعد ان يتاخر تاسيس المكاتب العامة بالمغرب؛ ولو الى هذا العهد من الدولة الموحدية .

المكاتب أوعية الكتب

لم أقف على صفة اوعية الكتب عند المغاربة حينئذ ، وانما وقفت على وصف موجز لبعض اوعيتها لدى الاندلسيين ، وبما انه لا يبعد ان تكون ظروف الخزانة المغربية على غرار اوعية اختها الاندلسية اثبت هنا ابياتا ثلاثة تصف بايجاز تلك الاوعية الاندلسية ؛ التي يغلب ان تكون مثل شكل الخزانة المغربية ، وهذا نص الابيات :

ووعاءٌ عود للعلوم صيانة حملت ذخائرها قوائم أربع
محفوظة الاشكال مما قد حوت فالعلم يحفظ مما حواه ويمنع
خشب كلون التبر يشرق فوقها حلي حكي لون اللجين ويسطع

من قطعة شعرية للاديب الشاعر

ابي عبد الله محمد المعروف بربيب

الحشى الجزيري كان حيا سنة 587.

وقد وردت في ترجمته من كتاب

بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها (خ).

الكتابة على الخزائن

وكانوا يكتبون على بعض الخزائن الجليلة، ويوجد في ديوان
السيد ابي الربيع بيتان اثنان؛ امر بهما ان يكتبتا على خزانة كتبهم
المباركة.

أسماء الخزائن

تأسست على هذا العهد مكاتب عديدة؛ عامة، ومملكية، وخاصة
ونذكرها على هذا الترتيب فيما يلي :

المكاتب العامة

(1) مكاتب مدرسة المنصور بمراكش

سلف لنا آفنا الحديث عن هذه المكاتب، ولم أقف بعد على
شيء زائد على ذلك.

(2) المكتبة الشارعية بسبته

مؤسسها قيمتها

وهي منسوبة لمؤسسها ابي الحسن علي بن محمد الغافقي السبتي المعروف بالشاري الآنف الذكر ، كان شغوفا بجمع الكتب مغرما بتملكها ، فكون مكتبة عظيمة ، جمعت من الاعلاق النفيسة وامهات الدواوين شيئا عظيما ، ولقد نافس فيها ، وغالى في اثمانها ، وربما رحل في ذلك حتى حصل منها ما لم يكن عند احد من ابناء عصره ، ولا تحفل عند كثير ممن تقدمه . التكملة 1922 . صلة الصلة 300 . جذوة الاقتباس 308 .

وقفها على اهل العلم بالغرب

ودفع ابا الحسن الشاري شغفه بالعلم وحبسه لاهله ان اوقف خزانته هذه على اهل العلم بالمغرب ، وجعل مقرها بالمدرسة المنسوبة اليه ، والتي ابتناها من ماله بسبته . اختصار الاخبار (1).

عمرها

وقد استمرت هذه المكتبة قائمة الى قريب من عهد سقوط سبته ، اعادها الله الى عز الاسلام ، فصاحب اختصار الاخبار السدي فرغ منه سنة 765 اشار الى انها بقيت موجودة الى زمنه . وابن الخطيب المتوفى سنة 776 ذكرها في مقاماته : (معيار الاختبار) وسماها : (خزانة كتب العلوم) .

وكذا زارها بل مكث بها ثمانية اعوام ابو يعقوب يوسف
الاغطاوي المتوفى سنة 802 حسبما ذكر هذا عنه ابن غـ ازي
في ذيل فهرسته (خ) .

المكتبة الملكية

(3) الخزانة العلمية بمراكش

مؤسسها قيمتها

كذلك سماها في الديباج 49 . ومؤسسها هو يوسف ، ولقد كانت
عامرة؛ وعامرة جدا، يدل لهذا ما جاء في المعجب 155 لما تكلم على
اعتناء يوسف بتعلم الفلسفة قال : انه امر بجمع كتبها (الفلسفة)
فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الاموي . فتأمل
قوله : قريب مما اجتمع للحكم ، وتذكر ان الحكم كان مغرما
بالفلسفة الى حد بعيد ، وان كتبها كانت تكون قسما كبيرا من
مكتبته العظيمة؛ التي كانت تشتمل - فيما يقال - على 400'000
مجلد كما في النفح (1) 184 . ثم لاحظ بعد هذا وذاك ان مكتبة
يوسف لا بد ان تكون مشتملة على كتب كثيرة غير كتب الفلسفة...
فاذا اعتبرت ذلك كله ؛ تعلم ما بلغت اليه هذه المكتبة من
العمارة والضخامة .

جهود يوسف في جمعها

وينبغي ان لا ننسى الجهود الجبارة التي بذلها يوسف في
جمع شتات مكتبته حتى من البلدان القاصية ، وقد مر بنا شي
من هذا .

القيم عليها

وكان القيم عليها : هو ابو العباس ابن الصقر الاندلسي كما
مر بنا عن : الديباج 49 .

مكاتب الافراد

(4) مكتبة عبد الرحيم ابن الملجوم بفاس

604

524

قيمتها

وصاحبها هو الراوية ، عبد الرحيم بن عيسى الازدي الزهراني
المعروف بابن الملجوم الفاسي ، كونها من مكتبة والده عيسى
الذي كان جماعة للدواوين العتيقة ، والدفاتر النفيسة ، ومن مكتبة
استاذة ابي عبد الله محمد بن احمد الخرجي الجياني ، ومما اضاف
لهذه وتلك ؛ حيث حارت مكتبة حافلة بالنفائس والذخائر . التكملة
1930,1674 . الجدوة 262,281,267 .

(5) مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس

605

535

قيمتها

اسسها الشيخ عبد الرحمن بن يوسف ابن الملجوم ؛ من قرابة
السابق ، وجمع لها من الكتب والدواوين شيئا عظيما ، حتى حارت
اكبر مكتبة بالمغرب لذلك العهد ، يقول عنها في التكملة 1652 .

والجدوة 253: وكانت له (عبد الرحمن) خزانة دفاتر جلييلة الشأن لم يكن لاحد من اهل عصره مثلها، ويقول عنها في الذخيرة السنية 47: وخزانة كتبه: (عبد الرحمن) كانت المشهورة فـي المغرب بيعت خرمها بعد وفاته بستة آلاف دينار. وهذه الفقرات الاخيرة من كلام الذخيرة تفسر لنا اجمال ما سلف من ان احد بنى المملجوم بيعت اوراق كتبه التي هي غير مجلدة ب 6000 دينار، وتبين انه هو صاحب هذه المكتبة عبد الرحمن ابن المملجوم.

مصيرها

وكان مصير هذه المكتبة العظيمة ان تصدق بها مؤسسها على ابنة له لم يترك عقبا غيرها؛ حيث تفرقت شذر مذر. التكملة 1652. الجدوة 253.

(6) مكتبة المسوفي بفاس

609

كونها ابو عبد الله محمد بن يحيى بن تاكميت المسوفي؛ والي اعمال فاس آخر عمره، قال في ترجمته -من كتاب بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها- كان معتنيا بالكتب؛ جمع منها ما لم يجمع غيره، وانتفع به شيخنا الاستاذ ابو محمد، فانه كان ينهبه عليها فيعتني بها حتى يحضرها، فينتفع الاستاذ بها اما بنسخ او بمقابلة.

(7) مكتبة المومنانى بفاس

639

قيمتها

من تاسيس الامام الكبير؛ محمد بن عيسى بن معنصر المومنانى

الفاسي وكانت عظيمة جدا؛ بحيث كان فيها من الكتب ما لم يكن عند احد (كتاب بعض فقهاء مالقة وادبائها (خ) .

(8) مكتبة ابن الطراوة بمراكش

659

قيمتها

جامعها هو الامام المؤرخ ابو عبد الله محمد بن احمد السبائي المراكشي، عرف بابن الطراوة، كان متهمما باقتناء الاصول التي بخطوط اكابر الشيوخ، او عنوا بضبطه، وجمع منها جملة وافرة، شديد المحافظة على كتبه، مثابرا على الاعتناء بتصحيحها، نسابة لخطوط المشايخ . الاعلام (3) 148 .

(9) مكتبة ابن الصقر بمراكش

569

502

قيمتها

وهي من انشاء الحافظ المكثّر؛ ابي العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري الخزرجي الغرناطي؛ نزيل مراكش يعرف بابن الصقر، وكانت مكتبة عظيمة طافحة بالذخائر والنفائس يقول عنها في الديباج 49-50: انه اقتنى من الكتب جملة وافرة سوى ما نسخ بخطه الرائق، وكان معه عند توجهه لمراكش خمسة احوال كتب، وجمع منها بمراكش شيئا عظيما .

نكتبه فيها

ولقد نكب فيها بضرب من المحن؛ كالغرق؛ والنهب خلال
فتنة كانت وقعت ايام مقامه بغرناطة، وكذلك نهبت كتبه بمراكش
حين دخلها عبد المومن . الديباج 49 .

(9) مكتبة ابن غلنده بمراكش

581

قيمتها

من جمع الطيب الاديب ابي محمد عبد الله بن علي بن عبد
الله بن غلنده الاموي، مولا هم السرقسطي؛ مستوطن مراكش؛ وكان
بهذه المكتبة كتب كثيرة . طبقات الاطباء (2) 79 .

(10) مكتبة القيسي بمراكش

653

قيمتها

جمعها المحدث الراوية؛ ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي
الرندي؛ نزيل مراكش ودفينها، وكان جماعا للكتب وفوائد
الشيوخ، نسابة لخطوط العلماء . الاعلام (4) 377.

II الذخائر والآثار في هذا العصر

بعد الحديث عن المكتبة المغربية اذكر قلا من كثر من
الذخائر والآثار؛ التي كانت شائعة لهذا العهد، محفوظة بالخزائن
المغربية وغيرها .

المصحف العثماني

سلف الحديث عنه في غير موضع من هذا الكتاب ، ونذكر
هنا ان هذا المصحف - على ما يقال - احد المصاحف التي بعث بها
عثمان الى الامطار، كان بمسجد قرطبة من الاندلس؛ ونقله عبد
المومن الى مراكش عام 552 حيث بقي عند الموحدين موضوع
تجلة واحترام، الى ان صار اواخر ايامهم لخزائن بني عبد الواد ملوك
تلمسان، ثم استخلصه منهم ابو الحسن المريني، وكان آخر العهد
به ان تلف في البحر سنة 750 عند غرق اسطول ابي الحسن في
حادثة تونس الشهيرة. (النفح (1) 283) .

مصحف ابن تومرت

وهو مصحف يقال انه بخط المهدي ابن تومرت، وقد سلف
الحديث عنه . المعجب 166 . النفح (1) 288 .

مصحف المرتضى

هذا المصحف خطه بيده عمر المرتضى من اواخرهم في عشر
مجلدات ، وكان يوجد تاما بمكتبة جامع ابن يوسف بمراكش

الى عام 1149 حيث استعاره في هذا التاريخ محتسب مراكش
وحوالي سنة 1352 بقي من هذا المصحف اربع مجلدات، ولم يبق
منه اليوم ولا مجلد واحد في هذه المكتبة .

وقد رايت بمتحف الرباط بعض مجلدات هذا المصحف، معروضة
هناك منوها بها في الجملة .

النعال النبوية

ويزعم بعض من تكلم على النعال النبوية الشريفة الموجودة
حتى الآن بفاس واحدة منها انها كانت عند بني عبد المومن
الى انقراض دولتهم؛ اهداها لهم بعض من رام التقرب لهم. انظر
النشر المخطوط .

خريطة قبلة مراكش

وهي عبارة عن الشكل الهندسي الذي وضعه المهندس الشهير
حسان لاستخراج قبلة مراكش، وقد كانت محفوظة بالخزانة
الموحدية .

قراضة الذهب في ذكر لئام العرب

مؤلفه الامام النظار؛ مالك بن وهيب الاندلسي؛ ضمنه لئام العرب
في الجاهلية والاسلام، وضم الى ذلك مايتعلق به من الآداب؛ فجاء
الكتاب لا نظير له في فنه، وقد رآه عبد الواحد المراكشي في خزانة
بني عبد المومن . المعجب 119 .

دراهم قديمة

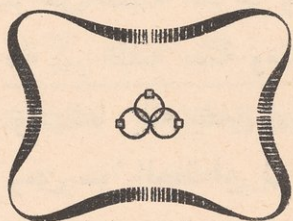
قص خبر هذه الدراهم ابن القطان في مقالته، وذكر انها وجدت في كنز ورفعت للناصر الموحدى، واعطى منها لوالد ابن القطان قطعة، وهي فضة مستديرة الشكل، مكتوب عليها امر بضرب هذه الدراهم امير المومنين عبد الملك بن مروان. (الدوحة المشتبكة).

مد أبي محمد صالح

كان هذا المد عند ابي محمد صالح الدكالي، وقد كيل بمد زيد بن ثابت (ض) بسند صحيح مكتوب عنده، شاهده عنده وعاييره الامام الرجراجي الفقيه الشهير. (شرح الخطاب على المختصر (2) 366).

عباءة عبد المومن

وهي عباءة حرب سوداء، من مخلفات عبد المومن، كانت من مدخرات خلفاء الموحدين الآخرين، وكانوا يرتدونها في العروب أخذاً من تاريخ الاندلس (2) 118.



استدراكات

وهي مسائل قليلة لم يتأت الحاقها في اماكنها من الكتاب
فاستدركتها هنا على ان تعتبر جزءاً من المواضيع الملحقة بها

تعليق على اواخر مبحث النهضة النسوية ص 35 :

نذيل هنا - فوق ما تقدم - بذكر سيدتين مغربيتين من
مثقفات هذا العهد

الاولى عمرة بنت ابي حفص الاعماني كانت ادبية شاعرة،
ذكرها الاستاذ الجليل عبد الله كُنُون في الحلقة السادسة من سلسلة
(ذكريات مشاهير رجال المغرب) ص 27 .

الثانية أم المجد مريم بنت أبي الحسن الشاري السبتي اوردها
في (اختصار الاخبار) 6 . محلها لها بالمسندة وقال انها مدفونة بالبقعة
الحبسة على دفن من يموت من طلبة مدرسة والدها بسبته . وهذه
الفقرة الاخيرة تفيد ان ام المجد كانت طالبة بالمدرسة الشاربية
المذكورة، كما تفيد ان هذه المدرسة كان يقرأ فيها حتى النساء .

تعليق على آخر بحث طلبة الموحدين ص 38 :

وكانت بين كثير من طلبة المغرب وطلبة الاندلس صلوات
علمية وثيقة جداً، وبخاصة بين طلبة سبته ومقالة، جاء في كتاب
بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها : انه كان بين طلبة مالقة وطلبة
سبته مراسلات نبهية . ومن سوء الحظ ان لم أقف على مثال من
مراسلات طلبة سبته لآخوانهم بمالقة وانما عثرت على بعض امثلة
من مراسلات طلبة مالقة لطلبة سبته، ومن ذلك ان ابا القاسم محمد

ابن هاشم بن نجيب الشريف الهاشمي المالقي المتوفى عام 613 نظم قصيدة طنانة يمتدح فيها طلبة سبتة ويصفهم بصفاتهم؛ اطلق فيها عنان البلاغة، وقدح زند البراعة، فبلغ فيها مدى الاحسان، وحاز قصب السبق في ذلك الميدان، وقد اوردھا برمتھا من 200 بيت بالمصدر المذكور الذي ذكر مع ما تقدم قصة هذه القصيدة، وتتلخص في ان طالبا من طلبة مالقة - يعرف بابي الحسن النجار - سافر الى سبتة فسجن بها على تهمة سرقة، فتوسل لطلبة سبتة بطلبه فجدوا في امره حتى استخرجوه من سجنه.

ومن الامثلة الاخرى لذلك الرسالة التي كتبها لاهل سبتة ابو علي عمر بن عبد المجيد الازدي ثم المالقي، والمشملة على عدد من تراجم الازدليين، وقد اقتبس من هذه الرسالة المصدر المذكور في تراجم محمد بن عيسى بن زنون المالقي، ومحمد بن ابراهيم الانصاري، ومحمد بن عبد الله المالقي، ومحمد بن عبد السلام بن مطرف المالقي، ومحمد الحجاري المالقي، ومحمد المعروف بابن الحناط، ومحمد بن احمد بن عبد الملك الانصاري.

والى جانب سبتة ومالقة نجد طنجة يرفع نحاتها ومقرؤها سؤالاتهم للنحويين والمقرئين من اهل اشبيلية، حيث ينتدب للجواب عن هذه الاسئلة في تقييد خاص ابو بكر محمد بن خلف ابن صاف اللخمي الاشبيلي. ارجع الى ص 62 من هذا الكتاب.

تعليق على تفسير عبد الجليل من بحث التفسير ص 44:
يقع هذا التفسير في ستين مجلدا، فسر في كل مجلد حزبا واحدا من القرآن، اشار لهذا عرضا في المفصل الشريف، في التعريف بصلحاء الریف. ترجمة ابي القاسم ابن الصبان.

تعليق على آخر موضوع المذهب المالكي ص 56 :

وممن ألف من المالكية في الرد على ابن حزم أبو يحيى
المواق جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه .
انظر الخبر المغرب . لابي رأس المعسكري .

تعليق على آخر فن النسب ص 66 :

ومن موضوعات النسب لهذا العهد : المرهف الهندى في الرد
على التاج الكندي لابي الخطاب ابن دحية ، اثبت فيه ان دحية قد
عقب ورد على المذكور الذي زعم انه لم يعقب ، نسبه له في
كتاب : بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها .

تعليق على آخر بحث التراجم ص 68 :

يضاف لكتب التراجم حينئذ الجزء الذي عقده أبو عبد الله
محمد ابن القاضى عياض لترجمة والده ، وقد نقل عنه في الديباج 168
وازهار الرياض ج (1) 24 و (ج) (3) 7 - 8 .



كلمة ختامية

هنا تم ما بلغه الجهد، ووسعه الوقت من حديث العلوم والآداب والفنون لعهد الموحدين، ولا أرى أن أودع هذا الموضوع دون أن أقدم بآيات الشكر، وعبارات الشناء للاستاذ العلامة المؤرخ المطلع سيدي عبد الله كُثْنُون على ما بذل من جهد مشكور في السهر على طبع هذا البحث حتى خرج في حلتها الانيقة التي تفصح عن نفسها بنفسها، بل إن ظهور البحث في هذا الوقت هو حسنة من حسنات الاستاذ كُثْنُون، فبفضل وعده لكاتب السطور بطبع البحث في معهد مولاي الحسن، وبفضل ما بذل في هذا الصدد من اعتناء واهتمام، ولطف وصبر؛ بفضل ذلك كله ظهر الكتاب، فالله وحده هو الذي يجازيه ويكثر من امثاله لهذا الوطن العزيز. وبعد هذا لا أنسى أن أشكر العلماء الاجلة الذين تفضلوا فاعاروني كتبهم الخطية؛ وهم الذين سميّتهم في قسم المراجع. كذلك يعود ثنائي وشكري للعلامة المؤرخ البجاجة سيدي محمد داود الذي تلمظ فاهدى اخاه نسخة من تكملة ابن الأبار، بعد أن لم أكن أملك هذا المؤلف القيم، وإنما كان عندي عارية من مكتبة العلامة المؤرخ الجليل سيدي محمد بن بوبكر التطواني حياه الله وبيهاه.

ولا أنسى أن أسجل ممنونيتي وتقديري لصاحب السيادة، واسطة عقد البيت الزيداني، ونقيب العائلة المالكة الكبير الشريف الجليل مولاي المصطفى ابن زيدان، الذي اعارني من المكتبة الزيدانية العامرة - لهذا الصدد - الكتب التالية: اخبار الحكماء لابن

القفطي. صلة الصلة لابن الزبير. خلاصة تاريخ العرب لسديو. تاريخ
التمدن الاسلامي.

ولا انسى كذلك ان اسجل نفس الممنونية والتقدير لسائر
الاخوان الذين باشرُوا انتساخ الكتاب، سواء منهم مخرجه من
مبيضته، او ناسخ ابواب منه، فجميعهم تشكراتي العاطرة.

وحيث لم يأت ادراج المقدمة بالكتاب لتأخر تحريرها عن
الابدان، فلنختم بما كان في النية تنويع الكتاب به؛ من الدعاء
بالاعانة والتسديد والتمكين لحضرة صاحب الجلالة الملك المنصور
بالله، الساهر على نهضة البلاد، العامل على احياء موات العلم، معززا
بعضه الايمن صاحب السمو الخليفة المعظم، باعث النهضة العرفانية
في المنطقة الخليفية. حيا الله جلالة الملك، وحفظ سمو الخليفة وسائر
الامراء الكرام؛ يتقدمهم صاحب السمو الملكي امير الشباب؛
ولي العهد المحبوب.



جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
13	22	ليهودي انما	ليهودي ولا نصراني انما
13	23	معجب	انظر المعجب
16	6	احبو السنة	احبوا سنة
17	9	نمول	نول
18	13	سعيه	سعيد
18	16	قال	نال
20	10	سديد	سديو
21	7.6	مسالة الابصار ذو	مسالك الابصار (خ).
21	18	وقال عنه	وقالا عنه
24	14	التكملة المفقودة	التكملة . القسم المفقود ...
25	2.1	وكذا مراکش ومكناس	وكذا جامعا مراکش ومكناس
27	13	البرنامج	المنهاج
30	5	للسلابحي	للالاجبي
30	7	المحاسن	المحاسني
30	10	المبورني	العبدري
30	17	674	1674
30	19	تجبة	نخبة
30	21	لابن الحسن ابي	لابي الحسن ابن
32	4	وينقض	وينقص
32	7	يؤدي من الاقطاع	يؤدي الاقطاع
32	11	حفل	فعل
32	12	يكرر	يكرم
34	19	فعلتموه	فعلتموه
35	4	لهب	نهب
37	10	نجية	نجدة
38	20	المحضر	الحضر
39	17	الجلاسة	الجلعة
44	2	التفسير	التفسير
		التجويد - القراءات	العادي . الاشاري
		الرسم . العادي . الاشاري	التجويد . القراءات . الرسم
44	11	شكل	مشكل
44	21	وتجاوزوه	وتجاوزوه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
46	2	بهذين	بهذه
46	9	وممن استوطن	وممن دون فيها ممن استوطن
48	6	تاسنا	تامسنا
50	13	ابن حزم	ابن جزي 418
52	16	المؤخرين	المؤرخين
54	15	تأليف	تأليف
55	7	فقيها	فقيها
55	10	زانق	زانف
55	16	التجبي	التجبي
58	2-1	اصول الفقه . اصول الدين المهدوية والعصمة	اصول الفقه اصول الدين المهدوية والعصمة
58	4	يقول	يشير
58	5	يدرس	يروج
58	14	البحصي	البحصي
59	2	الفاسيين	الفاسيون
59	14	غوى	نموى
61	9-7	منهم محمد الى وكذا ابو الخطاب	منهم ابو الخطاب ابن دحية...
61	15	الاودي	الازدي
62	4	صاب	صاف
62	7	بعده	بعدة
63	21	بالصولي	بالصديفي
64	7	ابو عبد الله	ابا عبد الله
67	19	السلوة (3) 269	السلوة (1) 9 ، (3) 269 ...
68	7	ت 2380	تكلمة 2380
68	8	القريني	الغبريني
68	9	ابن المداق	ابن المواق
68	17	ابن الصبر	ابن ابي الصبر
71	16	الموليسي	المويسبي
74	6	ابن حمدي	ابن حمويه
74	11	ابن يحيى	ابي يحيى
74	19	المصدر المذكور	المصدر المذكور (1) 75
75	6	سويعة	سويقة
76	5	عدد 1	عدد 11
77	18	سارطوى	سارطون
79	4	مقدرا	مقدار

صواب	خطأ	صفحة	سطر
اقل من	اقل	79	5
مبللر	فبللر	79	6
وكشرح	هو كشرح	79	12
مائية	هائية	81	17
365	356	81	18
جوير	جويد	83	5
بن	في	83	16
وصفة	وصف	83	22
بشرون	بشرون	87	10
الجنوى	الجندي	92	19
89	67	94	3
بندود	بنود	98	14
جذوة 278—279	جذوة 218	103	20
ابو عبد الله عبد الله بن محمد بن حجاج	ابو عبد الله محمد بن حجاج	104	2
نيل	قيل	104	12
الحليلة	الجميلة	106	19
(2)	3	109	12
رقم 394	عنوان 494	113	8
الى	الا	114	14
كانت تلك الحروب	كانت الحروب	114	16
الروض الهتون	والروض الهتون	115	11
كان القرآن	لان القرآن	118	15
التجبي	التمبي	119	15
1674	1974	120	6
استهل به	استهل	123	16
السمتي	السمني	123	18
التكملة ق	التكملة ص	125	3
الى بلاد العجم	الى العجم	125	8
الطبيب	الطبيب	126	9
ابو الحكم	ابو محكم	127	5
التكملة ق 241	التكملة 2410	127	13
ابو علي بن عبد المومن	ابو علي عبد المومن	129	3
ادباء 51	ادباء 49	135	7
مغريا	مغريا	136	3
الاجادة	لاجادة	136	4

صفحة	سطر	خطاً	صواب
136	11	بانه	فلانه
136	15	فما	فلما
138	8	يختص بانشاد	يختص منها بالانشاد
141	16	بهمة	بهمة
143	9	كابن عبد الله	كأبي عبد الله
143	14	المجموع	المجموع
143	16	رسائل موحدية جاء فيها على ان	رسائل موحدية على ان
143	19	عدد 81	عدد (8)
144	4	وضع	وتع
144	7	الشولي الودفسي	التسولي الودميسي
144	17	الكلمة 82 - 27	الكلمة 2782
144	20	احمد هارون	احمد بن هارون
146	14	المغاربة	بعض المغاربة
148	4	الآنف الذكر	الآنفا الذكر
148	15	حجده	ججدر
149	2	ان هذا	وان هذا
150	3	استيعده	استيعده
150	12	كفره	كبره
152	14-13	يذكر هذا في البقية الى الديباج	يذكر هذا في الديباج
152	14	محمد بن عياض	محمد حفيد القاضي عياض
152	15	الفاضلين	الفاضل
152	21	في فهرسة	من فهرسة
152	22	التقصير	التقصير
156	19	من حفظ التوحيد توحيد ابن تومرت بالبربرية	من حفظ التوحيد بالبربرية ليلقن خارجا عن الحطبة من لا يعرف العربية التوحيد توحيد ابن تومرت بالبربرية
159	8	الحلل 178 ورد	الحلل 78 اورد
159	9	وفي 181	وفي 81
160	6	من جواب	في جواب
164	10	اهداه ضمن	اهداه لي ضمن
167	2	449	494
167	11	مصيبة	مطبة
167	14	المديح	المدح
169	1	الامثال	الامثال
170	16	ابن الصغير	ابن الصقر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
171	15	ترجمة ابنه عياض	ترجمة عياض الصغير
175	18	بابن الجليل	بابن الجليل
177	1	ذكر له	ذكر له
177	6	غزل	غزلا
179	2	الزياتي	المزياتي
187	5	الزائد	الدائد
189	21	و بنصوه	و يفهموه
190	13	انخشاشة	لخشاشة
191	13	المفغفات	المفغفات
192	2	يعملون	يعلمون
192	5	الى ناحية	والى ناحية
193	3	عينك	عينك
193	3	تمدها	تمدها
195	3	يخليه	يخلفه
196	3	علمة	كلمة
196	5	تبدلوا	تبدلوا
196	19	البيض والاصفر	الايض والاصفر
198	1	واقمت مرة	واقمت بها مرة
198	23	بدر	بدا
199	23	وتدعه	وتدعه
200	17	غريب	عريب
201	15	للوم	اللوم
207	19	روى	زوى
211	7	ينفع	ينفع
211	14	السبط	السبطين
211	20	موج من البحر طافيا	بحر من الموج طاميا
212	22	والحكم	والحلم
214	20	الثامن	الكامل
215	3	يهم	يهم
215	4	بل	فل
215	7	وقلاعها	وتلاعها
215	12	الحفر	المخفى
215	14	اشتات	اشياء
217	5	الحليفة	الحليقة
217	19	وسبق	وسيف

صفحة	سطر	خطاً	صواب
218	3	مستقر	مستقر
218	12	حبر	جبر
219	2	جال	حال
219	22	ابهذي زن	ابن ذي زن
223	10	شمسها	شمها
224	10	الرجا	الرجا
224	21	تنغم	تنقم
226	12	ناهى	ناش
226	14	بطرف	فطرف
226	23	يجبره	بحيرة
228	12	بها	به
229	21	لا	لم
230	8	تقتد	تقتد
232	2	ما	من
238	21	اخذ الطرب	ان الطرب اخذ
239	12	النفح (1)	النفح (2)
239	16	الكريج	الكريج
239	17	العمار	الفنار
246	8	الآخرة	الاخرى
248	7	يسمح	يسح
252	9	الطائبه	الطائية
253	6	السانية	الساقيه
253	7	الرحمانية	الرحامنة
253	21	استعجلت	استفحلت
256	16	لورمبيرغ	نورمبيرغ
261	5	ولجزيرة	وبجزيرة
261	11	ومن	وما
262	10	تركيبها	تركيبها
266	14	الا	الى
267	21	الغليسي	القيسي
271	16	ينبتق	ينش
274	11	حدود 637	حدود 527
277	12	الجميلة	الجليلة
279	13	خزانة	خزائن

مصادر البحث

وهذه طائفة من المصادر التي رجعت اليها في تدوين هذا البحث اذكرها مرتبة حسب عصور مؤلفيها؛ او حسب تاريخ طبعها غالبا في مؤلفات وابحاث المعاصرين، وكثيرا ما اقتصر على اسم الكتاب فيما اذا كانت نسبته لمؤلفه مشهورة.

المخطوطات

- (1) فهرسة القاضي عياض . غ⁽¹⁾
 - (2) تعليق ابن رشد على الفية ابن سينا في الطب . غ
 - (3) ديوان السيد ابي الريح الموحدي المسمى : نظم العقود ورقم الحلل والبرود جامعه محمد بن عبد الحق بن عبد الله الغساني . غ
 - (4) بعض اخبار فقهاء مالقة وادبائها. ابتداء تأليفه محمد بن علي ابن خضر الغساني؛ المشهور بابن عسكر، وكمله ابن اخته محمد بن محمد بن علي بن خميس نسخة الاخ الاستاذ محمد العرائشي .
 - (5) روض الانس . ونزهة النفس، الجزء الاول . غ
 - (6) الوافي ، في نظم القوافي . الاثنان لابي البقاء صالح بن شريف الرندي .
 - (7) رحلة العبدري . نسخة المكتبة العامة بالرباط عدد 1012 (خ).
 - (8) منهاج الطالب، في تعديل الكواكب. لابن البنا . غ
 - (9) الدوحة المشتبكة في احكام دار السكة. تأليف ابي الحسن علي بن يوسف الحكيم الكومي المديني . غ
-
- (1) رمز مكتبة ابن غازي لكاتب السطور .

- (10) قسم الممالك من مسالك الابصار للعمري . (غ)
- (11) شرح الماراسي على روضة الازهار للجادري . (غ)
- (12) مشاهير اعيان فاس في القديم . المنسوب لابن الاحمر .
نسخة الاخ الاستاذ محمد بن بوبكر التطواني بسلا .
- (13) ذيل فهرسة ابن غازي له . (غ)
- (14) الجمان في اخبار الزمان للشطبي . (غ)
- (15) شرح ابن عاشر على مورد الظمان . (غ)
- (16) اختصار نفح الطيب، المسمى : تغريد العندليب، على غصن
الاندلس الرطيب. تاليف ابي يعقوب يوسف بن محمد الشعير بابن
الوكيل الميلوي . (غ)
- (17) النشر المخطوط، نسخة المكتبة الاحمدية بفاس للاخ الاستاذ
عبد السلام ابن سودة .
- (18) الخبر المغرب عن الامر المغرب . الحال بالاندلس وثغور
المغرب لابي رأس المعسكري .
- (19) تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لابي
القاسم الزياتي . (غ)
- (20) الاشراف على من بفاس من مشاهير الاشراف . لابي الفتح
الطالب ابن الحاج . (غ)

المطبوعات التاريخ وما اليه

- (24-21) مجموع اخبار المهدي ابن تومرت بما فيه من (1) بعض
رسائل الموحدين . و (2) المقتبس من كتاب الانساب في معرفة

الاصحاب لمؤلف مجهول . و (3) تاريخ الموحدين للمبيدق . و (4)
ترجمة عبد الله بن خيار الحياتي؛ المأخوذة من كتاب الحلة السيرا
لابن الآبار .
بياريز

(25) زاد المسافر . لابي بحر صفوان بن ادريس التجيبي
المرسي .
بيروت

(26) الرحلة ابن جبير .
مصر

(27) المعجب في اخبار المغرب . للمراكشي .
مصر

(28) اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم مؤلفه محمد بن علي بن
حماد . ويترجح انه المترجم في الاعلام (3) 102-100 .
مصر

(29) اخبار العلماء باخبار الحكماء . لابن القفطي .
مصر

(30) التكملة لكتاب الصلة . لابن الابار طبعة 1887-1889 . مجريط
(31) زوائد التكملة .

(32) التكملة القسم الاول المفقود من طبعة مجريط . الجزائر

(33) عيون الانباء في طبقات الاطباء . لابن ابي اصيبعة (2) . مصر

(34) وفيات الاعيان . لابن خلكان .
مصر

(35) المنهاج الواضح . لابي العباس احمد بن ابراهيم بن احمد
ابن ابي محمد صالح .
مصر

(36) صلة الصلة . لابن الزبير ، القسم الاخير .
الرباط

(37) عنوان الدراية . فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة
ببحاية . للمقبريني .
الجزائر

(38) الذخيرة السنية . لمؤلف مجهول .
الجزائر

(39) تاريخ ابي الفداء (3) .
قسنطينة

(40) الانيس المطرب ، المشهور بالقرطاس .
فاس

- (41) مسالك الابصار (1) . مصر
- (42) زهرة الآس في بناء مدينة فاس . الجزائر
- (43) الحلل الموشية ، في ذكر الاخبار المراكشية . لابي عبد الله ابن ابي المعلى بن سماك العامري . طبع منسوباً غلطاً لابن الخطيب . تونس
- (44) طبقات الشافعية الكبرى . لابن السبكي (3) مصر
- (45) اختصار الاخبار عما كان بسببة من سنى الاثار . لمحمد بن قاسم بن محمد الانصاري السبتي . تطوان
- (46) دائرة الاحاطة (1) مصر
- (47) رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب . تونس
- (48) شرح رقم الحلل . تونس
- (49) معيار الاختيار . فاس
- (50) الديباج المذهب . مصر
- (51) مقدمة ابن خلدون . مصر
- (52) وفيات ابن قنفذ . الجزائر
- (53) صبح الأعشى (2) (5) . مصر
- (54) رحلة ابن بطوطة (1) . مصر
- (55) جريدة العجائب . مصر
- (56) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطي مصر
- (57) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة . مصر
- (58) الروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون . فاس
- (59) جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بفاس . فاس
- (60) نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج . مصر

- (61) نفح الطيب (1)، (2)، (3). مصر
- (62) ازهار الرياض. مصر
- (63) كشف الظنون. الاستانة
- (64) شذرات الذهب 4، 5. مصر
- (65) بيوتات فاس في القديم. لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. طبع منسوباً غلطاً لآخيه ابي عبد الله محمد. فاس
- (66) الدر النفيس للحلبي. فاس
- (67) نشر المثنائي (1). فاس
- (68) صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار. للشيخ محمد بيرم
- الخامس التونسي (1). مصر
- (69) الاستقصا 1، 2، 3. مصر
- (70) السلوة. فاس
- (71) دائرة المعارف البستانية (2).
- (72) دائرة المعارف الوجدية (8). مصر
- (73) دائرة المعارف الاسلامية (مج) (1) ع (3، 4). مصر
- (74) تاريخ الآداب العربية (3). مصر
- (75) المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية. جرجي زيدان مصر
- (76) تاريخ التمدن الاسلامي (1). مصر
- (77) تاريخ سوريا للمطران يوسف.
- (78) الفنون الجميلة قديماً وحديثاً (1) التصوير. مصر
- (79) مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح. الرباط
- (80) الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي 4. فاس
- (81) النظام في الاسلام. الرباط

- (82) التراتيب الادارية (1) . الرباط
- (83) فهرس الفهارس والاثبات (2) . فاس
- (84) اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس (1) . الرباط
- (85) الاعلام بمن حل بمراكش واغامت من الاعلام 1، 3، 4 . فاس
- (86) آسفي وما اليه قديما وحديثا . مصر
- (87) الحلل السندسية للامير شكيب (1) . مصر
- (88) مجموع رسائل موحدية . الرباط
- (89) امراؤنا الشعراء . تطوان
- (90) مقدمة سوق المهر . الرباط
- (91) المستشرقون . مصر
- (92) الرحالة المسلمون في القرون الوسطى . مصر
- (93) ترجمة تاريخ العرب لسديو المعنونة بخلاصة تاريخ العرب . مصر
- (94) ترجمته الاخرى تحت اسم تاريخ العرب العام . مصر
- (95) ترجمة تاريخ يوسف اشباخ للاندلس في عهد المرابطيين والموحدين (2) . مصر

مصادر أخرى

- (96) الاحياء للغزالي (1)، (2) . مصر
- (97) فصل المقال ، فيما بين الحكمة والشرعية ممن الاتصال لابن رشد . مصر
- (98) الفتوحات لابن العربي الحانمي 1، 4 . مصر
- (99) قوانين ابن جزي . فاس
- (100) رفع الحجب المستورة ، في محاسن المقصورة . اسم شرح

- الشريف ابي القاسم السبتي على مقصورة حازم (1). مصر
 (101) المعيار للنشر يشي 11, 2. فاس
 (102) الفتاوى الحديثة لابن حجر. مصر
 (103) شرح الخطاب على المختصر (2). مصر
 (104) القانون لليوسي. فاس
 (105) شرح مرتضى على القاموس (4). مصر

نشرات متنوعة

- (106) برنامج مكتبة القرويين القديم. فاس
 (107) التقويم الجزائري لسنة 1330 - 1912. الجزائر
 (108) مجلة «المقتطف» (مج) 74 (ج) 5. مصر
 (109) مجلة «الرسالة» (مج) (2) 64-66. مصر
 (110) مجلة «المباحث» (ع) 25, 39, 42-43 السلسلة الجديدة. تونس
 (111) مجلة «الثريا» (س) (1) (ع) 11 مع العدد الخاص بالمغرب. تونس
 (112) الملحق الثقافي لجريدة «المغرب» (ع) 9. سلا
 (113) مجلة «الثقافة المغربية» (س) (1). (ع) 4 - 5. سلا
 (114) مجلة «رسالة المغرب» (س) (1) (ع) (8) و (س) (6) (ع) (4). الرباط
 (115) مجلة «الانوار» عدد جمادى الاولى 1367 مارس 1948. تطوان
 (116) مجلة «المستمع العربي» (س) (3) (ع) 15. لندن
 (117) جريدة «المغرب» عدد ممتاز. سلا

فهرسة أبحاث الكتاب

كلمة تصدير

بقلم الاستاذ الكبير عبد الله كنون

7 - 3

مقدمات الكتاب

صفحة

كان هدف ابن تومرت انشاء	طابع دولة	14-11
خلافة اسلامية عامة. العمل على صبغ	الموحدين	
هذه الخلافة بصبغة العظمة والدين والتجديد		
من مظاهر العظمة: تلقيب ملوكهم		
بالخلفاء، تاسيسهم اكبر مملكة اسلامية		
كانت تضم شمال افريقيا وجزءا كبيرا		
من الاندلس محاولتهم الاستيلاء على		
مصر وما وراءها من مظاهر طابعهم		
الديني ان يعقوب كان يريد ان		
يجعل من الاندلس دار اسلام. رمزان		
ناطق وصامت لعلو همته في الجهاد.		
قتل بعض خلفائهم على شرب الخمر.		
قتل آخر من رؤي وقت الصلاة غير مص		
لم تنعقد عندهم ذمة ليهودي ولا نصراني.		

شهادة رحالة عظيم باهتمامهم بالاسلام .
امثلة لطابعهم التجديدي .

19-15 المؤثرات التي
أثرت في نهضة
المعارف على
عهد الموحدين .
اهتمامهم بالترجمة . توافد الاعلام
على المغرب . دخول العرب بكثرة الى
المغرب . عمارة المغرب حينئذ . انتشار
الامن . شيوع الحرية . تدفق المال على
القوم . عطايهم لرجال العلم والادب .

22-20 ازدهار الحضارة
بالمغرب
I معاهد التعليم
تعمير المساجد بالمعارف . انشاء
الموحدون المدارس العديدة مساهمة
بعض الافراد في تاسيس المدارس
ابتناؤهم بيت الطلبة الكتاتيب .

38-23 مناهج التعليم
واساليبه .
في المدارس . الجوامع . التعليم
الاجباري . كتب الدراسة .

ملاحظات عن تلك المناهج
والاساليب تاثرهم بالغزالي في بعضها .
ادماج الرياضة في التعليم . قرن الخدمة
العسكرية بالتعليم . مزج الادب بالعطاء .
مراعاة التدريج في ترقية التلاميذ .
اعتناؤهم بالتعليم الاجباري التعليم
باكثر من لغة . التعليم المجاني مراعاة
وحدة السن في التلاميذ اهتمامهم

بالحفظ . شيوع تعليم البنت . بعض
صور النهضة النسوية حينئذ . اختصار
مراحل الدراسة .

تذليل . استدعاء العلماء للتدريس .
اختيار المدرسين وامتحانهم . طلبية
الموحدين بقسميهم طلبة المصامدة وطلبة
الحضر . بعض رؤساء كل فريق

مجامع الخلفاء . اصناف الاعلام الذين
كانوا يحضرونها . كانت تتناول غير ما
فن ولكل فن مجلس . انظمة هذه المجامع .
اسماء طائفة من العلماء الذين كانوا
يشاركون فيها .

مجامع الامراء . بعض رجالها .

II المجامع 39 - 41
العلمية

العلوم

جلب المفسرين من الاندلس
ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة . طائفة
من علماء وموضوعات التفسير . شيوع
التفسير بالاشارة . امثلة لذلك .

التفسير 44 - 45
العادي ، الاشاري

التجويد

القرآآت الرسم

اعتناء الموحدين بهذه العلوم .
جماعة من اهلها مع بعض مؤلفاتهم .
انشاء الموحدين حزب القرآن الجاري
العمل به بالمغرب

الحديث

جمع المحدثين من الاندلس الى
المحدثين المغاربة . مكانة طلاب الحديث
عندهم المحدثون من خلفاء وبعض امراء
الموحدين . امتحان الواردين على
المغرب من اهل الحديث . زمرة من
رجال الحديث وكتبه .

الفقه

المذهب الظاهري

مكانة هذا المذهب اواسط العصر
الموحدي حمل المنصور الناس عليه .
يعقوب انما ابرز الفكرة التي كان
مسبوقا بها من عهد ابن تومرت . عبد
المومن دعا للفكرة الظاهرية ولم تنفذ
تفصيل عمل يعقوب في حمل الناس على
الظاهر . يعقوب كان على راس علماء
هذا المذهب . فتاويه . ما امر بجمعه في
الحديث . علماء الظاهرية من المغاربة .
ظهور مؤلفات مهمة في احاديث الاحكام

المذهب المالكي

سخط اكثر فقهاء المغاربة وغيرهم
على المذهب الظاهري. طائفة كبيرة من
مالكية المغاربة ومؤلفات بعضهم. رواج
المذهب المالكي بالاندلس. زمرة من
رجاله. تاليفان في الرد على ابن حزم

بعض رجال ومؤلفات العلمين .

الفرائض الوثائق

57

شيوخ اصول الفقه . تقرير الكلام
على مذهب ابن تومرت رحلة الاندلسيين
الى المغرب لقراءة الاصلين . اشياخ وعلماء
المغرب في العلمين . تأليف بعضهم . انتشار
فكرة المهدوية والعصمة ثم ضعفها ثم القضاء
عليها .

اصول الفقه

60-58

اصول الدين

العلوم اللسانية

64-61

لغة- نحو- بيان

جماعة من اللغويين . ازدهار النحو
حتى في مدن المغرب الثانوية. طائفة من
نحاة هذا العصر وآثارهم . بعض رجال
البيان والعروض وموضوعاتهم .

ع-روض

التاريخ

السير-النسب-

التراجم- تاريخ

الملوك- تاريخ

البلدان

المؤلفون والمؤلفات فى هذه العلوم
 مزيد اعتناء الموحدين بالانساب مكانة
 نقابة الاشراف حينئذ التنبيه على اوهام
 وقعت للمؤرخ يوسف اشباح . ترجمة
 المؤرخ ابن رشيقي . ابن القطان مؤلف
 نظم الجمان ، ترجمة المؤرخ ابن صاحب
 الصلاة . ترجمة مؤرخ دولة الموحدين
 يوسف بن عمر .

الجغرافيا

امثلة من اذواق بعض خلفاء وامراء
 الموحدين الجغرافية . بناء المنازل فى طريق
 المسافرين بالشمال الافريقى . تكمير
 بلاد المغرب وافريقية . اهتمامهم بالاحصاء .

السياحة

السياحة للعلم ، للحج ، للتجارة
 للاكتشاف ، للسفارة ، للجهاد ، تشجيع
 الموحدين للسياحة التجارية ، السياحة
 البحرية ، هل استعمل بيت الابرار حينئذ؟

الجغرافيون والجغرافيات

الشريف الادريسي . اسفاره . وضعه
 الخريطة الحائطية ثم المائدة الفضية .

ثم شرح ذلك بكتاب نزهة المشتاق .
 طريقه في هذا الكتاب مآل الخريطين
 والكتاب. نسخ النزهة المخطوطة . ما
 طبع وترجم منها . مميزات الخريطة
 الادريسية وشرحها . ملاحظتان . الاولى
 المائدة الفضية مستديرة لا مستطيلة .
 الثانية ليست هذه المائدة اول كرة
 عرفها التاريخ وهي مسبوقة لا سابقة .
 ثناء علماء الجغرافا على الخريطة الادريسية
 وشرحها . تتمه مؤلفات الادريسي في
 هذا العلم .

الجغرافيون المغاربة الآخرون

صاحب الاستبصار . عبد الواحد
 المراكشي . ابو علي المراكشي . ابن
 فاطمة . مؤلف المسالك والممالك . عبد
 الرحمان بن هارون المغربي .
 هل قال المغاربة في هذا العصر بدوران الارض ؟
 وهل تخيلوا وجود اميريكا ؟
 مغربيان يكتشفان منابع النيل في هذا العهد .
 اكتشاف بعض مجاهل افريقيا .
 انشاء المغاربة فرقا للكشفية .
 تاسيس ركب الحاج المغربي .

مظهر آخر من مظاهر ولوع المغاربة بالسياحة

المغرب من الاقطار التي يفزع اليها في مشاكل الفلسفة . نهضتها ايام يوسف اقتراح هذا على ابن رشد وضع شروح كتب ارسطو . الباقي من هذه الشروح اثر فلسفة ابن رشد في اوربا . موقف يعقوب والمامون من هذا العلم . كتاب كنز العلوم ليس لابن تومرت الاندلسي .

الفلسفة

102- 97

مثال من تقدير الموحدين لهذه العلوم . تقرير تدريسها . بعض اسانذتها . طائفة من اقطاب هذه العلوم وآثارهم . الاقلام الحسابية الثلاثة التي كانت مستعملة حينئذ

العدد

105-103

الحساب ، الجبر
المعاملات

نهضتها . رجالها . شيوع الهندسة الميكانيكية . بعض مؤلفاتها . امثلة من صناعتها .

الهندسة

108-106

نهضة هذه العلوم. زيح يعقوب المنصور. القبة السماوية للادريسي. مذهب البتراجي الذي اخترعه في ترتيب الافلاك والمراكز. رسالته عن الاجرام. رصد ابي بكر الليثي السبتي. ابو علي المراكشي. وفاته. التعريف بكتابه: جامع المبادي والغايات. زيح ابن الكماد التونسي الراصد بمراكش. بقية رجال هذا العلم. ابتكارات: ساعات باب جامع مراكش. لغز علمي في صومعة حسان افكار مبكرة في هذا العلم. برج الكوكب لمراقبة الالهة بفاس.	التنجيم الهيئة، الميقات الزيح	113-109
بعض رجاله وموضوعاته.	المنطق	114
اسباب شيوعه تعليق عن الحروب الصليبية التي كانت قائمة بالاندلس حينئذ مؤلفات ناطقة بما كان لهذا العلم اذ ذاك من الرواج. مجالس الجدل التي كان يعقدها الموحدون. بعض رجال علم الجدل. انموذج من جدل ابن تومرت.	الجدل	118-114
امثلة من ازدهارها. بعض رجالها.	المناظرة	120-119

122-121	الكيمياء	الاشتغال بالكيمياء النافعة . زمرة من اهلها .
133-123	الطب، الصيدلة	ازدهار العلمين . تنصيههم رؤساء لهذه المهنة. تدريس الطب بالمغرب حينئذ ثلة من الاطباء المغاربة واوضاعهم <u>اطباء الخلفاء</u> : طبيبنا عبد المومن . اطباء يوسف . اطباء المنصور . اطباء الناصر . طبيب المستنصر . <u>الطبيبات في ديار الخلفاء</u> . بيت الاشربة والمعاجين الطبية . <u>تأسيس المستشفيات بمراكش وشالة</u> والقصر . وصف المعجب لمستشفى مراكش . استدراك على هذا الوصف بذكر بعض رؤساء مستشفى مراكش وبيان انه كان به قسم خاص بالامراض العقلية الى جانب قسم الامراض الجسمية، تفوق هذا المستشفى من ابتكارات الموحدين في هذا الميدان .
134-133	كلمة ختامية عن العلوم	ازدهار علم السياسات حينئذ .

الآداب

نهضةها بمميزات

تشجيع الموحدين للمآداب بما كانوا عليه من معاناتها. سريان الاهتمام بالآداب من الملوك للامة. الندوة الادبية التي اقامها عبد المومن فوق ظهر جبل الفتح . الجم الغفير من الادباء الذين وردوا على يعقوب لما رجع من غزوة الارك . العصابة الادبية التي اجتمعت على الامير عثمان بن عبد المومن، بلوغ صدى هذا النهضة الادبية حتى قطر السودان شاعر من هذا القطر. خلو الادب في غالب مظاهره من الزخرف والصنعة. خلوه في الجملة من السفساف الادبية. ما يوتر من شعر لعبد المومن في التغزل مفتعل عليه. تاثر الادب بمبادئ وانظمة الدولة . تاثره بكثير من العموم. الشائعة حينئذ . جملة من الدواوين التي جمعت لشعراء هذا العهد . طائفة من مؤلفات ادباء هذا العصر . تنوع الكتابة الى عدة الوان من النشر الفني . تجديد اسلوب الرسائل . مكاة الخطابة . نهضة الوعظ . بعض شخصياته . تشجيع نشر

كتب القصص وغيرها . بعض القصص
الشائعة حينئذ ، ميل بعض المغاربة
للبحور القصيرة .

151-147 هل اشتغل
المغاربة بالتوشيح
والزجل على
هذا العهد ؟

اثبات اشتغال المغاربة بهذين
الفنين . بعض الزجالين والقوالين من
المغاربة في هذا العصر .

153-152 تعرب لغة
المحادثة في العصر
الموحدى

شواهد ناطقة بذلك التعرب .

157-154 السبب الذي
حدا بالموحدين
الى الاستعانة
باللسان البربرى

بسط سبب ذلك . تحقيق انهم
لم يكونوا يخطبون او يؤذنون
بالبربرية .

أدب⁵¹ عصر الموحدين

164-159 قسم أول
الخلفاء . الامراء
منهم

محمد المهدي ابن تومرت . عبد
المومن . يعقوب المنصور . ابو الربيع .
هل نحلّه الشاعر الاندلسي ابن عبد ربه
اشعاره ؟ ابو الحسن علي بن عمر بن
عبد المومن . السيد ابو محمد عبد الله

صاحب فاس . بعض السادة من بني عبد
المومن . عبد العزيز بن يوسف بن عبد
المومن . ادريس المامون . ابو حفص
المرتضى . السيد عبد الواحد من اواخر
امرائهم .

181-164 الادباء من غير
ال خلفاء والامراء

علي بن يقطان السبتي . ابو جعفر
ابن عطية . ابو عقيل ابن عطية . شاعر
من أهل سلا . الشريف الادريسي . ابن
بقي السلوي . ابن حبوس الفاسي . محمد
ابن عياض . عيسى بن عمران التسولي .
محمد بن الصقر الانصاري . ابو بكر الفصيح
الصنهاجي . عبد الله التادلي . شاعر من
أهل فاس . ابو حفص الاعماني . عقيل
ابن عطية . ابو العباس الجراوي . عبد
الواحد المراكشي . ابو الخطاب ابن
دحية . ابن خبازة . ابو الحسن الحرالي .
ابو القاسم ابن عمران القصري . ابن
عبدون المكناسي . ابن المحلى السبتي
ابن العابد الانصاري . ابو الحسن
الرباطي .

عـلـي بن غـالـب الانصارى . محمد ابن عبد الله بن عبد الكريم الانصارى . ابن الغازى السبتي . ابو الصبر السبتي . عياض الصغير . ابو عمرو ابن دحية . ابو العباس البكرى . ابراهيم بن ابي حفاظ المكناسى . ابو الربيع المعروف بابن البقال ملول بن ابراهيم الصهاجى . ابنه يعقوب .	قسم ثان	184-181
--	---------	---------

الشاعر السبتي . محمد بن محمد البربرى .	قسم ثالث	185-184
--	----------	---------

نماذج من ادب هذا العهد I النشر

من رسالة انشاها الكاتب ابو عقيل ابن عطية عن عبد المومن .	1 الكتابة الديوانية	189-186
من الرسالة المعروفة برسالة الفصول انشأها ابو جعفر بن عطية عن اذن عبد المومن . من رسالة السيد ابي الربيع الى ملك السودان . ابو حفص الاغماتى يحذر	الاجتماعية	193-189

من الدنيا واصلها ويحض على علم الكتاب
والسنة .

من رسالة لابن تومرت يذكر
مثالب المرابطين ، ويعدد ما انعم الله به على
الموحدين . من رسالة للمامون يوبخ فيها
طائفة من جنده .

السياسية 196-193

ابو جعفر بن عطية يستعطف عبد
المومن . عبد الواحد المراكشي يصف
قصيدة ابن عبدون في رثاء بني المظفر .
ابو الخطاب ابن دحية يرثي بغداد
وخلفائها ويذكر الكثير من الدول
والاعيان الذين ذهبوا .

الادبية 200-196

رسالة من ابي الحسن الرباطي الى
المؤرخ ابن الربيب رسالة ابي القاسم ابن
عمران القصري لابن العابد الفاسي
يستقرضه بعض قريضه . ج-واب ابن
العابد على هذه الرسالة .

الاخوانية 203-200

الآن وقد عصيت من قبل . ظهر
الفساد في البر والبحر . مالنا ولدفن
الجبابرة . نحن لا نريد ان نكون اصحاب

التوقيعات 205-203

الفيل . الجواب ما ترى لا ما تسمع فاحذر
فانك على شفا جرف هار . يخرج هذا
النازل .

2 الخطابة

خطبة ابن تومرت في مرض موته

السياسية

207-205

من خطبة لابي حفص الاعماني يحذر
فيها من بعض اصناف الفلسفة والفلاسفة
ويحض على التمسك بالكتاب والسنة .

الاجتماعية

208-207

وصية المنصور لما دنت وفاته . وصية
ابي موسى ابن عمران التسولي لابنه حين
كان يدرس بفاس .

3 الوصية

209-208

كلمات رواها ابن عبد الكريم
التميمي .

4 الحكمة

209

II الشعر

ابن خبازة يمدح الرسول (ص)
ويذكر جملة من مفاخره ومعجزاته .
ابو حفص الاعماني يمدح يوسف بن
عبد المومن . عبد الواحد المراكشي في

المدح

216-210

في الامير ابراهيم بن يعقوب المنصور .
ابو الخطاب ابن دحية في سلطان مصر
الملك الناصر . الامير عبد الواحد الموحي
في الواعظ ابن رشيد البغدادي لما ورد
مراكش .

الامير عبد الله الموحي من ابيات
الجرابي مع احد المتبذلين .

الافتخار

216

مرثية ابن خبازة في ابي محمد
عبد الله نجل وزير اشبيلية وعظيمها احمد
حفيد ابي بكر ابن الجد .

الرداء

220-217

ابن عطية يستعطف عبد المومـن
(أ) (ب) . الامير الحسن بن عبد المومن
لما عتب عليه اخوه الخليفة يوسف .
ابو حفص الاغماتي لما اهديت له جارية ..

الاستعطاف
والاعتذار

221-220

الجرابي (أ) فيمن اسمه خلوف .
(ب) في ابي حفص الاغماتي . (ج) في
قبيلته بني غفجوم . ابن حبوس يذم الشعر .
الجرابي لما استجداه شاعر بقصيدة .
الشاعر السلوي في الوزير عبد السلام بن
محمد الكومي .

الهجاء والذم

222-221

العتب

228

والتأنيب

ابن حبوس يصف الرياض السيد	الوصف	225-223
ابو الربيع (أ) يصف الروض ايضا . (ب) في وصف فسقية . ابن عبدوس (أ) في مصباح (ب) يصف نهرا قذفت فيه مصابيح (ج) في نهر وردته عصاة طير (د) يصف فاس ومكناس ويفاضل بينهما . ابن العابد (أ) في حمام (ب) في اخوين وسيم واحدب .		
السيد ابو الربيع ، ابو حفص الاغماتي ، ابن خبازة ، ابن المحلى السبتي . ابن العابد .	الغزل	228-225
ابن حبوس (أ) الوطايا والامثال وذم الزمان . (ب) مذهبه في معاملة الناس . (ج) موقفه ازاء الفلاسفة . ابو حفص الاغماتي (أ) يبين مزية الشرع على العقل . (ب) يذكر هذه الحياة الدنيا .	الاجتماع	232-228
ابن حبوس (أ) في فتح بجاية (ب) يذم الوزير ابن عطية لما نكب . الجراوي (أ) يذكر انتظار المنصور في غزوة الارك (ب) فيمن عصى دعوة المهدي (ج) في	السياسية	234-232

الصابوني الذي صلب . ابن خبازة (أ) في
ابن تومرت لما تبرأ منه المامون . (ب)
في قبة المعتصم الحمراء التي ضربها بظاهر
مراكش .

الفنون

من مظاهر وفرة الصناعات حينئذ . شواهد اتقانها .	نهضة الفنون الصناعات	237-236
تأثرها بالطابع الديني . اصنافها . وجود الطرب الاندلسي بالمغرب اذ ذاك . ادوات الموسيقى كلمة عن الطبول الموحدية .	صناعة الموسيقى	240-238
تفوق مراكش في الغراسات . بساتينها ، بساتين مكناس وفاس والمقرمدة وتازا ، بساتين قرية بليونش بضاحية سبتة . جودة الغراسة والفلاحة .	صناعة الغراسة صناعة الفلاحة	241-240
حب تشييد المباني اظهر صفات الموحدين . ذوقهم في البناء اهتمام يعقوب به بصفة خاصة . كانت	صناعة البناء	252-242

مبانيهم مطبوعة بطابع العظمة، وتحمل
مسحة التجديد مراعاتهم في بعضها تخليد
ذكريات غزوات الاسلام العظيمة.

المصانع والمباني : قصر ابي بكر ابن زهر
بمراكش، قصر السيد ابي الربيع بها، قبة
السيد ابي حفص بها، قصور الرباط، دار
العاذل به : قصر ابي العباس ابن القاسم
بسلا، قصر عبد المومن بالاندلس، قصر
السيد ابي يحيى خارج قرطبة، قصر
السيد بغرناطة، قصر السيد بمالقة، حمام
وخان جليلان باحدى جهات الاندلس.
نص فريد من مسألة الابصار للعمري عن
مباني الموحدين بمراكش القديمة
والجديدة. جودة مواد البناء لهذا العهد.

نهضتها. آثار كثيرة في هذا الصدد.

252-253 صناعة جر المياه

شواهد تفوق المغرب في هذه

253-255 صناعة السفن

الصناعة. مصانع السفن الحربية. مصانع
السفن التجارية. انواع القطع البحرية.

تقدم المغرب في هذا الميدان.

255 صناعة السلاح

صناعة الورق	257-256	من مدن هذه الصناعة سبتة وفاس . بلغ عدد المصانع للورق بفاس 400 معمل . تفوق المغرب على اوربا النصرية في عمل الورق .
صناعة الصفر	257	قطعتان نفستان من مصنوعات هذا العهد لا زالتا قائمتين بفاس ومكناس .
صناعة السكة	259-257	دار السكة التي بناها الناصر بقصة فاس واعد بها مودعا للاموال ولطوابع السكة . ضرب الموحدين عملا مختلفة . مثال لما كان يكتب على بعض نقودهم . ابطال المامون تربيع السكة . مقادير العمل الموحدية .
صناعة استغلال المناجم	261-259	اعتناء الموحدين ويوسف بصفة خاصة باستغلال مناجم افريقية والاندلس . اكتشافهم بعض المعادن . امثلة من اهتمامهم بالمعادن . اسما المعادن التي كانت معروفة لعهدهم .
الصناعات الميكانيكية	265-261	تهضمتها ممثلة في : اوعية مصحف عثمان . قنطرة بين الرباط وسلا . قنطرة

نهر الوادي الكبير باشبيلية . دبابات
موحدية . المجانيق . البارود .

صناعة التصوير	266	تأثرها بالطابع الديني . نماذج للتصوير حينئذ .
صناعة الطرز	267-266	تأثرها بذلك الطابع . التفاتهم لها آخر عهدهم .
صناعة التزويق	270-267	معاداتهم للتزويق اول الامر . اهتمامهم به بعد ذلك . بعض المزوقين اذ ذاك . نماذج للتزويق في : مصحف عثمان . زينة راحلة المصحف حلية مصحف ابن تومرت وراحلته . تذهيب موطا ابن تومرت .
صناعة الخطاطة	274-270	انواع الخط الثلاثة التي كانت مستعملة لهذا العهد . نهضة الخطاطة . اعتناء يوسف وعبد المومن بها . امتداح بعض الامراء بجودة الخط . عمر المرتضى كان له حظ وافر من براعة الخط . الخطاطون . النساخون .
صناعة الوراقة	274	نهضتها رجالها .

عمارتها . كانت تقارب في بعض مظاهرها المكتبة الاندلسية ابان ازدهارها . 200 دكان لبائعي الكتب المخطوطة بمراكش . اهتمامهم باقتناء الكتب . انتزاعهم ملكية المكاتب ممن يخشى ضياعها عنده . اقتراحهم تاليف الكتب . اهداء الدفاتر والذخائر لمكاتبهم . كانت خطة المحافظة على الكتب عندهم من الخطط الجلييلة . ابن الصقر محافظ مكتبة يوسف . تاسيسهم المكاتب العامة . اوعية الكتب . الكتابة على الخزائن .	تذييل I المكتبة المغربية لهذا العهد	280.275
مكاتب مدرسة المنصور بمراكش . المكتبة الشارية بسبتة . مؤسسها . قيمتها . وقفها على اهل العلم بالمغرب . عمرها	اسماء الخزائن المكاتب العامة	282-280
الخزانة العلمية بمراكش . مؤسسها . قيمتها . جهود يوسف في جمعها . القيم عليها .	المكتبة الملكية	283-282
مكتبة عبد الرحيم ابن الملقوم بفاس .	مكاتب الافراد	286-283

قيمتها . مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم
 بفاس . قيمتها . مصيرها . مكتبة المسوفي
 بفاس . قيمتها . مكتبة المومنانـي بفاس .
 قيمتها . مكتبة ابن الطراوة بمراكش .
 قيمتها . مكتبة ابن الصقر بمراكش .
 قيمتها . نكتبته فيها . مكتبة ابن غلنـده
 بمراكش . قيمتها . مكتبة القيسي
 بمراكش . قيمتها .

المصحف العثماني . مصحف ابن
 تومرت . مصحف المرتضى بخطه . النعال
 النبوية ، خريطة قبلة مراكش .
 قراصة الذهب في ذكر لثام العرب .
 دراهم قديمة . مدأبي محمد صالح . عباءة
 عبد المومن .

استدراكات . كلمة ختامية .

II الذخائر 289-287

والآثار في
 هذا العصر

294-290

70.864.4284

المنونى، محمد

العلوم، الآداب، الفنون على عهد الموح

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022502

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

